موريس نادو

تاريخ السريالية

ترجمة
نتيجة الحلاق

مراجعة
عيسى عصفور

دراسات نقدية عالمية
١٥

8

تاريخ السريانية

موريس نادو

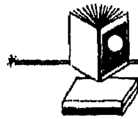
تاريخ السريالية

ترجمة

نتيجة الحلاق

مراجعة

عيسى عصفور



منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية

دمشق ١٩٩٢

العنوان الأصلي للكتاب :

Maurice Nadeau

Histoire du surréalisme

تاريخ السريالية = Histoire du surrealisme / موريس نادو ؛ ترجمة نتيجة الحلاق ؛ مراجعة عيسى عصفور . ـ دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٢ . ـ ٢٥٤ ص ؛ ٢٤ سم . ـ (دراسات نقدية عالمية ؛ ١٥) .

١ ـ ٧٠٩,٠٤ ن ا د ت ٢ ـ ٨٠٩,٩١٥ ن ا د ت
٣ ـ العنوان ٤ ـ العنوان الموازي ٥ ـ نادو ٦ ـ الحلاق
٧ ـ عصفور ٨ ـ السلسلة

مكتبة الأسد

الايداع القانوني : ع ـ ٨٧٤ /٧/ ١٩٩٢

مقدّمة

إليكم تاريخ السريالية ! لقد ماتت السريالية إذن ! ليس هذا ما نفكر فيه .

إن الحالة السريالية الفكرية ، بل الافضل ان نقول : ان السلوك السريالي خالد . يفهم من هذا كأنه استعداد ما لا إلى تجاوز الواقع بل إلى الغوص في أعماقه ، وإلى ادراك العالم المحسوس بصورة دائماً أكثر وضوحاً وفي الوقت نفسه دائماً أشد حدة (١) هذا هو غرض جميع المذاهب الفلسفية التي لا تهدف فقط إلى المحافظة على العالم كما هو ، وهذا هو الظمأ الخالد الذي لا خمود له في قلب الانسان . وفي هذا المعنى قال بروتون : إن « هيراقليط سريالي في الجدلية ... ولول Lulle في التعريف... وبودلير في علم الاخلاق . . . ورامبو في ممارسة الحياة ، وفي غير ذلك . . . (٢) .

ومع ذلك كانت هناك حركة سريالية بالمعنى الصحيح . تزامنت ولادتها إجمالاً مع نهاية الحرب العالمية الاولى ونهايتها مع اندلاع الحرب العالمية الثانية أما وقد عاشها أناس عبروا عن ذواتهم بالشعر والرسم والبحث ، أو بسلوكهم الخاص في الحياة ، كتتابع أحداث فانها تخص التاريخ ، وهي سلسلة تجليات في الزمن وإن تاريخ هذه الحركة هو

---

(١) ـ أندريه بروتون ، ما هي السريالية ! هانريكز ، ١٩٣٤ .
(٢) ـ أندريه بروتون ، بيان السريالية ، كرا ، ١٩٢٤ .

ما حاولنا أن ندونـّه . ولم نحاول ذلك البتة لمجرد الرغبة في الغوص بين طيات الماضي ، مهما كان رائعاً . ولم نقم بها تماماً لنرسخ صورة للحركة مطابقة للحقيقة قدر المستطاع ، قبل ان تصبح موضوع (رسالة جامعية) ، ولم نقم بها كذلك لان هذه المحاولة لتحرير شامل للفكر مثيرة ، بل أتت ايضاً لتوضيح حدود هذا التحرر ولتظهر أنه، في المجال الفكري ، يصعب أن نبحر بعيداً وأن نغوص في الاعماق وأنه إذا ما توصلت السريالية ، على الرغم منها ، إلى انفجار فني سائغ ، فهي تؤدي أيضاً إلى طريق ايديولوجي مسدود ، وعلى المتممين لها ان يتغلبوا عليها ويتخطوها .

بأية وسيلة جدلية ستتم هذه الحركة ؟ هذا ما يهمنا تحديده ، خارج الصعيد الفني على الأرجح لان هذه الحركة المنافية للادب والفن والشعر لاتؤدي إلا إلى أدب جديد وشعر جديد ورسم جديد ، كلها قيّمة دون شك ولكنها لا تلبي بما فيه الكفاية ما سبق أن وعدونا به . فهل هذا الدفق من القوة والايمان والحرارة والصفاء أدى إلى تسجيل الاسماء الجديدة في التاريخ الادبي وإلى الزيادة في ثروة بعض تجار اللوحات ؟ خاب أملنا بالتغيير الكلي للحياة الذي اتخذوه هدفاً لهم . وينبغي القول أن الخطأ لا يقع على كاهل السرياليين وحدهم . وكان بروتون يشعر بالفشل الجزئي هذا إذ أطلق عبر البيان الثاني (٣) نداء يطلب فيه النجدة « على براعة وغضب بعض من سيأتي بعدنا يتوقف استخراج ما لايزال موجوداً من السريالية وارجاعه إلى هدفه الحقيقي حتى لو كان الثمن دماراً كلياً » ان هذه المهمة التي حددها بروتون ليست مهمتنا

---

(١) — ديسمبر ، كانون الاول ، ١٩٢٩ .

الآن ، وانما اكتفينا بسرد الاخبار واحياء بعض التجارب التي كتب لها أن تستمر (في الوجود) . أردنا أن نصفها مثلما حدثت على أقرب وجه ممكن من الصحة .

إن مؤلف هذا الكتاب لم يعش شخصياً الحياة السريالية في الصميم وسيبدو عمله ناقصاً وغير كاف للذين كانوا من مؤسسي الحركة وروادها ، وهذا أمر محتوم ، فاذا ما اختار على الرغم من كل شيء ، أن يتكلم عن الحركة ، وهو على هامشها ، فلأن موقفه ينطوي أيضاً على فوائد : يكفي أن تكون فائدة الموضوعية احداها . فهي تتفوق على الشهادة البحتة ، لا بما يتعلق بالفكرة العامة (قد ينزعج بعضهم من التعاطف والاعجاب اللذين يظهران للسريالية والسرياليين) بل بما يتعلق بالاشخاص وعلاقاتهم والاحداث التي نتجت عنها .

ومن جهة ثانية ، لقد أتيح للمؤلف أن يقترب من بروتون وأصدقائه أثناء الفترة التي أوشكت فيها عاصفة الحرب العالمية على الهبوب . ومن حسن طالعه أن أحد أصدقائه كان من الذين لهم الايادي البيضاء في ولادة السريالية وتطورها . وقد اهتم منذ حداثته باعمال السرياليين وانتاجهم . وبداعي هذا العمل التقى أيضاً رجالاً أسهموا في الحركة خلال عهود مختلفة ، أمثال جورج هونييه وريمون كونو ، الذين تفضلوا بوضع مكتبتهم ووثائقهم تحت تصرفه ، هذا مع الاسداء بنصائحهم وتوجيهاتهم التي يقدرها تقديراً أغلى وأثمن . وتحدث مع ميشيل ليريس وجاك بريفر وج آ بوافار وان لم يكن شاهداً عياناً ، غيرأنه على الأقل استقى مراجعه من نبع جيد ، ويبقى حسن استعمالها أو سؤوه أمراً آخر .

بالحقيقة أن هناك اشكالات في التكلم عن الأحياء ، واصدار الاحكام عليهم ، واقرار افضليات بخصوصهم قد لاتكون سوى شخصية . فمن المؤكد أن ضجة الخصومات هدأت وأن الجميع يشعرون اليوم بأنهم عاشوا مرحلة مهمة من حياتهم وأسهموا في حركة تبقى مصدراً للاعتزاز حتى للذين أنكروها ، نرجوهم أن يقتنعوا والقارىء أيضاً بحسن نيتنا .

ومع ذلك لا يجب أن يبحث القارىء في هذا المؤلّف عما لا يمكن وجوده فيه ، فموطن الضعف عند المؤلّف أنه حمل السريالية على محمل الجد . ولكنه ليس بساذج ليصدق أن كل شيء فيها جاد ، فاللون الساخر ذاته والتهريج يحملان معنى يفوقهما . فكان من اللزام علينا اكتشاف هذا المعنى .

تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٤



التحضير للسريالية

١ـ الحرب

« لايمكن لاحد ان يدرس السريالية دون ان يضعها في اطار عصرها »

اراغون

انه عمل لا جدوى فيه أن تدرس حركة فكرية مع التصميم على تجاهل ما سبقها أو لحقها ، وغض النظر عن الحالة الاجتماعية والسياسية التي تفاعلت معها وغذتها وتأثرت بها إلى حد ما . فالسريالية بنوع خاص مرتبطة بالحقبة الزمنية الممتدة ما بين الحربين . فالقول مع بعضهم أنها ليست على المستوى الفني سوى احدى تجلياته لهو من نوع المادية الساذجة : انها ايضاً الوريثة المتممة للحركات الفنية التي سبقتها ، وقد لا يكون لها وجود لولاها . فعلينا اذن ان ننظر إليها من هذين الوجهين معاً كانت السريالية بين عامي ١٩١٨ — ١٩٤٠ معاصرة لاحداث اجتماعية وسياسية وعلمية وفلسفية عظيمة الشأن . وقد تفاعلت مع بعض هذه الاحداث تفاعلاً عميقاً وأضفت لونها الخاص على البعض الآخر منها . فقد ولدت في باريس على أيدي عشرة رجال ، لكنها لم تنحصر في فرنسا بل امتد مجالها إلى بلدان مختلفة . فبدلاً من أن تكون حركة فنية باريسية خالصة ، أصبح لها أتباع وتأثر بها رجال ، في كل من بريطانيا وبلجيكا واسبانيا وسويسرا والمانيا وتشيكوسلوفاكيا

ويوغسلافيا ، وحتى في سائر القارات : افريقيا وآسيا (اليابان) وامريكا (المكسيك والبرازيل والولايات المتحدة) . وقد تمثل أربعة عشر بلداً في المعرض الدولي للسريالية الذي عقد في باريس (كانون الثاني — شباط من عام ١٩٣٨) .

لقد حطمت السريالية الأطر القومية في الفن ، وحلقت فوق الحدود . ولم تعرف أية حركة قبلها بما فيها الرومنسية . هذا التأثير والاهتمام العالميين . كانت الغذاء اللذيذ لأفضل الفنانين في كل بلد ، والانعكاس لعصر ، كان محتماً عليه ، ان يجابه مشاكله على الصعيد العالمي ، حتى في المجال الفني .

غير أن من الخطأ الاعتقاد بأن حركة بهذا الاتساع ، كانت ثمرة عدد من الادمغة المنعزلة ، فالحظوة التي نالتها ، والاعجاب والحقد اللذان أثارتهما ، خير دليل على أنها كانت تلبي حاجات وتطلعات خالدة دون شك ، ولكنها بلغت ذروتها في العصر الذي شاهد ولادتها .

ومن جهة أخرى ، نرى أن التكعيبية والمستقبلية والدادية قد سبقت السريالية حتى ان رواد السريالية ذاتها اراغون وبروتون وايلوار وبيبريه قد ألّفوا الندوة الدادية الفرنسية حتى عام ١٩٢٢ ، ولانفهم الدادية بخاصة إذا أردنا أن ننسى أنها ولدت في خضم الحرب عام ١٩١٦ وأنها انتشرت كنثار بارود في المانيا المقهورة عام ١٩١٨ ، لتصل في نهاية المطاف إلى فرنسا المثخنة بالجراح في عامي ١٩١٩ — ١٩٢٠ .

عندما عقدت الهدنة ، كان الوضع الاجتماعي والسياسي في اوروبا فريداً . فكان هناك فريقان من الناحية النظرية : فريق المنتصرين وفريق المقهورين ، غير أن الفريق الاول وجد نفسه في عوز مدقع لايكاد يقل

عن فاقة الفريق الثاني ، فانها ليست مادية فقط ، بل شاملة أدت بعد أربع سنوات من انواع القتال والدمار إلى طرح الثقة بالحكم . فما الامر اذن ؟ ماذا نتج عن استعمال الوسائل الضخمة العديدة الوصول إلى تعديل في رسم الحدود ، أو فتح أسواق جديدة بالنسبة لبعضهم واغلاقها بالنسبة للبعض الآخر ، أم سرقة مستعمرات من دول سبق لها أن اغتصبتها؟ في هذا التفاوت بين الوسائل والاهداف يظهر جنون النظام ، الذي أخفق لعجزه عن تنسيق قواه الا لاستخدامها الحط من الانسان وتحطيمه ، واخفقت كذلك النخبة المصفقة في جميع البلدان للمذابح العامة والتي أبدعت في ايجاد وسائل كفيلة بالمحافظة على استمراريتها . كذلك أخفق العلم الذي تكمن أجمل اكتشافاته في ايجاد نوعية جديدة لاحد المتفجرات ، أو في تحسين احدى آليات الدمار ، وأخفقت الفلسفات التي لم تعد ترى في الانسان سوى المظهر الخارجي ، والتي تفننت لتقدم له مبررات تبعده عن الشعور الوجداني المخجل بسبب المهنة التي يفرضونها عليه ، وأخفق الفن الذي لم يعد يصلح الا ليعرض أفضل تمويه ، وأخفق الادب الذي أصبح مجرد ملحق للبلاغات العسكرية . انه اخفاق شامل لحضارة انقلبت على نفسها وأخذ التآكل ينخرها .

وفي خضم هذه النكبة ، هل كان من الممكن ان يتحملوا قصائد شعرية تحافظ على نغماتها الموروثة وان يحدثنا اناس عاشوا هذا الكابوس ، عن جمال الورود وعن « الاناء حيث يذبل رعي الحمام » ؟ لقد كان للحرب تأثير عميق على بروتون وايلوار وأراغون وبيريه ، وسوبو . لانهم خاضوا المعركة مرغمين ومكرهين ، وخرجوا منها مشمئزين ، يرفضون كل علاقة مع حضارة فقدت مبرارت وجودها .

والعدمية المطلقة التي حركت تفكيرهم لاتمتد إلى الفن فحسب ، بل تتعداه إلى جميع مظاهر هذه الحضارة ، قد أرسلهم هذا المجتمع بكل فرح إلى الموت ، وهو ينتظرهم عند العودة ، إذا كتبت لهم النجاة ، ينتظرهم بتشريعاته ، وعلم أخلاقه ودياناته .

وبعد ستة عشر عاماً قال بروتون ، وهو يعود بالذكرى إلى هذا العهد ، وقد تبلورت أفكاره عن الهدنة : « أني اصر على القول بان انهزامية الحرب تشكل القاسم المشترك بين الموقف السريالي منذ انطلاقته وموقف لوتريامون ورامبو . وتربط مصيرنا ومصيرها نهائياً » . ويضيف : « لم يكن هناك مجال ، في نظرنا الا لثورة تجعلها تجتاح فعلاً المجالات جميعها ، ثورة جذرية يستبعد حدوثها ، وقمعية إلى أقصى حد . . . » ويضيف فيما بعد قائلاً : « إذا تجاهلنا هذا الموقف ، فاني أقدر أننا لن نتوصل بأي شكل ، إلى تكوين فكرة واضحة عن المنهج السريالي . فهذا الموقف وحده يأتي جواباً جازماً وكافياً على أنواع المغالاة التي قد تنسب إلينا . ولكننا لن نأسف لحدوثها إلا بمقدار ما يفترض عفوياً ، انه كان بوسعنا الانطلاق من نقطة أخرى » . (١)

ليس من التباس في عبارات تظهر الفرح الذي اندفع به بروتون وأصدقاؤه في الدادية . هذه المحاولة الهدامة لجميع القيم التقليدية والتي لم يسبق لها مثيل ، أتت جواباً غير ناجح على المصالحات المؤقتة التي يسعى إليها السياسيون الدوليون المجتمعون في باريس لمؤتمر السلام .

كانت سنة ١٩٢٠ بالحقيقة سنة توقيع المعاهدات الاخيرة للسلم ، وبدء تصفية الحرب . وقد دشن العالم الرأسمالي استقراراً جديداً غير

(١) — أندريه بروتون ، ما هي السريالية !

أنه استقرار مؤقت . وأحس الجميع أنه لم يقدّم حلّ المشكلات التي استمرت لأجلها المجزرة خلال أربع سنوات . وفي شرقي القارة ، ولدت حضارة حديثة تأسست على قيم جديدة ، ونالت حظوة كبيرة عند الذين « لايملكون شيئاً يخشون فقدانه بل يرجون كل شيء» . في هذا التغيير . هناك وراء « نطاق كلمنصو الصحي » أخذ بعض الناس يعيشون نمطاً جديداً من الحياة . بينما كان مناضلو الغرب يتخبطون في فوضى يعرفونها جيداً . أين العجب اذن إذا ما شعروا بالخيبة المريرة، وقد طعنت أهدافهم بالصميم . وأحسوا بالمراوغة التي ذهبوا ضحيتها ؟

وعادت الآلة إلى دورانها ، بعد أن اجريت بعض الاصلاحات في جهازها ، وكانت لا تزال تسمع أصوات صرير واحتكاك تصدر عن انتفاضات ثورية ، من كل صوب على وجه التقريب ، ولكن التغييرات المرتقبة لن تحصل أبداً ! عرف المعلمون أن يتوقفوا في الوقت المناسب ، وقاموا عندما دعت الحاجة بالمساعي الحميدة ، ليعيدوا الطبقة السفلى إلى « الصواب »، وهكذا أجهضت ثورة خارقة كان العالم بأشد الحاجة إليها منذ سنين طويلة .

استطاع النظام الحاكم ان يعتقد بأن عهداً جديداً من الازدهار يفتح أبوابه أمامه ، بعد ان اطمأن الناجون من الاخطار ، وضمدت الجراح ، ورفعت الانقاض عبر كثير من الاحتكاكات والمخاطر المتنوعة . فأصبحت الجماهير ، التي عانت من نقص الغذاء ، وحرمت خلال سنوات عديدة من اشباع أقل حاجياتها ، أصبحت اذن من المستهلكين النهمين الذين تتزايد شهواتهم يوماً بعد يوم ، وعمّ المرح المزيف والمؤقت الذي تتصف به حقب ما بعد الحروب فصنعت

السيارات ، وأصبحت الطائرة وسيلة نقل عادية لكبار رجال الاعمال . أما الخطوط الحديدية والبواخر ، فقد اختصرت المسافات ، ودخلت الاكتشافات العلمية الحديثة مجال الحياة اليومية : فاكتظت دور السينما بالجماهير ، وأخذ الناس يهملون جهاز الحاكي القديم ويستبدلون به جهاز الراديو ذي الازيز والصفير والصرير والسماعات التي يركزونها فوق آذانهم . وصغر العالم حتى أصبح بحجم الانسان . وقد استطاع أديب أن يقول عن هذه الكتلة التي يبلغ محيطها ٤٠٠٠٠ كم : « لاشيء سوى الارض » وتغنى المستقبليون ، بكل سذاجة ، بهذا المنظر الجديد لكوكبنا ، ووجد بعضهم ، مثل أبولينير ، شعراً فريداً في « محاسن » الحرب .

« أسلّم أن اثنين ضرب اثنين يساوي أربعاً ، هو شيء ممتاز ، ولكن اذا اقتضى الامر ان نمتدح كل شيء . فأقول لكم : ان اثنين ضرب اثنين يساوي خمساً هو أيضاً شيء لطيف »

« دوستوفسكي »

إن الأمر الذي لم يتقدم بالخطوات ذاتها هو معرفة الإنسان ، الانسان الذي يستطيع استخدام عقله ومواهبه المنطقية في تغيير العالم ، ولكنه عجز عن تغيير نفسه ، فبقي ذلك المتوحش الذي يستعمل أجهزة لايدرك منها ، سوى تشغيلها بصورة تقريبية ، حتى أصبح سجيناً لهذه الاجهزة التي ينتجها بكميات كبيرة . وأخذ يعبدها مثلما عبد الانسان البدائي أوثانه . يطلب منها أن تتحكم بالطقس والمطر ، يريدها أن تغير له حياته . لكنها لا تكتفي بأن تصمّ آذانها عن سماع ندائه بل تجعله يشعر بقساوة العبودية التي تمارسها عليه . وينتهي المطاف بنشوب حرب جديدة . يا لها من نتيجة رائعة ! لقد صنع الانسان قفصاً جميلاً

ليسجن قوى الطبيعة ، فنجح في ذلك . ولكنه لم ينتبه إلى أنه سجن نفسه فيه ، فعبثاً يصرخ ، ويثور ، ويمزق قبضتيه على القضبان التي تقاوم بشدّة ، لأنها ثمرة عمل معقول حقاً وكامل حقاً . وفي الوقت نفسه لايكمن الشر فقط في ما يبدعه ، بل أنه يتغلغل إلى داخله . لقد بنى حضارة فظة لانه أصبح مسخاً عقلياً يتصف بنموّ زائد في قواه المفكرة . فتوصل إلى تكوين قناعة تظهر له أن العقل والمنطق والمعقولات والزمن والفضاء والاثنين زائد اثنين يساوي أربعاً ، كأنها الحقائق الوحيدة الحيّة ، بينما لم تكن سوى أطر مريحة ووسائل عملية ومؤقتة يستخدمها في سبيل تحقيق عمله . وسائل تفوق إلى حد بعيد ، المذهب التجريبي البدائي والتصوف الديني ، ولكنها كانت مجرد مرحلة على طريق الفكر لابد من تجاوزها .

ان هيغل العجوز وجدليته كفيلان بهذا التجاوز الضروري . وليس من الصدفة في أن نرى السرياليين يجعلون منه ركناً لفلسفتهم . انه ينتمي ولا ريب إلى زمرة « المفكرين عبيد المنطق ، الماهرين في انتاج النظم الضيقة وكأنها قمصان مجانين » . ولكن من يدري إن كان في هذه الفئة بالذات أناس قد وعوا التناقض الاساسي بين الانسان والعالم ، وأنذروا بالخطر المداهم ؟ هذا يبدو صحيحاً بالضبط . وقد هرع الناس إلى الكوليج دي فرانس ليسمعوا صوت برغسون ، يحتجّ على العقل وينادي بالقوة الخارقة « للوثوب الحيوي » ولكن بما أنه عجز عن تعريف هذا الوثوب الحيوي » ، لجأ إلى عرض النظرية الايمانية القديمة من جديد . أما آنشتين فأنه أكثر جدّية . اننا لاندرك دائماً ما يقوله بلغة العالم ، ولكنّ انواراً فريدة تتسرب من هنا وهناك ، مثل الشفق القطبي ، وتصل إلينا . يقول باختصار : « قد ضللنا فالعالم الحقيقي ليس العالم

الذي ظنناه . واحسن التصورات استقراراً لا تصلح إلاّ لحياتنا اليومية ، وفيما وراء ذلك ، تبقى نظريات مخطئة ، فنظرية ادراكنا الفضاء مزيفة ، ومزيف الزمن الذي أوجدناه ، إن الضوء ينتشر حسب خط منحن وكتلة الاجسام نسيج مطاطي حقيقي » . يحذو الايستيمولوجيون (أتباع بحث العلوم) حذو آنشتين ويتساءلون عن شروط المعرفة وحدودها . ويبدو من الواضح ، أن المعرفة ، تختلف تماماً عن العمل . فالعلم دون سواه يزود العمل بوصفات لاتفيد سواه ، فلا نستطيع المزج بينهما من الآن وصاعداً ، فهناك الرياضيون وهندستهم التي نستغني عن أوكليدس ومسلمته الشهيرة . ان العقل ، العقل الكامل القدرة ، يبدو متهماً صامتاً ، لايستطيع أن يقول شيئاً دفاعاً عن نفسه . والحقيقة ، هي غير ما نرى ، ونسمع ، ونلمس ، ونشم ونذوق . هناك قوى مجهولة تتحكم بنا ولكننا نأمل أن نتمكن من التأثير فيها . فلنسع إذن إلى اكتشافها .

تتجاذب الانسان قوتّان تمزقانه ، عقل متشامخ دائماً حتى في احتضاره من جهة ، وعالم مجهول يشعر بأنه المحرك الحقيقي لجميع أعماله وأفكاره ، وحياته ، يتجلّى له أثناء النوم الذي يكرّس له حوالي نصف حياته . من جهة أخرى وفي هذا الصراع ، يجرؤ الانسان أخيراً على التحديق في هذه القوى المجهولة ، فيتعرف إلى مخلوقات غريبة ، ويتحرك ضمن مناظر طبيعية لم يسبق له أن شاهدها ، ويندفع في أعمال مثيرة . وحاول اجتياز هذه المتاهة المظلمة عالم نفساني من فيينا ، يحمل فانوساً أصمّ وكانت اكتشافاته مخيفة إلى درجة جعلت البرجوازي يصرخ في وجه الفضيحة ؛ وسار « الاطباء » السرياليون على آثار خطوات رجل فيينا ، وأخذوا على عكس البرجوازي ،

يتعجبونَ ويندهشون ، ويكتشفون كنوزاً جديدة . فانْهار الجدار الذي كان يفصل باحكام وعيرة ، الحياة الخفية عن الحياة الظاهرة ، واللاوعي عن الوعي ، والحلم عن « الفكر المسيّر » المنطقي . وتفككك أيضاً ، برج البرجوازية الماثل ، وانحلّت المقومات التي كانت تفرض الاحترام . فهل نحن اذن على طريق الوحدة ؟ أيستطيع أورفيه أن يلملم قطع جسمه الممزق ؟ لقد ولد أمل عظيم ! وجد السرياليون في اكتشافات فرويد حلاً مؤقتاً فقد ثبت منذ الآن ، ان الانسان ليس فقط « مفكراً » ولا « مفكراً عاطفياً » مثلما كان كثير من الشعراء السابقين لهما ، بل ان الانسان نؤوم محترف . يكسب في الحلم كل ليلة كنزاً يبدده في النهار ، عملةً من النحاس . لم يكن الانسان سجين الطبيعة وانتصاراته عليها فقط ، بل كان سجين نفسه وقد أحاط عقله بأربطة شدّت الخناق عليه شيئاً فشيئاً . فوراء القياسات ، والنتائج . و« هذا هو المطلوب » ، والعلة والمعلول ، « غالباً ما نحتاج إلى من هو أصغر منا » : افتحوا الابواب واسعة أمام الحلم وأخلوا المكان أمام اللاارادية ! سنرى الانسان على حقيقته ، سنصبح أناساً على علاتنا ، « غير مقيدين » معتقين ومحررين ، فنجرؤ أخيراً على التعرف إلى رغباتنا وتحملنا الشجاعة على تحقيقها . لا ظلام بعد الآن ! سنسكن جميعاً في « البيت الزجاجي » وسنرى أنفسنا كما نحن وكما يرانا من يريد

غير أن السرياليين ليسوا بالسياسيين ، أو العلماء أو الفلاسفة . وما أبعدهم من أن يكونوا أطباء ! انهم شعراء ، ومختصون باللغة ولهذه اللغة سيتصدّون .

فلنبتعد أولاً عن المنطق ! هنا بوجه خاص علينا أن نطارده

ونهاجمه ونعيده إلى العدم . من الآن فصاعداً ليس من فعل وفاعل ومفاعيل . هناك كلمات تعني شيئاً آخر غير الذي تعنيه بالحقيقة (١) ، ان الشعر ، شأن العلم ، والفلسفة وسيلة المعرفة . وهو كالسياسة والطب وسيلة للعمل . والمعرفة تستغني عن العقل ويتفوق العمل عليه . يجب تحطيم الجمال والفن ، لانهما فتحان كان للمنطق حصة الاسد منهما . يجب ان يكون الشعر حديثاً من الروح إلى الروح «وأن يحل الحلم مكان « الفكر المسير» وأن لا تظل الصور وهماً يمر سريعاً على سطح الأفكار والعواطف بل وميض برق يضيء « كهوف الكائن » في كل لحظة ، هناك وسيلة واحدة لتحقيق ما تقدم لندع « الضيف المجهول » يتحدث عن ذاته العميقة ، في جميع ابعادها ، بطريقة عفوية دون أي تدخل من قبلنا .

كان الشعراء المتقدمون ملهَمين من حين لآخر ، وهنا تكمن قيمة أعمالهم . أما اليوم فليس الشاعر مُلْهَماً دائماً وأبداً فحسب ، بل أنه أصبح « مصدر الالهام » ، فمن مفعول تحول إلى فاعل ، ومن مُلْهَم تحول إلى مُلْهِم « لم يعد فقط صدى مدوّياً » ، و « رائياً » ، بل أصبح كل هذا في آن واحد ، تضاف إليه صفة « الساحر » . فهو الذي يغير الحياة والعالم ، هو الذي يحوّل الانسان ، إنه يعرف كيف «يجمع بين العمل والحلم » و « يمزج الداخلي بالخارجي » و« يستوقف الخلود في اللحظة » و « يذيب العام في الخاص (٢) » . وعلى صورته ، يجعل من الانسان وحدة لا تتجزأ ، ويجعل من الانسان والعالم مادة واحدة .

---

(١) – قد نعرف جيداً عبارة « مرحبا » ونقول « وداعاً » للمرأة التي نلتقي بها بعد غياب سنة . أندريه بروتون :

بيانان عن الدادية ، الخطوات التائهة .

(٢) – أندريه برتون ، الأواني المستطرقة .

لكن الشاعر لايتعالى ، لهذا السبب ، على غيره من الناس : فهو يسير بينهم في « وضح الشمس » (١) . وقد يستطيع الجميع أن يقوموا بالمعجزة ذاتها التي يصنعها الشاعر ، ولايبقى سوى المختارين . « يجب على الجميع أن يصوغوا الشعر . فليس الشعر وقفاً على انسان واحد (٢) .

انها ثورة حقيقية ، ثورة شعرية أولاً ، لأنها تنفي الشعر لتجاوزها إياه . ان ترتيب الكلام في قصيدة يستبعد ليفسح المجال للنص الآلي ، لالهام العقل الباطني المتروك على سجيته ولسرد الحلم ، دون اكتراث بالفن والجمال لانهما غايتان تافهتان لاتستحقان أن نوليهما اهتمامنا .

ان روح الشاعر في ماهيتها اختلاط دون ترتيب تعصف فيه المشاعر والعواطف والاشواق والرغبات التي تتجلى في الضوضاء والتشوش والمجانية ، ترجمانها الكلام أو الكتابة بقالب منطقي عريق في القدم يجب أن يحطم ويعاد إلى عناصره البسيطة المكوّنة من الألفاظ التي تستطيع وحدها ، أن تعبر بأمانة ، عن الرعشة الشعرية في كمالها . فالشعراء السرياليون ، ما دمنا أردنا أن نطلق عليهم هذا الاسم ، ينظرون باعجاب إلى فيضان ينبوع حي لاينضب يحمل التبر بين أوحاله . ان المقارنة بين عطائهم وعطاء من سبقهم لم تعد ممكنة وفي مقابل تهديم جذري ضروري شيدوا قيماً جديدة في جو يذكرنا بجو خلق العالم .

ان هذه الثورة الشعرية أصبحت ممكنة بفضل ثورة داخلية في الانسان وثورة في علاقاته مع العالم . لم تستطع قرون عشرون ، مارست خلالها الديانة المسيحية ، مختلف أنواع الضغوط على الانسان ، أن تنزع شهواته

---

(١) — نفس المرجع .

(٢) — لوتريامون .

وتقضي على الرغبة في اشباعها فنادت السريالية بالقوة الخارقة للرغبة وبشرعية تحقيقها . قد شغل المركيز ساد نصب الوجاهة في البانتيون الذي شيّدته السريالية لعظمائها . وعلى الاعتراض القائل : ان الانسان يعيش في مجتمع تجيب السريالية بأنها تريد أن تقضي قضاء مبرماً على العلاقات التي تفرضها الاسرة ، والآداب العامة والدين . « لقد وضعت الشرائع ، وقواعد السلوك ، والجماليات ليفرض عليك احترام الاشياء الهشة . يجب أن نحطم كل ما هو سريع العطب (١) » . « فأبطالنا هم ، فيوليت نوزيير قاتلة أبيها ،والمجرم المجهول في القانون العام ، ومنتهك الحرمات الواعي والمتفنن » . قد حلّ التناقض الحاد في المقارنة بين الثائر والمتملك ، وبين العبد وسيده ، مكان التناقض في المقارنة التقليدية بين البورجوازي والفنان » . وإذ انطلق السرياليون من مثالية صوفية لتفوق قدرة الروح الخارقة على المادة توصلوا نظرياً على الاقل ، إلى تجسيد الثورة في طبيعة الاشياء ذاتها إذ تمادى كثيرون منهم إلى درجة أمدّوا الاحزاب السياسية والثورية بالمناضلين وانتهى القضاء على العلاقات التقليدية بين الناس إلى تشييد علاقات جديدة ونموذج جديد للانسان .

ان الحركة السريالية تتحرك على مستويات مختلفة . ولم ينقصها سوى علماء ورياضيين ، ومهندسين يضعون أساليبها قيد التنفيذ ، كل في حقله الخاص ، وذلك في محاولة رسم صورة شاملة لانسان الغد .

---

(١) — أراغون ، مغامرات تيليماك .

٢ — الشعراء أثناء الحرب

« أعتقد حقاً بعد البحث والتدقيق ، أنه من الافضل أن اتبنى لفظة سريالية بدلاً من فوطبيعية التي سبق لي أن استعملتها . ف « سريالية » لاتوجد بعد في المعاجم : وقد تسهل معالجتها أكثر من فوطبيعية التي استعملها السادة الفلاسفة » .

غيوم أبولينير .

(رسالة إلى بول ديرميه ، مارس / آذار ١٩١٧)

أثناء الحرب العالمية الأولى ، التحق الشعراء الشباب بالجيش ، الواحد تلو الآخر ، كلّ بفوج تعبئته . ولم يجدوا في الشعر القديم ، جواباً على الاسئلة التي أخذوا يطرحونها على أنفسهم . قد كان نرفال ، وبودلير ، ورامبو وبخاصة لوتر يامون . ولكنهم لم يكونوا على قيد الحياة وكانت الفترة التي عاشوا فيها مختلفة تماماً . وكان فيفرنسا احياء ولاريب أمثال : أبولينير (الذي طلب أن يلتحق بالخط الأمامي في الجبهة ، فتواجد معهم لكن تفكيره لم يتجاوب مع تفكيرهم تماماً) ، بيكاسو الذي كانوا يجلوّنه ، وهنري ماتيس ، وماري لوزانسان ، وماكس جاكوب ، والجمركي روسو ، وديران ، وبراك وفرنان ليجير الخ . . . من رسامين أو شعراء محدثين ، وقد قاطعوا الافكار التقليدية ،قد أعلنوا أنفسهم عصريين ، ولئن تكن معرفة السرياليين

بهؤلاء جميعاً قليلة ، الا أنهم قرأوا لهم على الاقل أو سمعوا الاطراء على أعمالهم قبل الحرب ، في مجلة أبولينير وبول سيروس (سيرج فيرات) : أمسيات باريس . كذلك فكروا ملياً في خضم اضطرابات عام ۱۹۱۷ بالبيان — الخطة الذي وضعه أبولينير تحت عنوان « الروح الجديدة » :

« كان التقصي عن الحقيقة ، والبحث عنها على حد سواء في المجال الاتني مثلاً أو المجال الخيالي هو الصفة الرئيسية لهذه الروح الجديدة ، فالروح الجديدة تقبل اذن بالتجارب الادبية ، على أنواعها ، حتى الجريئة منها ، والتي تبتعد أحياناً عن الوجدانية . فلهذا السبب ليست الوجدانية سوى مجال للروح الجديدة في شعر اليوم الذي كثيراً ما يكتفي بالبحث والتنقيب دون الاهتمام باعطائها مدلولاً غنائياً . غير أن هذه الابحاث تبقى نافعة لانها كوّنت فيما بعد قواعد لاسلوب واقعي جديد . . .

وتصبح المفاجأة الحافز الاكبر الجديد : الاسلوب الجديد يتميز عن جميع الحركات الفنية والادبية التي سبقته ، بعنصر المفاجأة والمكانة التي يجعلها لهذه المفاجأة . فلسنا بحاجة ، في بدء بحثنا ، إلى اختيار حدث ما عرف بسموّه ، واللجوء إلى أنظمة قد سبق للذوق أن أقرّها ، بل نستطيع الانطلاق من حدث يومي ، مثلاً : إن « منديلاً يقع » ، يمكن ، أن يصبح رافعة ، يرفع بها الشاعر عالماً بأسره . . . » .

ألم يكن هذا ، بالحقيقة ، تفكير هؤلاء الشبان الذين بلغوا العشرين من العمر : أندريه بروتون ، بول ايلوار ، بانجمان بيريه لويس أراغون ، فيليب سوبول ، وهل نعجب من أن يبدو لهم أبولينير ، في هذه اللحظة بالذات ، مثل اله ؟ « ان معرفتنا به ستعدّ حسنة نادرة » فقد قال أندريه

بروتون عام ۱۹۱۷ ، وهو يبجلّ من كل قلبه شعر « الساحر » (۷) :

فبالرغم من كل شيء ، وجد هؤلاء الشعراء ، ملجأ في الشعر والتمرّس به . قد ينطبق هذا القول على بروتون أكثر من سواه لانه حاول ، مقتفياً هكذا آثار مالارمي ، أن يضيف على اكتشافات المعلم الدقيقة (۲) .

غير أن لقاء مهماً أحدث بعد قليل تغييراً في مجرى حياته . هو لقاؤه جاك ڤاشيه في نانت في أوائل عام ۱۹۱٦ . كان الشاعر (« Le Pohète » كما كان يدعوه فاشيه) عندئذ في مركز للامراض العصبية ، شارع بوكاج ، حيث كان فاشيه يعالج لجرح في ربلة ساقه. فأخذ « تصرف هذا الشاب الانيق ، ذي الشعر الاصهب » يثير اهتمام بروتون : « بما أنه مرغم على ملازمة الفراش ، كان يشغل نفسه في رسم وتلوين مجموعات من البطاقات البريدية ويخترع لها روحاً فريدة . وكانت الموضة « الرجالية » مرتعاً لخياله . انه يحب هذه الوجوه الجرداء ، والوقفات الصلبة التي طالما نلاحظها في الحانات . كان يقضي ساعة من الوقت ، صباح كل يوم ، في تنسيق صورة أو اثنتين ، وبعض

(۱) – أندريه بروتون ، « غيوم أبولينير » . الخطوات التائهة .

(۲) – قصيدة نشرت في الفالانج وضعت في مونت دي بياتيه .

العناقيد الناضجة و أماني التافهة تشرق
بالذهب الاخضر بالصحو الناعم حتى يتعجب
للمتعة البريئة التي تطوق شعرك
يا حلوة لا تحسد سوى الاثير الرتيب
أضرع إليك كئيباً لقدرة ذلك المعطف السحري
جنية تمشي على الارض ، قد تكونين حزينة بل متمردة
أكثر منك مستسلمة لمنحدر تريدينه

زهرات البنفسج في اناء فوق منضدة صغيرة ، على متناول يده ، عليها غطاء من الدانتيل . . . وكنا نتحدث عن رامبو (الذي أبغضه دائماً) ، وعن أبولينير (الذي كان يعرفه قليلاً) وعن جاري (الذي كان معجباً به) وعن التكعيبية (التي لم يثق بها) . كان يضنّ بالتحدث عن حياته الماضية ، وأظن أنه كان يلومني على حماسي للفن والتجدد اللذين من ذلك الحين . . . امتاز فاشيه بموقف اللامبالي ازاء كل شيء . . .

وكان يتنزه أحياناً في شوارع نانت ، مرتدياً زيّ ملازم في الخيالة ، أو زي طيّار أو طبيب . وكان إذا ما التقى بك يبدو وكأنه لايعرفك ، ويتابع طريقه دون أن يلتفت إلى الوراء . ولم يكن فاشيه يمدّ يده للمصافحة ، للتحية أو الوداع . . . (١) .

ولم يلتقيا فيما بعد ، سوى خمس مرات أو ست، وبخاصة في الرابع والعشرين من شهر حزيران عام ١٩١٧ ، أثناء العرض الاول لمسرحية أبولينير السريالية : « ثديا تيريزياس » .

« في معهد موبيل للموسيقى ، التقيت بجاك فاشيه ، وكان عرض الفصل الاول قد انتهى لتّوه ، وإذا بضابط انكليزي يثير ضجة كبرى في الاوركسترا : انّه هو حتماً . لقد أثار استنكار التمثيلية مشاعره إلى دوجة عالية فدخل القاعة ، شاهراً مسدسه ، وأخذ يتحدث عن اطلاق النار على الجمهور (٢) » .

ووجدنا صدى لهـذه الذكرى بعد عشـر سنوات ، في

---

(١) أندريه بروتون ، « الاعتراف المزدري » ، الخطوات التائهة .

(٢) — أندريه بروتون ، « الاعتراف المزدري » ، الخطوات التائهة .

البيان الثاني للسريالية حيث بروتون يصرّح بأنه « من مقومات أبسط عمل سريالي أن تشهر المسدسات في الشارع ، وتطلق الرصاص عشوائياً ، قدر المستطاع ، بين الجماهير » . فهذا التقارب البسيط ، يظهر مباشرة ، تأثير جاك فاشيه الفعّال على السريالية . وأضاف موت فاشيه في ظروف غامضة ، بعد الهدنة بزمن وجيز ، هالة على الاكليل الذي توّجت به حياة هذا الانسان الغريب وجعلته من أبرز الشخصيات السريالية . ولذلك فأننا سنلتقي به أيضاً على منعطفات طريقنا ، ونكتفي الآن بتسجيل شهادة بروتون في صاحبه :

« من بعده ان جميع الحالات الادبية والفنية التي يجب عليّ تحليلها تأتي متأخرة ، كما أنها ، لاتسترعي انتباهي إلاّ بمقدار ما أستطيع تقييمها ، بالمعنى الانساني ، بالنسبة لهذا المقياس اللامحدود (١) . . . »

وعن نفسه يقول : « لولاه ربما كنت شاعراً : لقد أحبط في داخلي هذه المؤامرة التي تحوكها القوى المظلمة ، والتي توصل الانسان إلى درجة الاعتقاد بأنه يملك شيئاً لامعقولاً مثل موهبة (٢) . . . »

وقد وصل إلى مسامع بروتون الحديث ، الذي يدور ، حول أرتور كرافان ، وهو مغامر آخر واسع الشهرة ، أصبحت حياته ونهايته ايضاً في عالم الاساطير . لقد أصدر عام ١٩١٣ صحيفة سماها : الآن ، وكان يطبعها بغير انتظام على الورق الذي يلف به اللحّم ، ويوزعها بنفسه على أبواب صالون « المستقلين » .

---

(١) — نفس المرجع .

(٢) — نفس المرجع .

لم ينل هذا الرجل شهرة واسعة ، على الرغم من أن « فراره من سبعة عشر بلداً » كان كافياً ليؤمن له بعض المجد . وهل كان نشاطه في الملاكمة ، أثناء الحرب ، هو الذي أسهم في اندفاع الجماهير إلى صالة « المستقلين » في نيويورك ، ليسمعوه يتكلّم بأسهاب عن الفكاهة المعاصرة ؟ . قد قدم عنها نموذجاً جميلاً إذ أخذ « يجّر نفسه على خشبة المسرح ولايطلق سوى أصوات حاذوقة ، بدأ بعدها بخلع ثيابه ، أمام ذعر الجمهور وقلقه حتّى حضرت الشرطة ، ووضعت حداً لمناورته ، بكل عنف (١) . . . »

كان فاشيه و كرافان شهابين ، نجمين ثابتين في سماء السريالية . وفي عام ١٩١٦ هذا بالذات صدر العدد الأول من « SIC ، مجلة بيير ألبير — بيرو الذي كان يناضل بعناد لصالح الفن الحديث . وكنت تقرأ فيها أبولينير وريفيردي ، أنصار التكعيبية الأدبية والمستقبلية . وقد ساهم فيها فيما بعد ، مساهمة عرضية ، بروتون وآراغون . وكان لريفيردي مجلته أيضا مجلة « شمال — جنوب ١٩١٧ — ١٩١٨ » ؛ وكان يتمتع . وظل يتمتع ، على الرغم من كاثوليكيته ولأسباب سنوضحها فيما بعد ، بنفوذ كبير على مؤسسي السريالية . (٢) .

---

(١) — أندريه بروتون ، « ميزات التطور الحديث » ، الخطوات التائهة .

(٢) — انتقدت « الاخبار الادبية » منح ريفيردي جائزة النوفوموند معلنة ان ماكس جاكوب ودالتي ، وفيليب سوبو ، واراغون ، وبروتون ، كانوا اكثر جدارة بهذه الجائزة . ثم وجه اراغون ، وبروتون ، وسوبو إلى الصحيفة الرسالة التالية « . . نشكركم لتذوقكم ادبنا ، الذي يبقى دون ادب ريفيردي . ولا نخشى فعلا ، ان نعلن بان ريفيردي هو اكبر شاعر على قيد الحياة ، في وقتنا الحاضر . ولسنا بالنسبة له ، سوى اطفال . . . »

الصحيفة الادبية ٣١ ايار ١٩٢٤

كان أبولينير وماكس جاكوب يكتبان ايضا في نور — سود (الشمال — الجنوب) إلى جانب بروتون ، واراغون ، وسوبو . وتغدُ سيك ونور — سود . بالرغم من طابعهما المدمر الواضح ، جزءاً من ترسانة التكعيبية والمستقبلية .

غير أنه كانت تبني خارج فرنسا في سويسرا ، آلة حربية ، هدامة ، تعدّ القضاء على الشعر والفن التقليديين ، ولكن بطريقة منافية تماماً . كانت زوريخ ملجأ يؤمه المهاجرون من كل جنس وبلد . ففي الثامن من شهر شباط ١٩١٦ . تواجد في هذه المدينة ، تريستان تزارا ، وهو شاعر روماني شاب ، ور. هيلسانبيك (ألماني) وهانس آرب (ألزاسي) . وفتحوا المعجم صدفة ، في احدى صفحاته ، واطلقوا اسم « دادية » على حركة ، اغرقت السنوات التي تلتها ، بتفجيرات صاخبة ، احدثت بطبيعة الحال ، تأثيراً فعالاً بدّل في منحى الاهداف المصيرية للسريالية الناشئة . ليس من شك بأن السريالية كانت مدعوة الوجود ، ولكن بصورة مختلفة لولا الدادية .

هذا لايعني ، انه كان لمؤسسي الحركة افكارهم الثابتة منذ البداية . فقد تطورت الدادية بدورها ولم تصل دفعة واحدة إلى الصمود والنفي الشاملين اللذين نعهدهما فيها ، فمطبوعات هذه المرحلة (كاباريه فولتير (مقهى فولتير الفني لعامي ١٩١٦ — ١٩١٧) ، تجمع جيداً بين التكعيبية والمستقبلية مع (مارينتي) ، وروح الدادية التي يتميز بها تزارا . فقد لفت تزارا الانظار حديثاً ، باصداره « المغامرة السماوية الأولى السيد آنتيبيرين » (٢٧ تموز ١٩١٦) حيث نشاهد الكلمات مرصوفة ، احداها قرب الاخرى ، دون أن يبدو لها في الظاهر أي معنى ، وحتى مجيئه

إلى باريس ، كان تزارا يكدس اعداداً من المجلات فوق البيانات المختلفة (الدادية ١ ، ٢ ، ٣ . . .) يصوغ هذه القضية الاساسية : « الفكرة تنشأ في الفم » قضية وجهت الضربة القاضية إلى الامثلية الفلسفية وفتحت الباب أمام اللا رادية . وفي زوريخ بدأ أيضاً عهد المشاهد المثيرة التي ستعرض فيما بعد ، في باريس .

إليكم وصف عرض احد المشاهد ، كما وصفه جورج هونييه :

« على خشبة المسرح ، كنتم تشاهدون اناساً يضربون على المفاتيح والعلب لتحدث موسيقى صاخبة ، وتستمر في الضجيج ، حتى يجن جنون الحضور ويظهروا استياءهم . اما سورنيير ، فكان يضع باقة من الازهار على قدمي مانوكان (تمثال) خياطة ، بدلاً من ان ينشد القصائد : وكان صوت يتلو قصائد من شعر آرب ، يرتفع من تحت قبعة كبيرة تشبه قالب السكر : بينما كان هيلسانبيك يتلو اشعاره بصوت يزداد ارتفاعاً . يرافقه تزارا بالقرع على صندوق كبير ، ملتزماً بالايقاع والكريشندو ذاته ، وكانا يرقصان ويطلقان قرقاً مثل صغار الدببة او يدخلان في كيس واضعين انبوباً على رأسيهما ويترنحان في تدريب يدعى « الكاكادو الاسود » . وكان تزارا يبدع قصائد كيميائية وسكونية (١) . . . »

كان غلاف مجلة الدادية عدد ٣ مزيناً ، باسم جديد ، هو فرنسيس بيكابيا ، الذي عاد من اميركا ، حيث تعرف إلى مارسيل دوشان .

---

(١) — جورج هونييه ، « الروح الدادية في الرسم » دفاتر الفن ، ١٩٣٢ — ١٩٣٤ .

وكان نشاط دوشان في الرسم قد بدأ قبل اندلاع الحرب بكثير ، وزاعت شهرته بعد لوحات « عارٍ يهبط السلّم » و « شاب حزين في قطار » و « المتزوجة » و « الملك والملكة بينهما عاريات » و « طاحنة الشوكولاته » ولكنه ، منذ عام ١٩١٢ ، حصر موهبته الفذة وذهنه الثاقب بنوع خاص ، على التوقيع على الاشياء الجاهزة (ريدي — ميد) وهكذ عبّر عن اشمئزازه من العمل الفني ، واظهر انه يمكن لكل شيء مصنع ان يرقى ، باختيار الفنان ، إلى « مستوى » الفن . وقد اشتهرت « حاملة القوارير » و « المبولة » المشهورة ، التي عرضت في نيويورك عام ١٩١٧ تحت اسم « سبيل » . وقد دفعته هواجسه في الصدفة وسننها إلى ان يركب آليات متنوعة وفي غاية الدقة ، ويهتم بدرس وتنسيق وظائفها ، فأتت النتائج محيرة في هـذا بالاضافة إلى الرسم على الزجاج الذي اندفع في مجاله مع لوحة « المرأة عرّاها العازبون » التي امضى عدة اعوام في صنعها . والتي ترمز إلى البحث عن المستحيل . وكان بيكابيا قد اسهم في مجلات دوشان : « كاميرا وَرْك ٢٩١ » و«ذي بلاندمان » و « رونغ — رونغ » . ولربما أخذ من دوشان تذوقه لهذه الرسوم التي تدور مواضيعها حول الميكانيك : العجلات ، المسننات ، والآليات التي لم يعرضها امام البرسولينين في مجلته ٣٩١ ، إلا بعد ان غادر زوريخ .

لم يكن الفرنسيون في هذه الفترة ، على علم بهذا النشاط الزوريخي ولم ير بروتون اعداداً من مجلة « الدادية » للمرة الاولى ، إلا في عام ١٩١٧ وعند ابولينير فقط . لم تتوطد الدادية في باريس الا بمجيء

تزارا « المنتظر مثل مسيح » عام ١٩١٩ ، وبانتظار قدومه ، كانوا يقرأون قصائد ايلوار : « الواجب والقلق » (١٩١٧) ، وقصائد سوبو : « اكواريوم » (١٩١٧) ، وجميعها محاولات وأبحاث شخصية بعيدة كل البعد عن تأثير الدادية .

وفي الفترة التي سبقت توقيع الهدنة ، كان مؤسسو السريالية العتيدون يسبحون في جو الحرب المقوي لحركتهم بنوع خاص . وقد جرفوا ، شاؤوا ام ابوا ، بهذا التيار العارم الذي اسماه البير — بيرو ، « الفكر الحديث » . كانوا يجلون بعض المتقدمين امثال : بيكاسو الذي لايزال يثير دهشتهم . وابولينير « آخر شاعر كبير » (بروتون) ، وريفيردي الذي يستعمل عدداً من الوسائل السريالية في قصائده الرائعة ، و« ماكس جاكوب » المهرج النابغة . وكذلك فرحوا واعجبوا بـ« الخطوط البديعة » لابولينير التي ظهرت في مجلة سيك . وقصائد البير — بيرو الموضوعة « للصراخ والرقص » . وفيما بعد قاطعوا المدرسة التكعيبية الادبية هذه ، عندما لاحظوا انه بحجة تقديم الجديد (واتباع الفكر الحديث يقدمون الجديد ايضاً) كانوا يعودون إلى طرح الاسئلة ذاتها ، دون الاجابة عليها ، ضمن دائرة مغلقة . هل سيقصدون ، دائماً تسلية العين والاذن وحتى العقل ؟ لقد كتب جاك فاشيه إلى بروتون : « الفن حماقة » وردد تزارا صداه من زوريخ قائلاً : « كل ما نشاهده خطأ » . ألم يكن من الافضل ، عندئذ ، كسر الدائرة الخشبية بدلاً من اعادة الدورة المستمرة للخيول الخشبية . هذا ما كان يقوم به تزارا بتفوق ، ويجمع حوله موالين متحمسين في المانيا المهزومة ، التي أصبحت فريسة المجاعة ، والفقر ، والانتفاضات الثورية . واخيراً هذا ما سيقوم به بروتون واصدقاؤه .

٣- الداديّة

« ما الجميل ؟ ما القبيح ؟ ما العظيم ؟ ما القوي وما الضعيف ؟ من هو كاربانتيه؟ من هو رينان ؟ وفوش ؟ لاأعرف . من أنا ؟ لاأدري . لاأدري . لاأدري » لاأدري . »

جورج ريبمون — ديسانيي .

لم يعرف فاشيه « الدادية » ويستبعد ان يكون قد عرفها ذات يوم . حتى أن نشره « رسائل الحرب » عام ١٩١٩ ، لايسمح لنا بالتفكير أنها لعبت فيها دوراً ما وهو الذي تملكته « فكرة لاجدوى المسرح وكان خلواً من الفرح » غير ان الرسائل التي كان يوجهها إلى أصدقائه والتي يستطيع الجميع قراءتها اليوم ، تسير في نفس الاتجاه الذي اتخذته الدادية هدفاً لها

« اننا لانحب الفن ولا الفنانين (ليسقط ابولينير) . . . إننا نجهل ما لارّميه ولا نكرهه ، ولكنه توفي . لم نعد نعرف ابولينير — لانه — يتعمد صناعة الفن فيما نظن ، في حين يجهل صناعة المحركات ويرتق الرومنسية بسلك هاتفي ! فصلت الكواكب عن مداراتها ! هذا مزعج — ثم ، الا يتكلمون بين حين وآخر ، بجدّية ! يا لغرابة الانسان ذي المعتقدات ! **ولكن بما أن بعضهم ولدوا ممثلين فاشلين . . . »**

لايؤمن إلا بالسخرية السوداء مثله مثل الشاعر الوحيد الذي يعجب به جارّي .

« ساحر هو من لايستسلم ابداً لحياة خفية كئيبة . ايتها الساعة التي توقظيني صباحاً — عينان — ومرآتي — كم تكرهني ! . . . ساحر من يحس بكذب سراب الرموز الشاملة . هي رمزية من طبيعتها . . . »

هاكم اعلاناً دون لبس ، فيه مفتاح عقمه ، « السخرية غير منتجة » ، هو مطلق يعرف أنه لن يتحقق : « ولكن ما العمل ؟ أمنح قليلاً من الحب إلى لفكاديو لانه لايقرأ ولا ينتج إلا باختبارات مسلية ، كالقتل مثلاً — وهذا بعيداً عن الاسلوب الغنائي الشيطاني — يا صديقي القديم العفن بودلير ! كانوا بحاجة إلى لحننا الجاف قليلاً : آليات . رحويات بزيوت نتنة — أزيز — أزيز — أزيز — صفير — ريفيردي — الشاعر المسلي والناثر الممل . ماكس جاكوب ، ياصديقي القديم اللامبالي والساخر — دمى متحركة — دمى متحركة — دمى متحركة — هل تريدون دمى متحركة من خشب ملون ؟ عينان تشبهان الشعلة المحتضرة وحلقة كريستال في نظارة ، مع آلة كاتبة لا تتوقف — أفضل هذا ! »

نشرت رسائل الحرب « لجاك فاشيه برعاية فريق مجلة « ادب » الملتفين حول مجلة صغيرة ، ذات غلاف اصفر ، كانت تتباهى بمدرائها الثلاث : لويس اراغون ، اندريه بروتون وفيليب سوبو الذين لم يزالوا بعيدين عن الروح الدادية . ولكن ماذا نجد فعلاً في هذه المجلة ؟ نجد اندريه جيد ، الذي نال حظوة كبرى ، عند المسؤولين عن مجلة « ادب » منذ ظهور « كهوف الفاتيكان » ، وبول فاليري الذي لزم الصمت منذ عشرين عاماً قد أعلن هكذا عن عودته الرسمية إلى الادب ، وليون بول فارغ ، واندريه سالمون ، وماكس جاكوب ، وريفيردي ، وساندرارس ، وجان بولهان . ونجد فيها ايضاً « قصائد » لايزيدور

دوكاس ، كونت لوتريامون ، وإذا كنا نتعرف عبر الاعداد الصادرة خلال عامين ، إلى شبان يقصدونها للتمرس امثال راديغي ، دريو لاروشيل ، بول موران فاننا نلتقي ايضاً بمن هم أكبر سناً امثال جول رومانس ابي **الاجماعية** . وذكرى ابولينير مصونة تماماً ، وكذلك ذكرى مالآرميه . ويخبرنا الكاتب القصصي الشعبي جول ماري كذلك عن ذكريات طفولة كروس ورامبو . ونقرأ فيها ايضاً مقالات يتحدث فيها ج . م . سانج عن ريمون روسيل مؤلف « **انطباعات عن افريقيا** » .
ان فريق **أدب** حديث بأفضل معنى لهذه الكلمة ، بيد انه عرف اهتمامات جديدة مثل : اعادة النظر في بعض القيم . والبحث عن دوافع الابداع الفني ، وقيمة المصير الانساني للشاعر . . . اهتمامات تفجرت في الاستقصاء الشهير : « لماذا تكتبون ؟ (١) . الذي أتت عليه الاجابات مذهلة ، او متهكمة ، أو تافهة خالية من كل معنى ، وقد صنفت تصاعدياً ، حسب اهميتها ، في نظر مديري **أدب** الشبان ، وهذا ما أتاح لنا ان نتابع ونحدد عن كثب تطور الفريق وكان لابد فيما بعد ان يجد اجوبة اخرى ، على اسئلة طرحها من جديد . لانه ، بالرغم من أقوال برو تون الآنف الذكر . فان الفريق ، لايقوم فقط ، بنشاط هدام — فالعودة ثانية إلى لوتريامون ورامبو ، والدراسات الشعرية الصرفة التي قام بها مالآرميه وكروس حتى فاليري ، تدعو إلى « منهجة صراع يباشر به ، يكون أقل فوضوية ، وأقل وقاحة » (٢) في هذه الحقبة

---

(١) — لاجل هذه المرحلة كلها ، استندنا إلى دراسة جورج هونييه السابق الذكر ، بالاضافة إلى قراءة المستندات التي اطلعنا عليها .

(٢) — جورج هونييه ، « الروح الدادية في الرسم » دفاتر الفن ١٩٣٢ — ١٩٣٤ .

بالذات ، اخذت تنتشر اعمال الاستاذ فرويد المثيرة . وكأنه يمسك بيده مفاتيح مخبأ سري ، سرعان ما باشر الثلاثي الاداري لمجلة **أدب** بسبر معالمه . قد يكون في نهاية المطاف ، المخرج المرتقب ابداً ، والمرفوض دائماً .

بالفعل اتى تزارا ، وطرح كل شيء على بساط البحث من جديد .

وصل إلى فرنسا تسبقه شهرة لم يغتصبها اغتصاباً : وإذا ما تركنا جانباً ما حمله لهذه الحركة ، وهو شيء عظيم ، نرى انه لعب دور الحافز للاتجاهات الثورية التي كانت تحرك مجموعة **أدب** والمتأثرين به « واخيراً ، وضع دخوله حداً لجميع هذه النقاشات السخيفة والقديمة التي كان سأم العاصمة يزداد منها يوماً بعد يوم . انه لايتفق بتاتاً مع الاعضاء المتخلفين ، هذا ما اعترف به بروتون فيما بعد .

في خضم الخصام مع الرجل الذي « يسير والتحدي في نظرته (١) » . فمنذ وصوله ، تغيرت الاوضاع فعلا وبه بدأت الدادية حياتها الباريسية المدهشة . فقرر ، بادىء الامر ، ان يعرّف نخبة العاصمة به ويعطيها لمحة خاطفة عن مواهبه ، وذلك ضمن تجديد عرض اكثر شمولاً للمشاهد المثيرة التي سبق وقدمها في زوريخ . ونقرأ في عدد **أدب** الصـــادر يوم الجمعة (في ٢٣ يناير ، كانون الثاني ١٩٢٠) ما يلي :

« استهل اندريه سالمون الكلام ، وتليت بعض القصائد . وكان الجمهور مسروراً لمشاهدته بعض الفن ، ولكن سرعان ما زال انشراحه ، لان مقنعين راحوا يتلون قصيدة مفككة لبروتون ، وتحت عنوان **قصيدة** ، قرأ تزارا مقالاً في صحيفة ، بينما كانت ترافقه

(١) — اندريه بروتون ، « مميزات التطور الحديث » الخطوات التائهة .

اجراس ونواقيس خشبية باصواتها المزعجة ، فمن الطبيعي اذن ان ينفذ صبر الجمهور الذي اخذ يطلق صفيراً حاداً . وتتويجاً لهذه الغوغاء الصاخبة عرضوا بعض الرسوم بينها لوحة لبيكابيا ، أثارت الاستنكار من الناحية التشكيلية . وكانت هذه اللوحة مركبة من نماذج لبعض لوحات بيكابيا وبياناته في ذلك العهد وتحمل عنوان لهوك (١) « L, HOOQ

وخلق الجو وشمل تقرير الدادية لشهر شباط اسماء بيكابيا وتزارا ،واراغون ، وبروتون ، وريبومون ، وديسانيي ، وايلوار ، ودوشان ، وديرميه ، وكرافان ، واعلن : « ان الداديين الحقيقيين هم خصوم دادا . فكل واحد هو مدير دادا » (٢) بينما كانت التظاهرة آخذة مجراها وأقيم العرض الثاني في الخامس من شباط في صالة « المستقلين » وضم ثمانية وثلاثين محاضراً لقراءة البيانات والحقيقة أن عشرة اشخاص قرأوا وفي نفس الوقت بيان بيكابيا ، وتسعة تلوا بيان ريبمون – ديسانيي الخ . . . .

لنقتطف من احد البيانات هذه الاسطر التي تؤلف وحدها منهجاً تاماً :

« من الآن فصاعداً . لارسامون ، ولا ادباء ، ولا موسيقيون ، ولانحاتون ، ولا اديان ، ولا جمهوريون ، ولا فلكيون ، ولا امبراطوريون ، ولا فوضويون ، ولا اشتراكيون ، ولا بولشفيك ، ولا سياسيون ، ولا بروليتاريون ، ولا ديموقراطيون ، ولا جيوش ، ولا شرطة ، ولا اوطان ، واخيراً كفانا من هذه الحماقات كلها . **لاشيء ، لاشيء ، لاشيء .**

---

(١) – جورج هونييه ، المرجع نفسه .

« وهكذا نأمل ان يفرض التجدد نفسه التجدد الذي سيكون هو نفس ما لا نريد بطريقة اقل فظاظة على الفور (١) .

وترك الجمهور القاعة ، في الظلام ، وفي حالة فوضى لاتوصف ، بعد ان امطر القرّاء بوابل من قطع النقود الكبيرة ، وذلك ليسرع لمشاهدة شارلي شابلن الذي اخبر المنظمون لحفلته عن وجوده خفية ، وسنرى فيما بعد ، ان الجمهور سيرمي البيض على القرّاء بدلاً من قطع النقود ، فالبيض يضفي عنصراً زخرفياً اجمل من سواه . (مهرجان قاعة كافو) . قد وصف أحد صحافيي ايسياربيس ، وهوخصم معلن للدادية ، معرضاً للمصقات ماكس ايرنيست بهذه العبارات :

« لجأ الداديون ، هذه المرة ، إلى حافز الذعر بالاضافة إلى الذوق الرديء الذي يتميزون به . أجريت الحفلة في القبو . وكانت جميع الاضواء مطفأة داخل المخزن ، وكانت التنهدات تتصاعد من باب السقف ، بينما كان مهرج آخر مختبئاً وراء خزانة ، يشتم باعلى صوته — شخصيات موجودة بين الحضور . وكان الداديون يروحون ويجيئون ، ويخفون اكفهم بقفافيز بيضاء ودون ربطات عنق . . . وكان اندريه بروتون يقضم عيدان الكبريت ، وريبومون ديسانيي يصرخ في كل لحظة « المطر يهطل على جمجمة » . بينما كان اراغون يموء ، وفيليب سوبو يلعب مع تزارا با « لغميضة » . وبانجمان بيريه وشارشون يتصافحان تكراراً . وكان جاك ريغو ، على العتبة ، ، يحصي باعلى صوته ، سيارات الزائرات ولآلئهن (٢) . . . » .

---

(١) — بيان اراغون .
(٢) — اوردها جورج هونييه ، المرجع ذاته .
(٣) — في الوقت الذي كانت فيه الدادية تتجلى .

استمرت الدادية بممارسة التحريضات تجاه هذا الجمهور المتعطش للفن الحديث والانفعالات الجمالية الجديدة والذي كان يقصد مشاهدة ما تأتي به الدادية من جديد ، ايماناً منه ، بأنه يجد عندها ما يبحث عنه بالفعل . ولربما كان اعتنق الدادية فيما لو ارادت هي ذلك ، غير ان الدادية لم تكتف بممارساتها التحريضية بل ارفقتها بدراسات جماعية وفردية في مجالات عديدة وبتهجمات اقل عفوية على الادب والفن الراهنين . هذه المعركة الحاسمة كانت من صنع رجال الادب المصنفين قدامى او حتى من بيكابيا ، الذين قطعوا علاقاتهم فيما بعد بالدادية عندما لاحظوا انها حصرت اهتمامها بوضع مأزق الاضطراب العقيم مكان طريق الفن الراهن المسدود . واطلقت تهجمات على الاشخاص : « إذا قرأت ، خلال عشر دقائق متتالية ، لاندريه جيد ، فان رائحة فمك ستنتن » (بيكابيا في مجلة بول ديرميه : Z) : وتهجمات على قدسية آثار الرسامين السابقين : ظهرت مجلة بيكابيا ٣٩١ ، بغلاف صممه دوشان ، وقد بدت عليه الجوكندا مشوهة إذ اخفيت ابتسامتها الشهيرة تحت شاربين . وقد استعان بيكابيا ايضاً بمجلة كانّيبال ، التي ظهر منها عددان فقط (٢٥ نيسان ، و٢٥ ايار ١٩٢٠) . كسلاح آخر ، ليوجه منها الطعنات المبرحة للدادية (١) . وقد استند بول ايلوار في مجلته الصغيرة

(١) — من احدى مقالات بيكابيا : « . . . يبدو لي دوفايل مثير الاهتمام اكثر من ريبومون ديسايني وكابابلانكا اوفورد مثيري الاهتمام اكثر من مارسيل دوشان وفكتور هوغو مثير الاهتمام اكثر من ماكس ستيرنر . ان باستور مثير الاهتمام اكثر من نيرون ومدام نواي اجمل للعين من تريستان تزارا . . . (الحياة الحديثة ، ٢٥ شباط ١٩٢٣) .

بروفيرب (القول المأثور) التي ظهر عددها الاول في شهر فبراير / شباط ، إلى هذين البيتين لأبولينير :

ايتها الافواه ، ان الانسان يبحث عن لغة جديدة

لن يوجه إليها النحوي ، في اية لغة كانت ، ملامة .

ليتابع دراساته في اللغة ، وقد اخذ على عاتقه اعادة النظر فيها فوجد في الافكار العامة ، و « الاقوال المأثورة » والجمل المنقولة ، القيمة المتفجرة التي كانت تحملها في الاصل وقد فقدتها مع الزمن (١) . فاعاد لها قيمتها بالتورية والابدالية وقلب نظام الكلمات المتبع في الجملة . مثال على ذلك « أتساءل قليلاً : مَنْ يُخْدَعُ هنا ؟ آه ! أُخْدَعُ قليلاً : عمن يسألون هنا ؟ » ونجد بين المساهمين في بروفيرب (مجلة القول المأثور) اسماء بروتون ، اراغون ، وبولهان ، وبيكابيا ، وسوبو ، وتزارا ، وريبومون ، ديسّايني .

وكان بروتون ايضاً يعمل لحسابه . فبعد ان اوصى بالقيام بمجموعة من « الجولات والزيارات في باريس » إلى اماكن اختارها عمداً تافهة (زيارة لكنيسة القديس جوليان الفقير (سان جوليان لوبوفر) في الرابع عشر من نيسان) ، نراه يقاطع معرضاً دادياً في قاعة عرض مونتايني ، ويهيء ، ضد رأي تزارا ، محاكمة باريس الكبرى .

يرى بروتون فعلاً ، بأن الدادية لاتستطيع الاكتفاء بالصراخ ، بل يجب عليها ان تعمل ، ان تعمل بالدرجة الاولى ، بطريقة أقل فوضوية

---

(١) – « أيوجد . . . شيء اجمل ، واخصب ، ومن طبيعة اكثر اثارة ، ايجابياً من فكرة عامة ! » .

شارل بودلير ، صالون : ١٨٥٩ .

وأكثر فعالية وألاّ تكتفي من الآن وصاعداً ، بالتهجم على الفن الراهن ، الذي لايزال مع ذلك على احسن حال ، بل عليها مهاجمة القائمين على توجيهه ، بنوع خاص ، والتشهير بهم ، وكأنهم « خائنون » لقضية الفكر والانسان ، ومحاكمتهم بمقتضى الاعراف التي تتبعها العدالة البورجوازية في مثل هذه الحال . فكان موريس باريّس افضل متّهم ، يقع عليه الاختيار لهذه المحاكمة . كان هذا الكاتب دون شك ذا مواهب ادبية راسخة ، كانت اعماله الاولى التي تنم عن مثالية ادبية ، لاتزعج سرياليي الغد ، لكن الامر انتهى به ، إلى وضع موهبته في خدمة الارض والموتى والوطن وجميع القيم التي ينقم عليها اعضاء جماعة « **أدب** » ويرفضونها . وكانت هذه المحاولة تبدو ضرورية لبروتون بمقدار ما كان المستمعون يتهافتون على الاصغاء لباريس الذي يكمن خطره في ان يحول عن « الطريق القديم » الآلاف من الفعاليات الفتية التي تسعى إلى التوظيف . وهكذا ، بمحاولة واحدة ، فتح ملف محاكمة « الموهبة » ادبية كانت ام غيرها ، والتي بدت لنظر سرياليي الغد ، مثل خدعة فظة .

اعلن في « **أدب** » أن اتهام موريس باريّس ، ومحاكمته من قبل الدادية سيكون يوم الجمعة ، الواقع في الثالث عشر من شهر ايار ١٩٢١ ، في تمام الساعة العشرين والدقيقة الثلاثين ، في قاعة الشركات العالمة ٨ ، شارع دانتون . « وستتألف هيئة المحلفين من اثني عشر مشاهداً (١) » .

---

(١) – شكلت المحكمة على النحو التالي : الرئيس : اندريه بروتون : قاضيان محلفان : ت . فرانكل وبيار دوفال : المدعي العام : ج . ريبومون . ديسايني الدفاع : ل – اراغون وف . سوبو (ياله من دفاع فريد ! لقد طالب برأس موكله بضراوة تفوق ضراوة المدعي العام) : الشهود : تزارا جاك ريغو ، بانجمان بيريه ، مارغريت بوفين ، دريه لاروشيل ، رينه دينان ، غونزاغ مزيك ، هنري هيرتز ، اشيل لوروا ، جورج بيوش ، راشيلد ، سيرج روموف ، مارسيل سوفاج ، جيوسيب اونفاريتي ، الخ .....

وما كان يبدو للمشاهد العادي لوسائل التعبير الدادية ، تهريجاً بريئاً ، اتخذ منحى آخر . بفضل بروتون . وهل كانت مجرد صدفة في ان يغادر باريّس العاصمة في هذه اللحظة بالذات . ؟ وهل هناك حاجة إلى القول ، بان الداديين لم يطلبوا اكثر من هذا ولم يريدوا قطعاً التعرض لحياة باريّس . فوضع تمثال خشبي على كرسي الاتهام بديلاً ملائماً . كان القضاة ، والمحامون ، والمدعي العام يعتمرون القلنسوات المقرّنة ، ويرتدون القمصان والبرانس البيضاء ، بينما قبّع ديوان القضاة بقلنسوات قرمزية . وقد مثل بانجمان بيريه دور الجندي الألماني المجهول .ولنأخذ من قرار الاتهام الذي وضعه بروتون هذه الاعتبارات التي لاتنطبق فقط على باريّس :

« وبما ان الدادية تعتبر ان الوقت قد حان ، لتضع سلطة تنفيذية ، في خدمة عقلها النافي ، وبما انها قد قررت ، ان تمارسها قبل كل شيء ، ضد جميع الذين يجازفون ، بعرقلة ديكتاتوريتها ، تأخذ منذ اليوم احتياطات لتحطم مقاومتهم .

وبما ان الدادية ترى انه إذا كان انسان معين ، في زمن معين يستطيع ان يحل بعض المشاكل ، فانه يكون مذنباً إذا تخلّى سواءً كان بهدف الراحة ام بحاجة عمل خارجي ، او بدافع هوس ذاتي ، او لسبب اخلاقي عما يجعله فريداً بذاته ، وإذا وافق رأي هؤلاء الذين يدعّون انه ، دون خبرة حياتية واحساس بالمسؤوليات ، لا يمكن ان تكون قضية انسانية ، وليس بدونها تملك حقيقي للذات ، او إذا ازعج فيما قد تخبئه من قوة ثورية فعالية الذين قد يحاولون اقتباس تعليمه الاول . فانها تتهم موريس باريّس بجريمة ضد امن الفكر .

لنقتطع جزءاً من الحوار الذي دار بين بروتون وتزارا الذي اراد وفاءً منه لخطته التدميرية الخالصة ان يندفع في نشاطه العادي ، بينما لم يعد بروتون يؤيده في ذلك :

« **الشاهد تريستان تزارا** : انك تتفق معي ، ياسيدي الرئيس ، على اننا لسنا جميعاً سوى عصابة من السفهاء . وبالنتيجة فان الاختلافات الصغيرة ، كأن نكون سفهاء بدرجات متفاوتة ليست بذات اهمية .

الرئيس أندريه بروتون : هل يصر الشاهد على ان يعرف بين الناس كغبي كامل ام انه يسعى ليودع في ملجأ ؟ » .

وقد دون في المحضر : « يسجل الدفاع ان الشاهد يقضي وقته في المزاح » وهذه خطيئة رئيسية ، دون شك ، في هذه المحاولة .

لم يكن هذا التراشق السريع ، بين رائدي الدادية والسريالية ، إلا بداية للمعركة التي سيخوضها هذان الرجلان ، الواحد ضد الآخر ، وهما يمثلان حالتين عقليتين مختلفتين ، ومذهبين » لم يلبثا ان اصبحا متعاكسين احدهما يحتاج إلى الآخر ، تاريخياً ، ليبصر النور ، ولكن حاجته إلى التخلي ، اصبحت اقوى لكي يستمر في الحياة ، انها قضية باريّس ، دون شــك ، ولكنها ايضــاً قضية الدادية التي اخذت ترسم خطوطها الاولى .

وأتى البرهان واضحاً خلال السنة التالية (١٩٢٢) ، عندما شعر بروتون ، بحاجة إلى تحديد الموقف ، بالنسبة للاضطراب الذي حصل بعد الهدنة ، واراد ان يبلور الاهداف الجديدة للفن « الحديث » حسب خطة بناءة ، لذا باشر بالدعوة إلى عقد « مؤتمر دولي لتحديد توجهات الفكر الحديث والدفاع عنه » . بهذا الهدف ، توجّه إلى اشخاص لم يكونوا جميعهم من

مؤيديه . فمنهم الرسامون فيرنان ليجير ، أ . اوزانفانت ، دولوني ، ومنهم الموسيقيون امثال جورج اوريك ، ومنهم الادباء امثال بولهان ، لكن تزارا رفض الدعوة الموجهة إليه بكل ادب (١) . ففي نظره ، ان الامر يتعلق بمرحلة مرّ عليها الزمن بالفعل . « ليست الدادية حديثة » . كما سبق وقال ، عانياً بذلك ، ان الدادية ترفض ، على حد سواء ، الفن الحديث والفن التقليدي ، والفن كله بجميع مظاهره! هل يفكرون بعقد « مؤتمر للفكر الحديث ، لاتمثل فيه الدادية ؟ فامتناع تزارا عن الحضور أحبط محاولة بروتون وأوقع الانشقاق نهائياً . حتى انهم توصلوا إلى تبادل اللطمات ، في نهاية الامر ، كما اسيء إلى بروتون ، وبيريه اثناء عرض « قلب على الغاز » لتزارا (تموز ١٩٢٣) وقد اتيا للاحتجاج وانسحب بيارماسو بذراع مكسورة ، كما ان ايلوار وقع بين انقاض الديكور وانسحب هو ايضاً ، وتبلغ اخطاراً لدفع مبلغ ثمانية آلاف فرنك (٨٠٠٠) لقاء الاضرار .

وبكل ارتياح قاطع بروتون واصدقاؤه الدادية ، وأوضح اسباب تحوّله وهو يهاجم تزارا ويوجه إليه اتهامات لا قيمة لها ، منها انه نفى عنه الابـوة لكلمة « دادا » فلاحظ ، في بادىء الامـر ، موت الدادية (٢) ولم يعد يرضى ابداً بان يتعلّق بترّهات لان الدادية ، « مثل

(١) — « اقول لك ، بكل اسف ، ان التحفظات التي ابديتها بالنسبة للمؤتمر ، لن تتغير ، فيما لو شاركت فيه ، ولا يطيب لي ، وجوب رفض العرض الذي تقدمت به إلي » . تريستان تزارا رد على بروتون ،

(٢) — « تبع الموكب القليل العدد مواكب التكعيبية والمستقبلية التي كان طلاب الفنون الجميلة يحملون صورها ويريدون اغراقها في نهر السين . لم تخلف الدادية إلا القليل من الاسف ، بالرغم من الشهرة الواسعة ، التي عرفتها ، لمدة قصيرة . قد اصبحت لا تطاق مع مرور الزمن ، بسبب ديكتاتوريتها واستبدادها . وإذا كنت ، قد امتنعت ، العام الماضي ، عن المشاركة في المهرجانات التي نظمتها الدادية في صالة عرض مونتايني ، فذلك يعود إلى أن مثل هذا النوع من النشاطات لم يعد يستهويني ، ولأني كنت اجد فيه سبيلا لبلوغي السادسة والعشرين من العمر ، والثلاثين بكل سهولة ، وقد قررت الهرب من كل ما يتقنع بهذه السهولة . . . » بعد الدادية ، (في الخطوات التائهة) .

اشياء اخرى كثيرة ، لم تكن بالنسبة لبعضهم ، سوى طريقة لتوطيد مركزهم . فكسر بروتون الحلقة المفرغة وتابع مسيرته إلى الامام :

« تخلّ عن كل شيء . تخلّ عن الدادية . تخلّ عن امرأتك . تخلّ عن عشيقتك . تخلّ عن آمالك . ارم اولادك في احدى الغابات . تخلّ عن الفريسة لاجل الظل . وان اقتضت الحاجة ، اترك حياة هنيئة ، وما يقدمون لك لاجل منصب في المستقبل . وانطلق متسكعاً على الطرقات (١).

انه ليس وحيداً ، فهو يحيي اصدقاءه القدامى اثناء مروره بهم : « يبقى لنا بيكابيا ، دوشان ، وبيكاسو . أصافحكم باليد ايها الاعـزاء الذين لاتزالون اصدقائي ، لويس اراغون ، بول ايلوار ، فيليب سوبو . هل تذكرون غيوم ابولينير ؟ وبيار ريفيردي؟ أليس صحيحاً اننا ندين لهم بالقليل من قوتنا ؟ (٢) » .

ويستقبل القادمين الجدد :

« ولكن الآن جاك بارون ، روبير ديسنوس ، ماكس موريس ، روجيه فيتراك ، وبيار ريفيردي ، ماسو ينتظروننا . لن يقال ان الدادية لم تنفع شيء آخر سوى ابقائنا على هذه الحالة من الجاهزية ، التامة حيث نحن والتي سنبتعد عنها بفكر ثاقب ساعين وراء ما يشدنا (٣) » .

ومنذ هذه اللحظة ، لم تعد لمجلة « **أدب** » في سلسلتها الجديدة (اذار ١٩٢٢ إلى حزيران ١٩٢٤) علاقة البتة مع الدادية ، وهكذا اصبحت الناطق بلسان تيار جديد ينوي ألاّ يتقيد ابداً بالاضطرابات الهدّامة .

---

(١) — « لم يكن عصرنا عبثاً ، على درجة تركيز ذهني كثيف ، فهل نقبل دائماً بان نتعلق بترهات ! . . . المرجع ذاته .

(٢) — اندريه بروتون ، « تخل عن كل شيء ! مصنفة في (الخطوات التائهة) .

(٣) — المرجع ذاته .

٤ – « المحرضون » على السريالية

« ان العلم الذي اخوض فيه علم يتميز عن الشعر ، اني لاامتدح هذا الاخير ، بل اجتهد في اكتشاف ينبوعه ، فمن خلال الدفقة التي توجه كل فكرة شعرية ، يميز اساتذة البليار تطور القضايا العاطفية »

لوترايامون

« لانحتاج إلى الانتماء إلى اجداد فيما يخص باب التمرّد » . هذا ما صرّح به بروتون عام ١٩٢٩ (١) . قد يمكن ذلك، ولكن السرياليين اجتهدوا بالبحث عن اجداد لهم فيما يخص الشعر ، فسلطوا اضواء جديدة على شعراء خالدين ، واعادوا إلى وضح النهار ، شعراء منسيين لايستحقون الاهمال وقد استلهموا في اختيارهم هذا المعيار الذي وضعه كريستيان تزارا بمنتهى الوضوح عام ١٩٣٤ ، وقدموا هذا الدليل على ما تأثروا به علناً او خفية :

« لنسرع بالكشف ، عن سوء التفاهم ، الذي كان يدعي « تصنيف الشعر في باب وسائل التعبير . لم يُعد احد ، يهتم بالشعر الذي لايتميز عن الروايات الا بشكله الخارجي ، وكذلك بالشعر الذي يعبر عن بعض

(١) — اندريه بروتون البيان الثاني للسريالية (١٩٢٩) .

الافكار ، او العواطف اقدم نقيضاً له الشعر كنشاط فكري . . . من المعترف به تماماً ، في ايامنا ، انه قد يكون شاعراً من لم يكتب بيتاً واحداً من الشعر ، وان هناك نوعية من الشاعرية في الشارع او المتجر ، وفي اي مكان : يكمن الشعر حيث يخيم الغموض (١)» . .

إذا ما عدنا إلى العصور الغابرة ، نجد ان هذه النظرة الجديدة ، تجعلهم يعجبون بـ « نقديات العصور الوسطى (مجموعة من النصوص النقدية) التي تمزج التفكك بالافراط في العصور السخيفة (٢) . ويلاحظون ، ان القرن السابع عشر ينتهي ، وقد تراكمت فوقه الديون المرهقة . على خلاف القرن الثامن عشر الذي رأى ولادة ينبوع تضخم في مسيرته نحوهم ، حتى شكل الرواية السوداء ، التي تتناقض تماماً بـ :

« محبتها للاشباح ، وانواع السحر ، والتنجيم ، والشعوذة ، والرذيلة ، والحلم ، والحماقات ، والنزوات والفولكلور الحقيقي او المبتدع ، والميثولوجيا (لا بل المخاتلات) و الاوهام الاجتماعية او غيرها ، والرحلات الحقيقية او الخيالية ، والسلع المتنوعة الرخيصة الثمن ، والعجائب ، ومغامرات ، وعادات الشعوب البدائية، وعموماً بحبها لكل ما يخرج من الأطر الجامدة حيث وضع الجمال لكي يتماثل مع العقل (٣) . . . » مع المؤلفات المنطقية و العلمية التي وضعها العقلانيون الذين لن يلبث السرياليون أن يكتشفوا عطاءهم الثوري الحقيقي .ولم يشاؤوا ان يمعنوا النظر إلا في بعض الوجوه امثال هوراس والبول ، كاتب **قصر الأوترانت** ، وآن راد كليف ، وماتوران ، وليويس ، وبدون شك « ساد » الذي جعل من حياته « **رواية سوداء** » حقيقية .

---

(١) – تريستان تزارا ، دراسة عن حالة الشعر (في العدد ٤ من S·A·S·D·L·R)

(٢) – الثورة السريالية ، عدد ٦ .

(٣) – تريستان تزارا ، دراسة عن حالة الشعر ، المرجع ذاته .

وقد نسج السرياليون اسطورة حول اسمه ، فهو في نظرهم ، يرمز إلى المثال الاعلى والأكثر اثارة . فنظرته المادية الجلية وبحثه عن المطلق في اللذة بجميع اشكالها وخاصة في المجال الجنسي ، ومعارضته للقيم التقليدية ولمن يمثلها ، ومواهبه ، ان هذا كله بمثابة مقومات للانسان المتكامل كما يتصورونه .

فمع الرومنسية الفرنسية والانكليزية وخاصة الألمانية ، برز في الادب والفن حب الغرابة ، والهزل ، والمفاجأة التي كانت من مقومات « الرواية السوداء » وليس هذا فحسب، بل حب البشع المقارن بالجميل ، والحلم ، والهواجس والكآبة ، والحنين إلى « **الفردوس المفقود** » مع ارادة التعبير عن الشيء الذي لايعبر عنه . ففي فرنسا ، اعتبر السرياليون فكتور هوغو في « **نهاية الشيطان** » و « **الله** » اقل منزلة من ألوازيوس برتران ، و « **صغار الرومنسيين** » بيتروس بوريل ، وشارل لاسّايي اللذين يضفيان على هذه الرومنسية المعتبرة « **قاصرة** » لون الثورة والمغامرة والصدق ، الذي يجعلها تتناقض مع الكلام الموزون والمقفى في اعمال لامرتين وفينيي ، ونذكر بنوع خاص نرفال الذي اظهر لتزارا ان الشعر يهرب من القصيدة ويستطيع ان يوجد بدونها وذلك بوصفه حالات احلامه بأنها « طبيعية جداً » وبهبوطه بالشعر إلى الحياة اليومية بطريقة مفجعة للغاية ، وبما انه مترجم **فوست** عن غوتيه ، ومسافر لايكل ، ومغرم ببلاد ما وراء الرين ، فقد حقق على احسن وجه العلاقة الحميمية مع هذه الرومنسية الألمانية الصوفية ، والمثالية ، والحالمة ، والميتافيزيكية (١) ، التي نجدها لبضع سنوات خلت ، في « **أحلام** » جان بول كما

(١) — انظر كتاب البير بيغان ، الروح الرومنسية والحلم (كورتي) .

في « **اناشيد الليل** » لنوفاليس وفي قصائد هولديرلين، و« **قصص غريبة** » لأشيم أرنيم. لقد فتح الرومنسيون الالمانيون مجالاً جديداً استغله فيما بعد السرياليون بكل شغف ، قبل ان يتحولوا عنه بحجة القيام بابحاث اكثر فعالية : فبالنسبة لهم ، ان هؤلاء « الحالمين » لايحطمون ابواب السجن حيث يتخبط الانسان ، بل يغادرونه من فوق ، بوسائل يشمئز منها بروتون واصدقاؤه ، ما عدا الاقلية منهم وأرنيم بنوع خاص .

يجب ان ننتظر بودلير ، « العرّاف الاول والشاعر الحقيقي (١) » ، **ليرشدنا** إلى المخرج . **قد** ارشد إليه فقط ، لانه بقي ملتزماً بمشاغل شكلية في فن أوصله فعلاً إلى الكمال ، ولكنه افسده ايضاً ، حسب ذوق السرياليين ، برومنسية ذات مستوى منخفض « ونزعة فطرية منحلة إلى الشر ». ان بودلير الحقيقي هو في **مشاهد باريسية وقصائد نثرية** اكثر منه في **ازهار الشر** ، فهناك يجيد التعبير عن الناحية الخفية من الحياة اليومية التي تشكل الميدان السريالي الحقيقي . ولئن نجح في الارشاد إلى المخرج ، فبسبب « معارضته للعالم البورجوازي (٢) » . (معارضة ستجعله يتسلق فوق متاريس حزيران من عام ١٨٤٨) وإلى « قابليته الروحية ونقمته المستمرة (٣) و بحثه عن « شيء آخر » استمر بملاحقته ، دون جدوى ، طوال حياته .

ان خلفاء بودلير ، المباشرين او البعيدين ، باستثناء لوترايامون ، رامبو وجارّي ، (الذين سنتكلم عنهم على حدة بسبب تأثيرهم الحاسم في السريالية) ، يصبون جهودهم بنوع خاص ، على شكل القصيدة ، ويهدفون إلى تحريرها من القوالب التقليدية ، او على اللغة التي يتخذونها

(١) – رامبو .
(٢) – تزارا ، دراسة . . . المرجع ذاته .
(٣) – المرجع ذاته .

وسيلة اكثر دقة في خدمة هدفهم ، وهذا ما قلل من فعالية محاولتهم بشكل مقصود وعام . وبهذا المعنى ، يعد اسهام مالارميه ، ذا اهمية لابأس بها ، فهو مفتت الاسمنت الصلب في قلعة اشتهرت بانها لاتهاجم اعني علم النحو (١) » . نعرف مقدار التقدير الذي حمله له بروتون بادىء الامر ، ونعرف ايضاً كم كان سريعاً ابتعاده عنه . ولا يستهان ايضاً بالاسهام الذي حققه شارل كروس ، هويسمانس ، جرمان نوفو ، ولكن إلى جانب الاكتشافات الشعرية ، والالفاظ النادرة ، ووثبات قصيرة نحو السماء الصافية ، كم يوجد من الحثالات ، والتصنعات الكلامية ، والتكلف الادبي ! هفوات تتكاثر في المدرسة الرمزية التي « تبدو تافهة (٢) » لنظر السرياليين . يحتفظون منها بالمقدمة الرسمية لبيت الشعر غير الموزون وبعض المقاطع من « **الغرف الزجاجية الدافئة** » لميترلينك . والقسم الاكبر من مؤلفات سان بول روكس . لقد اسدل ليل النسيان فوق ستوارت ميل ، ورينه غيل ، وفيالي غريفين ، فالشعر (إذا ما شبه بصبية حسناء) لايطلب فرساناً في خدمته ، بل يريد مغرمين ، يعرفون ان يغتصبوه إذا ما اقتضت الحاجة ، ولم ينجح احد في هذا المجال احسن من الفريد جارّي ، وارتور رامبو ، وايزيدور دوكاس ، كونت لوترايامون . فهؤلاء الثلاثة عرفوا ، بطرق مختلفة ، ولكن بنفس الاندفاع اليائس ، ان يمزجوا حياتهم بحياة الشعر ، وينزلوه من المنصة التي كان يتنصب عليها ، ليعانقوه بحب وشغف .

مزج جارّي ، في هذيان مستمر ، وجوده بوجود الأب اوبو ، وتقمص إبداعه في ادق التفاصيل ، إلى درجة نسي فيها حالته المدنية ، وبيّن هكذا كيف ان الفكاهة ، هذه القيمة العظمى تقتحم حياة « الذين

---

(١) — تزار ، دراسة . . . . .

(٢) — تزارا ، دراسة . . . .

يعرفون » : هذه الفكاهة التي فجرها ايضاً ، قبل ان يسلم الروح (١) .
اوبو ، « هذا الابداع المدهش الذي اضحي في سبيله بجميع من يدعى — شكسبير او رابليه » (بروتون) ، اوبو ، هو بورجوازي عصره ، بل قل بورجوازي عصرنا (٢) .فهو يكتّل في ذاته الجبانة ، والتوحش ، والصلف ، واحتقار العقل وقيمه ، والقدرة الكلية « الجيدية » . . هو نموذج اصلي لطبقة من المستبدين والطفيليين . لم يتح لجارّي ، ان يتأمل امتداد اضرارهم بسبب وفاته المبكرة . أتى الدكتور فوسترول رداً على الاب اوبو . « انه عالم ياتافيزيكي (*) » منطقي رصين ، دفع « نظريات » المهندسين ، والفيريائيين ، والفلاسفة إلى اقصى نتائجها ، ووجد نفسه مرتاحاً في عالم أصبح تماماً غير معقول . لان مناخ اعمال جارّي ، بالاضافة إلى النماذج الميتكرة ، يبقى فريداً بفضل الفكاهة ، هذا البعد الرابع لعالم يبقى باطلاً وغير صالح للحياة بدونها . تبدو الفكاهة اختصاراً لوصية جارّي ، انها سر دفع ثمنه آلاماً طويلة، هي رد اصحاب النفوس السامية على هذا العالم حيث يشعرون بالغربة . وبعكس ما يرى

(١) — « عندما عدته للمرة الاخيرة ، سألته إذا كان يبغي شيئاً : فلمعت عيناه : هناك شيء يسرّه حقاً . أكدت له بأنه سيحصل عليه فوراً . فتكلم ، والشيء الذي كان يريده مسواك » .

دكتور سالتاس . مقدمة لـ « اوبو ، ملك »

(٢) — « ان السيد اوبو . بلا شك كونت (في حاشية البابا) ان السيد اوبو لا يفكر بالخطوط الحديدية من زاوية فائدتها الممكنة . ان السيد اوبو يقرض اعداءه . ان السيد اوبو يلقي بوزنه الثقيل على الامبراطورية الاستعمارية ويضيق عليها . أعني يظلمها ، ان السيد اوبو متوحش ، دون رقة . لكنه ليس فاشياً تماماً ! ان اذيته تقرب إلى العنف . ان السيد اوبو ذو ذكاء معوي عبقري . ولقد يقول جاري انه يحكم بـ « غر زمعائه » (غريزة — امعاء) سيلفان ايتكين ، برنامج عرض مسرحية اوبو في القيود ١٩٣٧ .

(*) مستغرق في علوم الطبيعة .

بعضهم بانها غالباً افراز طبيعي . فانها تدل على الموقف البطولي عند الذين لايريدون ان يستسلموا . كما أنها بعيدة عن « التهكم الرومنسي » الشهير ، الذي يلقي نظرة لامبالاة آتية من عالم « فوق ارضي » على احداث تافهة من عالمنا ، يبعدها عن ابداع خيال التكعيبين والمستقبليين المتحررة من القيود التقليدية . وتسليات متذوقي الجمال الذين يظنون ان لهم دوراً يقومون به . لم يمثل جاّري أي دوز كما انه لم يعش حياته إذ اوجد لنفسه نمط حياة فريداً على الهامش ، وسار بموجبه حياته كلها ملأها تماماً ، فاعطى هكذا مثالاً صعباً ليحتذى كان فاشيه قد استوعبه ، واجتهد السرياليون احياناً باقتفائه .

وعبّر رامبو ، عن التجربة ذاتها ، ولكن على مستوى مأسوي . نرافق هذه التجربة خلال عمله وحياته ، لقد انطلق مقتدياً بفكتور هوغو ، ثم ما لبث ان التزم بالصمت ، مطلقاً حكمه على حياته الشعرية بعبارات التهكم . لقد رسم للسرياليين منحنى للفن وصوّر مصيره المقبل « يطوف الآن في العالم ، بعض الافراد الذين ، لم يعد الفن بالنسبة لهم هدفاً بحد ذاته » كما قال بروتون عام ١٩٢٢ (١) . وكان رامبو من عداد هؤلاء . ويضيف قائلاً : « ان عمله يستحق ان يبقى رصداً على طريقنا » . لأنه عبّر عن « اضطراب لم تتجنبه ، دون شك ، آلاف الاجيال ، واعطاه هذا الصوت المدوي الذي لايزال يرن في اذننا » : السؤال الازلي عن مصير الانسان .عن « لماذا خلقنا ؟ ولأي شيء نأمل أن نكون صالحين؟ هل يجب علينا ان نترك هنا كل أمل ؟ سؤال اجابت

---

(١) — اندريه بروتون ، « مميزات التطور الحديث » ، الخطوات التائهة .

الفلسفات والديانات عنه باجابات مخيبة للأمل : سؤال، يطرحه باستمرار الناس « الاحرار » ويبقى اساس الجدل بالنسبة للسرياليين .

كان طموحهم الاجابة عنه بالسلوك الشعري . اردوا ، مثل رامبو ، « اللجوء إلى قرع ابواب الابتكار » تسندهم خبرته ، وتنقصهم بعض اوهامه ، فاصبح من المستحيل بعده ، ان لايستندوا إلى عمله ، وكان السرياليون تلاميذه المنطقيين .

« لان ، أنا المتكلم هو آخر . فليس ذنب النحاس ان يصبح بوقاً. هذا واضح بالنسبة لي : اني أشهد تفتح فكرتي: أنظر إليها ، أصغي إليها : أقوم بلمسة لقوس الكمان فتتحرك السمفونية في الاعماق او تندفع بوثبة واحدة على خشبة المسرح » .

هكذا يصف الطبيعة الحقيقية للوحي ، انه ليس بالصوت الآتي من « فوق » لاندري من أية سماء سرية . لكنه يتفجر من « اعماق » « الكيان » ، من العقـــل الباطن ، الذي سيفتح له السرياليون الابواب واسعة : « إذا كان شكل لما يعود به من هناك فهو يعطيه ذلك الشكل، وإذا لم يكن له شكل ، فيعطي شيئاً لاشكل لــه » فالهام ان لايقف التيار وان يبقى العمل (الشعري) خارج هموم الفن والجمال. امر يستحق المغامرة : الهدف الاخير هو الوصول إلى المجهول . لاجل هذا الهدف يصبح الشاعر « رائياً » و « سارق النار » و « مسرّع التقدم اضعافاً » ويدفع الثمن « عملاً مضنياً » :

« ويصبح الشاعر رائياً بعد عناء طويل يتكبد فيه خلل **جميع حواسه** بشكل عقلاني موزون ، ويتعرف إلى جميع انواع المعاناة في الحب ،

والألم ، والجنون. إنه يبحث بنفسه عن جميع انواع السموم ويستنفذها كلها ويحتفظ منها بالجوهر فقط . إنه عذاب لايوصف ، يحتاج إلى الايمان كله ،إلى القوة الفوق انسانية كلها ، لانه يصبح بين الجميع المريض الاكبر ، والمحرم الاكبر والمرذول الاكبر ، والعالم الاكبر !...»
لم يستطع رامبو ان يحقق هذا البرنامج الطموح ،ويبدو انه خاف وتوارى عن الانظار ، عندما وصل إلى ابواب المجهول . هل يجب ان نرى في هذه النكسة زوال حظوته عند بروتون الذي « استأذن منه » عام ١٩٢٩ بهذه العبارات :

« انه مذنب أمامنا ، لانه سمح ببعض التفسير المخجل لفكرته ، من نوع كلوديل ، دون ان يجعله مستحيلاً (١) » .

وانطلاقاً من هذا المفهوم ، ما عسانا ان نقول عن جرمان نوفو ، وابولينير ، وآخرين غيرهما ؟ وعلى عكس ذلك ، لم يعرف نجم لوتريامون إلى الكسوف سبيلاً .

ويقول بروتون ، عام ١٩٢٢ : « على كاهل هذا الانسان يقع العبء الأكبر من المسؤولية عن حالة الشعر الحالية (٢) . وفي عام ١٩٢٩ ، في غمرة غضبه ضد التقاليد التي لم توفر رامبو ، ولا بودلير ولا بو يكتب ايضاً :

---

(١) – اندريه بروتون ، البيان الثاني للسريالية (قيد التحضير) .
(٢) – اندريه بروتون ، مميزات التطور الحديث » المرجع ذاته .
« كان في العالم موقف يتحدى من علو كل محاولة للتصميم وللتصنيف الهادف ، وكل ارادة انتهازية لا تتعلق بشيء اخر سوى الخلود . نعارض ، ونستمر في المعارضة ، لئلا يدخل لوترايامون في التاريخ ، وان يعين له مكان بين فلان وفلان . . .» اراغون ، بروتون ، ايلوار ، (لوترا يامون تجاه كل شيء . ورغم كل شيء ، منشور بمناسبة اعادة طبع اعماله) .

« اصر على ان اوضح ، انه في رأيي ، يجب ان نحترس من عبادة الاشخاص ، مهما بدوا كباراً ، باستثناء واحد منهم : لوتريامون ، فاني لا أرى منهم من لم يتركوا اثراً مشبوهاً عن مرورهم (١) » .

وفي عام ١٩٣٤ ، كتب تزارا يقول :

« هو الذي يتعالى فوق مشكلة (الشعر كوسيلة تعبير او فعالية روحية) ليعيش حياً بيننا ، هذا الكائن العجيب الذي ألفناه ، يبدو له ان الشعر تفوق على مرحلة النشاط الفكري ليصبح بالحقيقة استبداداً بالعقل (٢) » .

فإليه ينتمي غالباً السرياليون : ويجتهدون بجعل عملهم مساوياً لعمله ، لقد كان بالحقيقة ، اكثر من غيره ، مصدر خصب للسريالية . لنصغ ايضاً إلى بروتون :

« لم تعد المخيلة ، بالنسبة إلى دوكاس ، هذه الاخت الصغيرة ، الغامضة المعاني ، التي تقفز على الحبل في حديقة (صغيرة) عامة ، قد اجلستموها على ركبتيكم وقرأتم في عينيها القضاء عليكم ، أنصتوا إليها ، ستظنون ، بادىء الامر ، انها لاتعي ما تقول ، ولا تعرف شيئاً ، لكنها سرعان ما تتسرب في الظل وباليد التي قبلتم ، تعبث بالاوهام والاضطرابات الحسية في آن واحد ، ولا ندري ماذا تريد ، انها تجعلكم تحسون بوجود عوالم كثيرة إلى درجة لاتعودون تدرون معها كيف تتصرفون في هذا العالم . عندئذ ستبدأ ادانة كل شيء ، ادانة لن تتوقف ابداً (٣) . . . » .

---

(١) – اندريه بروتون ، البيان الثاني . . .
(٢) – تريستان تزارا ، دراسة . . .
(٣) – اندريه بروتون ، مميزات . . .

وفي الحديث عن **اناشيد مالدورور** يسجل بروتون هذه الجملة التي تعد كلمة السر في النشاط السريالي .

« نعرف الآن انه يجب على الشعر ان يقود إلى جهة ما (١) . »
ومختصر القول ، كانوا يحتاجون إلى كفالة لوترايامون لكي « يشبعوا ارادة القوة (عندهم) في العمل الادبي » . هذا يعني ، في نفس الوقت سمو مكانته عندهم– وهذا اعتراف بتأثيره الحازم عليهم والمستمر في كل لحظة تأثيراً يبقى كل ما اتينا على ذكره من عوامل تأثر بها قاصراً امامه .



(١) – اندريه بروتون ، « اناشيد مالدورور » الخطوات التائهة .

مرحلة السريالية البطولية

١٩٢٣ — ١٩٢٥

١ عصر الركود

« من هناك ؟ آه حسناً . ادخل اللامتناهي »

أراغون

اثر فشل المؤتمر المنعقد خلال عام ١٩٢٢ لوضع ركائز وتوجيهات للفكر الحديث قطع بروتون ، وأراغون ، وايلوار ، وبيريه ، علاقتهم بالدادية . وأصبح هذا الانقطاع محتماً بنتيجة تباين اهتمامات تزارا وبروتون ، غير أن للحوافز الموضوعية التي تحثهما على العمل أهمية أكبر من الأفكار الخاصة بكل منهما . فعلى الصعيد الايديولوجي ، اراد تزارا أن يفتعل استمرار حالة الفوضى التي أوجدتها الهدنة ، وهي حالة انتقالية تنتقل أوروبا أثناءها ولو لبضع سنوات على الاقل الى استقرار جديد على الصعيد الاقتصادي ، والاجتماعي والسياسي . هذا وقد أبصرت النور أساليب فكرية جديدة انطلاقاً من الاكتشافات العلمية ، والفلسفية ، والسيكولوجية التي قام بها أنشتاين ، وهيزانبرغ ، وبروغلي وفرويد بدأ معها مفهوم جديد للعالم ، والمادة ، والانسان . وقد ظهرت نظرية النسبية الشاملة ، وتدمير السببية والقدرة الكلية للعقل الباطن التي تتنافى والمفاهيم التقليدية المؤسسة على المنطق والحتمية ، وفرضت وجهات نظر جديدة ودعت إلى أبحاث خصبة ومتحمسة جعلت الاحتجاج باطلاً والاضطراب عقيماً ، وانتصرت الدادية بالفعل ، وكان لا بد لها من الاستفادة من انتصارها هذا دون أن تستسلم للتمتع به .

ان عبقرية بروتون هي في أنه استشعر هذا المنطلق الجديد ، فعندما كان يقول عن الدادية أنها لم تكن « سوى حالة فكرية » (١) بالنسبة له ولأصدقائه ، فانما كان يعني أنهم تجاوزوا الحركة حتى بعد اسهامهم فيها . وكان يأمل ، فيما يتعلق به ، أن يتخلص منها وهو في موقف التفوق عليها .

ان السريالية انكرت ، في بداياتها ، وبفضل الدادية ، الحل الأدبي ، والشعري أو التشكيلي . وقد تلقى الفن من الدادية صفعة أثرت به إلى درجة لم يستطع النهوض منها إلا بعد سنوات عديدة. ولم يطمح السرياليون إلى بناء علم جمال جديد على أنقاض الدادية : غير أنه قد لوحظ بالرغم من ذلك، أن الفن انتفع بالدادية آخر الأمر. فلا تقع عليهم اللائمة تماماً لأن مؤسسي السريالية لم ينظروا إليها كمدرسة فنية حديثة بل كوسيلة معرفة تساعدهم خاصة على اكتشاف متاهات مجهولة حتى الآن، لم يسبق أن تعرفوا إليها بطريقة منهجية : مثل العقل الباطن ، والعجيب ، والحلم ، والجنون ، والحالات الهلسية ، وباختصار اكتشاف الوجه الثاني للديكور المنطقي . ويبقى الهدف المنشود الجمع بين مجالين متباعدين حتى الآن، ومصالحتهما في قلب وحدة مزدوجة . وحدة الانسان مع نفسه ، ثم وحدة الانسان مع العالم . وشدّد السرياليون على الطابع المنهجي والعلمي ، والتجريبي لهذه المحاولة الجديدة كردة فعل ضد الفوضى الهدّامة التي اتسمت بها الدادية، ويبدو النتاج السريالي الاول «الحقول المغنطيسية» (١٩٢٩) الذي كتبه بروتون بالمساهمة مع سوبو ، كتجربة بالمعنى العلمي للكلمة ، لا كقطعة جديدة من الأدب الطليعي وهذا الاسلوب

(١) – أندريه بروتون « بعد دادا » مجموعة في الخطوات التائهة .

الجديد للمعرفة يجهل الوسائل التقليدية في العمل العلمي . وفي هذه الحالة الجهاز المنطقي ، ليلجأ فقط إلى وسائل استعملها شعراء جميع الأزمنة وهي : الحدس ، والوحي ، اللـــذان تجسمهما بنوع خاص الصور والرموز .

وليس من دليل على أن تكون هذه الوسائل أدنى من السابقة ، فطمح السرياليون إلى ايجاد البرهان على ذلك ، بل انهم ادعوا بأن قيمة الوسائل التي يستخدمونها أعظم بكثير من سواها (١) .

بعد أن تأسست الحركة بمدة طويلة ، لم تغب عن أذهانهم ارادة البحث العلمي في المجال الذي اكتشفه فرويد ، وانطلاقاً من وجهة النظر هذه ، من العدل أن نحكم على النتائج الشعرية والتشكيلية التي توصلوا إليها ، دون أن نلجأ في أحكامنا إلى قواعد الفن والجمال التي لم يشاؤوا الخضوع لها بادىء ذي بدء .

ونحن نعلم كيف اكتشف بروتون ، للمرة الأولى ، الميدان الغريب الذي اضطر مع أصدقائه أن يخوضوا فيه وفي جميع الاتجاهات خلال سنوات كثيرة .

---

(١) — « . . . لا تطبق الوسائل المنطقية في عصرنا . إلا لحل المشاكل الثانوية . فالعقلانية المطلقة التي لا تزال متداولة لا تسمح إلا لدراسة الاحداث المتعلقة مباشرة بتجربتنا . . لا تجدي الاضافة بأن التجربة ذاتها تجد نفسها مكبلة بقيود . انها تتخبط في قفص تتزايد صعوبة الافلات منه . فالتجربة أيضاً ، تستند على المنفعة المباشرة ويحميها العقل السليم . . . ايماناً بهذه الاكتشافات (فرويد) اتضح تيار في الرأي ، يستطيع بفضله المكتشف الانساني أن يتوسع في تخميناته دون أن يعتمد فقط على الوقائع الموجزة . ولكن تجدر الملاحظة ، أنه قبلياً لم تعين خطة لسير هذه المحاولة ، وحتى اشعار اخر ، يستطيع الشعراء ، مثل العلماء ، أن يعتمدوها ، ولن يكون نجاحها رهينة المذاهب المزاجية المتبعة » .
أندريه بروتون ، السريالية والفن التشكيلي (١٩٢٨)

« في عام ١٩١٩ ، تركز انتباهي على جزئيات من جمل متفككة ، يدركها العقل صارت ، وانا في عزلة تامة وعند اقتراب النوم دون ان يكون بالامكان ايجاد تحديد مسبق لها (إلا باللجوء إلى التحليل القوي). فذات مساء ، بنوع خاص ، سمعت بوضوح جلي جملة عجيبة يستحيل عليّ تغيير أية كلمة فيها ، جملة قادمة من بعيد ، وبالرغم من ذلك ، لاتتقيد بنبرة أي صوت ، جملة تصل إليّ ولا تنم عن علاقة قريبة بالاحداث التي كنت أهتم بها في تلك الأثناء — على ذمة وجداني — جملة كانت تبدو لي ملحة ، بل اجرؤ وأقول ، جملة كانت تقرع على زجاج نافذتي ، أدركتها بسرعة ، وحاولت أن أتركها خلفي عندما استوقفني طابعها المادي . كانت هذه الجملة تدهشني فعلاً ، ولسوء حظي ، اني لم أحفظها حتى اليوم ، ربما كانت تشبه شيئاً مثل هذا : « على النافذة انسان مقطوع إلى جزئين اثنين » . ولكنها لاتحتمل التأويل إذ كان يرافقها تخيل بصري لرجل يسير وقد قطعته النافذة إلى قسمين إذ هبطت عمودياً فوق وسط جسمه . مما لاشك فيه ، أن الأمر كان يدور حول رجل يقف في الفضاء وينحني قرب النافذة . وبما أن هذه النافذة تابعت تحرك الرجل أدركت عندئذ اني اتعامل مع صورة من نوع نادر ، فتمنيت اثرها أن ألحقها بمواد البناء الشعري التي ادخرها . لم أكد أمنحها هذه الثقة حتى رحلت مخلّفة وراءها سلسلة متعاقبة من العبارات التي لم ينقص فيها عنصر المفاجأة مطلقاً ، ثم فارقتني متأثراً بعفوية بعيدة المدى . . .

« كنت لا أزال في هذه الحقبة منشغلاً بفرويد وقد ألفت الأساليب التي كان يعتمدها في فحص مرضاه والتي سنحت لي الفرصة أحياناً

أن أمارسها على بعض المرضى أثناء الحرب ، فقررت عندئذ أن أحصل من نفسي على الشيء الذي أحاول الحصول عليه منهم أي على مونولوج سريع الالقاء ما أمكن ، ولا يوجه إليه العقل الناقد أية لائمة ، ولا يرتبك على أثره من أي تحفظ ، والذي يجب أن يكون ، وقدر المستطاع ، الفكر المعبّر عنه . كان ولا يزال يبدو لي والطريقة التي وصلت بها إلى فكرة الرجل المقطوع تدل على ذلك أن سرعة الفكر لاتفوق سرعة الكلام ، وانها لاتتحدى اللغة ، بنوع خاص ، ولا القلم الذي يعدو فوق الورق ، اخبرت فيليب سوبو بهذه الاستنتاجات الاولى ، وحاولنا ، مدفوعين بهذه الترتيبات ، ملء الصفحات ، غير عابئين ، بكل افتخاره ، بما قد ينتج على الصعيد الأدبي (١) . . . . »

عندئذ انصرف الجميع بحماسة ، للتجارب نفسها ، أسوة ببروتون وسوبو . وازدهر عصر النصوص الآلية الذي ابتدأ مع الدادية والذي لم يستطع احد إظهار سرها العجيب مثلما استطاع آراغون :

« لقد صعقوا باكتشاف قوة في ذواتهم كانوا يجهلونها ، وسهولة لاتضاهى وتحرر عقلي وانتاج صور لم يسبق لها مثيل مع أسلوب كتابة فائق الطبيعة . ويجدون في كل ما يولد منهم هكذا ودون أن يشعروا بأنهم مسؤولون عنه كل ما لايضاهى في بعض الكتب ، وبعض العبارات التي لاتزال تهز مشاعرهم . ويلمحون فجأة وحدة شعرية كبرى تنساب عبر نبؤات جميع الشعوب لتصل إلى « الايحاءات » وإلى « **أناشيد مالدورور** » . ويقرأون بين السطور ، الاعترافات الجزئية ، لمن اعتمدوا **هذا الأسلوب** في زمن ما . وعلى ضوء اكتشافهم ، يفقد « فصل في

(١) — أندريه بروتون ، بيان السريالية (١٩٢٤) .

الجحيم « ألغازه ، وكذلك « الكتاب المقدس » وبعض اعترافات أخرى للانسان تحت أقنعة صورهم (١) . . . . »

ولم يفضله أحد في إظهار الفرح الفياض الذي غمر الباحثين عندما قابلوا اكتشافاتهم، هذه الغرائس الاولى التي انتزعوها من المجهول(٢)، أو يستطع في تصوير الاثر الغريب الذي طبعتهم به هذه التجربة من هلوسات ، ونوم مغنطيسي وسحر ، واقتلاع من الحياة كما يعيشها سائر الناس (٣) .

لايستهان بالنتائج الاولى التي توصل إليها هؤلاء المختبرون « المجانين » الذين تعرفوا بواسطة التمرس اليومي على الكتابة الآلية إلى :

---

(١) – أراغون ، موجة متتالية من الاحلام كوميرس خريف ١٩٢٤.

(٢) – « كنا نجتمع مساء مثل الصيادين ، ونصف نهارنا وصفا دقيقاً ونتحدث عن الحيوانات التي اخترعناها، والنباتات الوهمية والصور الملتقطة » . . . أراغون ، موجة متتالية من الاحلام . كوميرس (خريف عام ١٩٢٤) .

(٣) – « في البدء . كان كل واحد منا ، يظن نفسه عرضة لاضطراب خاص ،وكان يتصارع مع هذا الاضطراب ثم ما لبثت طبيعته أن تبلورت ، كل شيء يحدث ، كما لو كان العقل ، بعد وصوله إلى نقطة الاتصال بالعقل الباطن ، يفقد قدرته على معرفة مكان استقراره ، ففيه كانت تترسب بقايا صور تتجسم وتصبح مادة للواقع تتضح حسب هذا المقياس في قوة مدركة تتسم بهلوسات بصرية ، وسمعية ، ولمسية . كنا نشعر بقوة الصور بأكملها وقد فقدنا المقدرة على تحريكها ، لأننا أصبحنا منطقة نفوذها ومطيتها . كنا نمد أيدينا لمصافحة الاشباح وقد تملكنا الرعب ، في السرير عند لحظة الرقاد وفي الشارع ونحن محدقون بأعيننا . . . . . هذه المادة الذهنية كنا نحسها بقدرتها الملموسة وقدرتها على التكييف . كنا نشاهدها تتغير من حالة إلى أخرى ، تغيرات تتنبأ عن وجودها وتقدم لنا المعلومات عن طبيعتها. نرى مثلا صورة مكتوبة تبدو طارئة مستبدة للوهلة الاولى ، تصل إلى حواسنا ، وتخلع المظهر الشفهي لترتدي هذه الحقائق المدهشة التي طالما ظنناها فوق الاثارة وثابتة ، وخارجة عن خيالنا المبدع » . المرجع ذاته .

« وجود طريقة عقلية تختلط فيها الهلوسات والمشاعر إلى حد يضطرنا إلى الحكم عليها كأنها تختلف عن الفكر ، ولا يمكن الفكر أن يكون ، حتى في أشكاله الحسية ، سوى حالة خاصة . . . ، »

ثم بدا لهم ، بفضل تدريب بسيط ، على مناجاة الارواح باشراف رينه كريفيل ، أن التنويم المغنطيسي — ان امكن اضافة ضمانات أوسع — يستطيع أن يكشف هذه المتاهة العظيمة السوداء بصفائها وكمالها ، والتي سبق لهم أن لمحموا غرائبها ، فعندئذ ، وفي نهاية عام ١٩٢٢ :

حلّت جائحة تنويم على السرياليين . . . فكان سبعة أو ثمانية لا يعيشون إلاّ لأجل هذه اللحظات من النسيان ، حيث يتكلمون في ظلمة الأضواء المطفأة ودون وعي كأنهم يسبحون في الفضاء (١) . . . . .

في عدد من مجلة **أدب** ، يدون أندريه بروتون محضراً لاحدى هذه الجلسات حيث كان رينه كريفيل ، روبير ديسنوس وبانجمان بيريه يتكلمون ، ويحررون ، ويرسمون مثل أناس آليين ينعشهم جنون نبوي .

وسرعان ما استغنوا عن الاحتياطات المسبقة ، وأخذ بعضهم ، مثل روبير ديسنوس ينام بمحض ارادته :

« في المقهى ، على صخب الاصوات ، وفيض الاضواء ، وخضم الاحتكاكات لم يكن على ديسنوس إلا أن يطبق جفنيه ويتكلم ، وفي وسط كؤوس البيرة والصحاف ، ينهار الاوقيانوس بضجيجه النبوي وبخاره المزين بألسنة النار الذهبية ، وإذا ما حاول أحد المستجوبين أن

(١) — أراغون ، موجة متتالية من الاحلام . كوميرس (خريف ١٩٢٤) .

يوجه قليلاً هذا النائم الرهيب يتدفق من فمه سيل من التنبؤات ، بلهجة السحر والالهام والثورة . بلهجة المتعصب والرسول . وفي ظروف أخرى ، عندما كان ديسنوس يستسلم لهذا الهذيان ، كان يصبح زعيم ديانة . ومؤسس مدينة والخطيب الشعبي لشعب ثائر (١) . .

غير أنه سرعان ما اكتشف أمر سهولة التعبير العجيبة التي يتميز بها ديسنوس ، وتساءل البعض عما إذا كان ديسنوس يتظاهر بالنوم . لاشأن لمثل هذا التساؤل ، لكن أراغون أجاب عليه :

« هل التظاهر بشيء هو أمر غير التفكير به ؟ وما يفكر به موجود . لن تغيروا شيئاً في قناعتي . ليظهروا لي إذن من خلال التظاهر ، الطابع العبقري للاحلام المحكية التي كانت تحدث أمامي (٢) .

بالحقيقة ، ان ما نقبله بصعوبة هي التفسيرات التي تقدم بها أراغون ولم ينفرد بها ، في هذه المرحلة بالذات ، والتي تتهم السريالية ، في بدء نشأتها على الأقل ، بالانحراف إلى أمثلة سمجة (٣) .

فما الحاجة إذن اللجوء إلى الماورائيات والتقمص ؟ لم تكن تجدي شيئاً اعادة الوحي إلى الأرض من أجل الهروب من جديد إلى ما فوق الطبيعة فيما يتعلق بظاهرات أخذ التحليل النفساني وغيره من العلوم بتبيان أسبابها منذ هذه اللحظة .

---

(١) — أراغون ، المرجع ذاته .

(٢) — أراغون . المرجع ذاته .

(٣) — «كانت الصدمة الكبرى التي أحدثها مشهد كهذا تتطلب حتماً تعليلات هترية : الحياة الثانية والتقمص والسحر . فأتى الهزء والريبة ثمناً لهذا التأويل . غير أنها ، با لحقيقة ، كانت أقل خطأ مما نظن . . . » أراغون ، المرجع ذاته .

اضافة إلى النصوص الآلية والخطابات المحكية في حالة النوم ، اضيفت رواية الأحلام الليلية والنهارية وعلى سبيل المثال الأحلام التي يرويها ديسنوس مباشرة ، ديسنوس الذي يحلم في حالة اليقظة ولا يحتاج إلى النوم مطلقاً لكي يحلم و « يروي أحلامه عندما يريد » .

لنفس الطريق التي قطعت منذ الفترة حيث لم يكن الانسان يجيد التعبير عن ذاته إلا بوسائل الزخارف المنطقية .

منذ هذه اللحظة تستطيع السريالية إذن ، أن تفخر بأنها ارجعت الى الوراء عدداً لا يستهان به من الحدود .

* * *

٣ـ تأسيس الحركة

« اقتنع جيداً بأن الأدب هو من أتعس الوسائل
التي تقود إلى كل شيء »

أندريه بروتون

« تبدو المهارة الفنية رياء يلوث الكرامة
الانسانية بأكملها » أراغون

ان كتاب أراغون **أحلام** « موجة متتالية من الاحلام » الذي نشر عام ١٩٢٤ ، يوجز النشاط السريالي حتى تاريخ صدوره . وخلال عامي ١٩٢٢ ـ ١٩٢٣ ، عبرت مجلة **أدب** بنوع خاص عن هذا النشاط فقد كانت لسان حال الحركة حتى عام ١٩٢٤ . ونجد فيها الأسماء التي سبق وذكرناها أمثال بيكابيا ، وبروتون ، وأراغون ، وايلوار ، وبيريه ، وجاك بارون ، وماكس ارنيست الذي قدم من ألمانيا ونجح في تطبيق « تقنية التلصيق » على لوحاته (رسم تجريدي مؤلف من قصاصات صحف ملصقة) التي سبق لبيكاسو ان انتهجها ، وديسنوس الذي انتحل اسم روز سيلا في المقتبس من مارسال دوشان ، يعيد كتابة عبارات نطق بها في حالة النوم ويعجز تماماً عن تقديم معادلها في حالة اليقظة. « إنه تلاعب بالالفاظ ـ جناس مطبق بدقة الرياضيات » والذي« يغيب

عنه العنصر الهزلي (١)) ؛ أساليب يعلق عليها بروتون أهمية كبرى لأنها تدل على أن الكلمات تعيش من حياتها الخاصة وانها «تبدع القوة» ونستطيع من الآن فصاعداً أن « توجه الفكر (٢) » وعلى الصعيد اللغوي ، تستمر الأبحاث حسب الأسلوب الذي ابتكره لوترايامون ، ومالارميه ، وايولينير ، ويتابعه بيكابيا ، وبولهان وايلوار .

وأضيفت قوى جديدة لتعزيز صفوف السريالية : جورج لامبور ، وأندريه ماسون ، وجوزيف ديلتاي ، وأنطونين آرتو ، وماتياس لوبيك ، و . ج . أ . بوافار ، وجان كاريف ، بيار بيكون ، فرنسيس جيرار ، بيار نافيل ، مرسال نول ، جورج ماكلين ، مكسيم الكسندر الخ . . . أن الجميع تقريباً في سن الشباب ، بل إن البعض منهم مراهقون فاندفعوا بحماسة جياشة في السير على الطرق التي رسمها بروتون وقد أصبح زعيم الزمرة بفضل اسهامه النظري بالاضافة إلى هذا الجاذب المغناطيسي الفريد الذي ينبعث من شخصيته والذي لم يستطع مقاومة تأثيره سوى القليلين ممن عرفوه . انه ذو وجه كبير ، نبيل ومهيب ، محكم التنسيق حول العينين اللتين كان يحميهما آنذاك بنظارتين خضراوين اثارة للاعجاب ، وقد يستبدلهما بين الفترة والأخرى ، بمنوكل . لقد ذاعت شهرته . لم يكن لعوباً بالرغم من حداثة سنه ، فهو يضحك نادراً ويتحفظ بحركاته . وراح من لايحبونه يطلقون عليه لقب « البابا »

---

(١) — « في معبد من معجون التفاح ، كان القسيس يسكب عصارة المزامير» (تلاعب بالالفاظ : ستوك وسوك يوم وبسوم .

(٢) — أندريه بروتون ، « الكلمات دون تجاعيد » في مجلة أدب ، نشرت في الخطوات التائهة .

إذ يعتريهم الذهول من تصرفاته المهيبة . انه لايطلب الاحترام بل الجدية في الحب . وبلغ حب هؤلاء الرجال له درجة الجنون : « أحببناه كما نعشق امرأة » قال فيما بعد جاك بريفير . لم يضن بصداقته على أحد ، حتى أن كل من تذوق معه دقائق من الصداقة التي لاتنتسى والتي لايساوم فيها احداً كانوا مستعدين لأن يضحوا في سبيله بكل شيء : بالزوجة ، والعشيقات ، والأصدقاء ، وقد أقدم بعضهم على التضحية بهم فعلاً في سبيله ، إذ قدموا ذواتهم كلياً له وللحركة (١) .

قد شهد عام ١٩٢٤ التأسيس الرسمي للمجموعة السريالية . فغالباً ما يقال عن حركة ما أنها « في الهواء » . وقد ينطبق هذا القول فعلاً على هذه الحركة . لقد كان السعي إلى التجمع في كل مكان تقريباً ، وليس فقط حول بروتون ، بهدف تحقيق عمل جديد ذي فعالية . وكانت الكلمة قد وجدت منذ ابولينير ، وطبع العدد الاول لمجلة يديرها ايفان غول ، واطلق عليها اسم « سريالية » (٢) . ثم ما لبثت الحركة

(١) – كتب موريس مارتان دوغار في الأخبار الأدبية (١١ ، تشرين الأول ١٩٢٤) متكلماً عن بروتون : « . . . انه أكثر الوجوه جاذبية في الجيل الذي بلغ الثلاثين في هذه الفترة ، وذو مستوى فكري يتفوق ، دون شك ، على مستوى غول وديرميه اللذين أصدرا بيانات سريالية تقل امكانية نقاشها عن بيان بروتون وكم ينعكس في نظراته وسكناته من مآسي دفينة وبطيئة ! له طلعة المحقق ! قد يكون ساحراً شعبياً من ايبنال تؤثر سلطته الجذابة في اتباعه مثل اوسكار ويلد . . . لن يغفر بروتون لمارتان دوغار هذه العبارات ذات المعنى المزدوج.

(ايبنال مجموعة صور شعبية في أواخر القرن الثامن عشر) .

(٢) – يساهم فيها : مارسيل ارلان ، ب البير ، بير ، رونه كروفيل ، جوزيف ديتي ، روبير دولوني ، بول ديرميه ، جان بان لوفيه ، بيير ريفيردي . وقد التحق بها أيضاً ابولينير .افتتحت ببيان عن السريالية نقتطف منه التعريف التالي : « تكمن السريالية في نقل حقيقة الشيء إلى صعيد (في) سام » . وكما يلاحظ ، أن عالما يفصل سريالية بروتون عن هذه السريالية .

أن التفت حول بروتون ، الغني بخبرة فريدة والقادر وحده على أن يعطيها قانونها : **بيان السريالية .** وأصبح للمجموعة ، من جهة ثانية ، مكان عمل دائم : **مكتب الأبحاث السريالية** ، ١٥ ، شارع غرونيل . ومنذ مطلع كانون الاول أصبح لها صحيفة تنطق باسمها : **الثورة السريالية** . وأخذت الحركة تنتشر أيضاً بواسطة اعلانات صغيرة تحتوي على نصوص مربكة أو مثيرة ، وبرسالة هجاء لاذعة ضد أناتول فرانس الذي توفي في تلك السنة ، بينما كانت حياة متدفقة تهز جميع الأعضاء الذين تأثروا دون شك ، باختفاء بول ايلوار .

* * *

بيان السريالية

« كان ابولينير يسدي بهذا النصح لأصدقائه : في لحظات الجفاف ، لنكتب ما نشاء ولانهتم بالعبارة ، ولنسر إلى الامام بخط مستقيم » .

أندريه بيللي ، ابولينير الحي .

سبق أن عرضنا ، بما فيه الكفاية ، لأفكار بروتون الرئيسية ، ولانجد منفعة في العودة إلى درس بيان السريالية بالتفصيل . لنحدد مع ذلك خطوطه الكبرى : في البدء تهجم على الواقعية ، لأنها « مناوئة لكل ازدهار فكري وأخلاقي » ويمقتها بروتون لأنه لايجدها مركبة إلا من « الرداءة والكراهية ، والاكتفاء التافه » . ثم يتبعه تهجم على ما أنجبت من منتجات ، ولا سيما الرواية التي أصبحت الشكل الأدبي المميز . حيث يضيف كل احد إلى الصفحات الطويلة والأوصاف الدقيقة التافهة تفاهة الطباع ، لا تحرك فينا ساكناً ولا تثير فينا حماسة الرهان لأنها تتجنب طرح قضية الانسان ومصيره (١) . وهل من أهداف

(١) – « ان النتيجة الطريفة لما الت إليه هذه الأحوال في الأدب ، هي رواج الروايات مثلا . كل ينطلق من » ملاحظته « الوضيعة . . بأسلوب محض استعلامي بسيط ذات طابع ظرفي لا تجديهم التعليقات شيئاً في الميزات الخاصة . . وصف سيء . . أكون عن استمرارية الحياة فكرة متقلبة إلى درجة تتساوى فيها عندي لحظات الارهاق والضعف بأحسن اللحظات . . لا اخذ اللحظات السيئة في حياتي بعين الاعتبار . . . ولا يجدر بأي انسان أن يركز على لحظات تبدو له كذلك ، مجرد شوط في لعبة الشطرنج لا أعيره أي اهتمام ، لأن الانسان مهما يكن ، يبقى بالنسبة لي ، خصماً ضعيفاً . ان الامر الذي لا أطيق احتماله هو هذه المشادات التافهة المتعلقة بمحاولات مختلفة لامجال فيها للربح أو الخسارة . . . »

أندريه بروتون ، بيان ...

الأدب أن يقدم لنـــا ترفيها لا يكاد يسمو على لعبـــة ورق ، وهل نستطيع أن نهتم شرعاً بحياة دمى مسبقة التصميم والتركيز ؟ .

لماذا أصبحت الرواية التعبير الادبي الاكثر شيوعاً ؟ لأنها ، من جهة ، تشبع الشهوة المنطقية عند الذين يقرأونها والذين يجدون فيها بنوع خاص عندما تتداخل بعض الشهوات الرديئة ، نشوة ناتجة عن اضافة بعض القوى أو حذفها شأنهم شأن الميكانيك لايحتاج صانعها من ناحية أخرى إلا لتحريك القوى المنطقية . يلزم الامر اطار دقيق التركيز والوصف (آه يا بلزاك !) وأشخاص لهم أسماؤهم وأعمارهم ، لهم وسمهم المميز ونحن واثقون من عدم حدوث أعجوبة إذا ما احتك بعضهم ببعض .

هل أعطيت اللغة للانسان لاستعمال تافه كهذا ؟ ألم تمنح له بالأحرى لأجل « استعمال سريالي » ؟ لكي تعطي شكلاً للمخيلة التي يحملها كل في ذاته والتي تستطيع وحدها أن « ترفع الحظر » عن المكان الذي لانستطيع الدخول إليه إلا برفقتها . وصفها أحد علماء المنطق بـ « مجنونة المنزل » وأراد القاء الشبهة عليها بهذه الصفة الشائنة . غير أننا نلاحظ عند الكثيرين بأنها « مجنونة » بنسبة ضئيلة ، بل متعقلة بدرجة أعظم ، إذ تبعد عشرة أقدام عن الجنون ، الجنون الحقيقي الذي يحجز المصاب به لئلا يشكك مظهر حريته جمهور الناس المصابين بالحكمة ويفسدهم (١) . هل تظنون أن هؤلاء يستطيعون اعتبار احلامهم رزينة

(١) — « ان نستعبد المخيلة . حتى عندما نفقد شيئاً مما تدعوه العامة السعادة ، هو الهرب من كل ما نجد في أعماق ذواتنا من العدالة العظمى . المخيلة وحدها تجعلني انتبه إلى ما قد يكون وهذا يكفي لنرفع عنها قليلا الحظر الذي فرض عليها ، ويكفي أيضاً لا ستسلم لها دون الخوف من الوقوع في الخطأ . . .

« قد أقضي حياتي لاحمل المجانين على البوح بأسرارهم ، انهم أناس ذوو استقامة مفرطة وبراءة لا توازيها سوى براءتي . كان يجب على كولومبوس أن يذهب مع بعض المجانين ليكتشف أميركا ، وتأملوا كيف تجسد هذا الجنون في المكان والزمان . . . » .

أندريه بروتون . بيان . . .

وأن يستسلموا إليها ويؤمنوا بأنها حقيقية ؟ فمتى يتوقف هذا الانسان اذن ، الذي يضن بعملة عقله ، عن اهمال كنز الحلم ؟ (١) . ومتى سيعي أن هذا **الكنز** أعطي له وللجميع لياليـــه ؟ قد يستطيع أن يصل إلى الحقيقة المطلقة ، إلى ما فوق الحقيقة ، إلى **السريالية (٢)** ، إذا ما استمد الهامة من الحلم كما من قواه العقلية وسعى إلى التوفيق بين حالتين تبدوان متنافرتين في الظاهر فقط . قد انطلق السرياليون إلى البحث عن الجزّة (جزة كبش عند الوثنيين) . وكما سبق لهم ، وجدوا على الطريق التي تقود إليها **العجيب** (عنصر السحر) الذي قد لايكون فقط انعكاس الشيء الذي اكتشفوه بل جوهره (٣) .

هل انطلقوا وحدهم ، كلا ! ليست هذه المجالات مغلقة ، بل على العكس ، انها مفتوحة أمام الجميع . والشعر يرشدنا إلى طريقها ولكن الشعر الذي نمارسه حسب نهج معين ، النهج الآلي الذي ترشد إليه السريالية والذي يحددها بروتون هكذا :

« السريالية اسم مذكر (بالفرنسية) هي آلية نفسية مجردة نقصد بواسطتها التعبير ، نطقاً أو كتابة أو بأي طريقة أخرى ، عن عمل الفكر

---

(١) — « الانسان هو الحالم الازلي . . . » المرجع ذاته .

(٢) — « أعتقد بأن هاتين ، الحلم والحقيقة ، اللتان تبدوان على طرفي نقيض ، تسيران نحو الذوبان في المستقبل القريب ، ليتكون منهما نوع من الحقيقة المطلقة ، الفوحقيقة ، إذا صح القول . أسعى باحثاً عنها وأنا متأكد بأني لن أصل إليها ، ولكني لا أبالي بموتي إلى درجة لا أقدر فيها ولو قليلا أفراح مثل هذا الامتلاك . . .

المرجع ذاته .

(٣) — « لنجزم في الأمر : السحر جميل دائماً ، أي نوع من السحر جميل ، حتى انه ما من جميل سوى السحر . . . » أندريه بروتون ، بيان . . .

الحقيقي . فالسريالية هي ما يمليه الفكر ، بعيداً عن كل مراقبة يمارسها العقل وخارجاً عن كل اهتمام جمالي أو أخلاقي .

وفي الموسوعة الفلسفية : ترتكز السريالية على الاعتقاد بالواقع المتفوق لبعض أشكال الأفكار المتداعية المهملة حتى الآن (بالنسبة للسريالية) وعلى القدرة الخارقة للحلم وعلى عمل الفكر العفوي . وترمي إلى تحطيم تام لجميع المحركات النفسانية لتحل مكانها في ايجاد حل للمشاكل الرئيسية في الحياة . . . »

قد يقود مفهوم صوت سريالي يسمعه بعضهم ويصم آخرون الآذان عن سماعه ، قد يقود إلى نفي الموهبة الأدبية أو غيرها ، فالسرياليون هم في طليعة الذين نادوا بأن لاموهبة لهم (١) . وان ليس للموهبة وجود . ما هي الموهبة بالحقيقة ؟ هي الامكانية الموهوبة أو المكتسبة لتنسيق قصص صغيرة ، بلباقة أو بقوة ، ولاكتشاف وسائل ذكية لوصف ما يوجد ، ولاختراع ألفاظ نادرة على أحسن وجه : إلى الوراء أيها الكاتب ، إلى الوراء أيها الشاعر ، إلى الوراء كذلك أيها الانسان ! « الأنا مكروهة هنا ، أكثر من أي مكان آخر ، » لأن حجمها الثقيل يحكم السد على الكهف الذي تنبعث منه كافة الأصوات ، هذه الاصوات التي تهزنا ، انها هنا ، حولنا وفي كل مكان . فلسنا بحاجة إلى سمع مرهف لنسمعها ، يكفي أن نصغي إليها ، يكفي أن نكون ليني العريكة . ياله من ادعاء مضحك في المفاخرة بها ! وهل من فضل للشاعر الذي يصغي

(١) — « لاموهبة لنا . . . نحن الذين جعلنا من أنفسنا ، عبر أعمالنا ، أواني صماء لاستيعاب الكثير من الأصداء ، والات مسجلة وضيعة لا تنبهر فوق الرسم الذي تحققه . . . . . »

المرجع ذاته .

لعقله الباطن في وفرة غناه الباطني ؟ يصبح كل احد شاعراً منذ اللحظة التي يقبل فيها الخضوع للأوامر وإذا لم يكن للسريالية من معنى سوى « الخضوع للأوامر » فيصبح باستطاعة الجميع أن يمارسوا هذا « الفن السحري » فطريقته بسيطة تافهة ، » فالسريالية في متناول جميع العقول الباطنة (١) .

« أسرار الفن السحري السريالي، تأليف سريالي مكتوب ، أو محاولة أولى وأخيرة : استحضر ما تحتاج إليه للكتابة ، وبعد أن تستقر في مكان ملائم قدر الامكان لتركيز فكرك على ذاته ، ضع نفسك ، ما أمكنك ، في الحالة الأكثر انفعالاً وقابلية للتأثر ، تغاض عن عبقريتك ومواهبك ومواهب الآخرين . قل في نفسك : ان الأدب أتعس الوسائل التي تقود إلى كل شيء . اكتب ما شئت بسرعة دون أي موضوع سبق أن تصورته ، ولتكن سرعتك في الكتابة كافية لئلا تحفظ شيئاً — مما كتبت — أو تسول لك النفس باعادة القراءة . وستأتي العبارة الأولى دون أي جهد . . . ويصعب علينا ابداء الرأي في حالة الجملة التالية ، لاتهتم بهذا الأمر . تابع ما طاب لك ذلك اعتمد على طابع الهمسات الذي لاينضب . واذا ما هدد الصمت بأن يخيم اثر خطأ صغير ارتكبته أو اثر لفظة يبدو لك أصلها مشبوهاً ، ضع حرفاً ما ، حرف «ل» مثلاً ، دائماً حرف «ل» ، وأعد الكرة وأنت مصمم أن تبدأ الكلمة التالية بحرف «ل» (٢) . . . . »

أيعني هذا أن جميع الذين يتبعون هذه الطريقة سيصبحون لتوهم من كبار الشعراء ؟ وان الاكتشافات ستتعاقب أمام أعينهم المنبهرة ؟

(١) — نص لاعلان سريالي صغير .

(٢) — أندريه بروتون ، بيان . . .

ان للثروات الباطنية تشكيلة فنية لاتعرف الحدود . وإذا لم يكن تحرر العقل الباطن سوى الالهام ، فان هذا الالهام يختلف بالنسبة للفرد نفسه أثناء لحظات حياته ولحظات نهاره . فللوحي أمراضه وأتعابه . انه يختلف خاصة باختلاف الأفراد (١) . فمنذ هذه اللحظة ، ومقابل ذلك ، فان الوسيلة متوفرة للذين يملكون الهاماً حياً وغنياً يحملهم على ترجمته بصور ساطعة ، ومقارنات صاعقة . وعلى القيام بوظيفة الشاعر بشكل مستمر وغير عابر ، وعلى اكتشاف المجهول بنفس السهولة التي تسمح بها القوى العقلانية للانسان أن يتوجه في الحياة العملية .

وفيما بعد لجأ السرياليون غالباً إلى هذه الطريقة ، باستثناء بعض الظروف والأشخاص (لم يمارس ايلوار ، مثلاً ، الكتابة الآلية) التي أعطت نتائج متباينة باختلاف الأفراد ، نتائج هي ثمار طبائع غنية وليست ثمار مواهب مختلفة . وإذا ما اهملت قراءة قسم من النتاج السريالي لِمَ نخفي ذلك ؟ ، هذا لايعني أن السريالية لم تلعب دورها الكاشف ، بالنسبة لبعض الأشخاص ولم تقدم أعمالاً تضاهي بوحيها الأعمال الأكثر الهاماً عبر العصور . فأصبح الشعر ممارسة تكشف عن الشخصية في

---

(١) – بعد ذلك ، ببضع سنوات ، أوضح أراغون الأمور بدقة : السريالية هي الالهام المعترف به والمقبول به والمعمول به . لن يعتبر الالهام زيارة لا تفسر بل قوة تمارس يرسم التعب حدودها بشكل عادي ويحد من قدرتها ، ويختلف شمولها ويتباين عنصرها المشوق حسب القوى الشخصية . . . لذلك يشكل موضوع النص السريالي أهمية كبرى ويضفي عليها طابعاً ثميناً من الالهام . فاذا ما كتبت حسب الطريقة السريالية ، تفاهات حقيرة ، فتحصل على تفاهات حقيرة . . . دون أعذار . . . »

أراغون دراسة الاسلوب (١٩٢٨)

شمولها وحقيقتها وتؤثر في الآخرين من خلال اتصالات سرية لاتفسر . فالشاعر هو « من يُلهِم » ويحث على أعمال جديدة ، وأفكار مجهولة ويغير في مجرى حياة الناس . لم يعد يعمل في برج عاجي ، بل يفرز الشعر طبيعياً في الحياة اليومية ، التي يتعايش معها ويطلب منها باستمرار مواضيع اثارة جديدة .

* * *

آرتو والمحطة السريالية

. . . .

يجب أن نرى في هذا المفهوم للشعر أحد الأسباب الرئيسية التي حملت على فتح « مكتب للأبحاث السريالية » ، يدعى إليه جميع الذين يحملون شيئاً يقولونه أو يعترفون به ، أو يبدعونه والذين وقعوا في شراك الحياة التافهة العادية ، فلا يعرفون كيف يتحررون من الثقل الذي ينؤون تحت عبئه ويخنقهم . يتسع المجال السريالي بالخبرات التي يكشفونها للآخرين ويتعرفون إلى خبرات جديدة ، تساهم في ازدياد عدد المنتمين إلى السريالية وتزيد في قوة الحركة « ان محطة توليد السريالية » تستحق هذه التسمية بالفعل لأنها مولد للطاقات الجديدة ، ويصفها أراغون ، وهو محرر تاريخ هذه الحقبة ، بهذه العبارات :

« علقنا امرأة إل سقف غرفة فارغة يقصدها كل يوم رجال قلقون مثقلون بأسرار غامضة . وهكذا تعرفنا إلى جورج بيسيار القادم إلينا « بعنترية ». اننا نقوم بعمل غامض بالنسبة لنا ، أمام مجلد من **فانتوماس** مثبت على الجدار بواسطة شوك . ويساهم الزائرون، القريبون منا أو البعيدون ،في اعداد هذه الآلة العجيبة المصممة لتحطيم ما هو موجود في سبيل اكمال ما ليس له وجود . وفي الرقم ١٥ من شارع غرونيل ، افتتحنا فندقاً حالماً للأفكار غير المصنفة والثورات المضطهدة . وكل

ما تبقى من أمل في هذا الكون البائس سيدير أنظاره الأخيرة المهتاجة إلى حانوتنـــا الســاخر . **فالمطلوب أن نتوصل إلى اعلان جديد لحقوق الانسان** (١) .

ترسل نشرات إلى الطباعة ، ويحمل كل « اعلان صغير » عنوان « المكتب » فالضجة الكبرى التي أثيرت أصبحت وسيلة اعلام تنبه إلى وجود مخبر في باريس ، في غمرة القرن العشرين ، مخبر من نوع جديد يستطيع الجميع أن يساهموا في اختراع حياة جديدة فيه . ووجه نداء إلى الصحف يوضح بأن « المحطة السريالية » تتغذى من صلب الحياة ، وانها تستقبل كل من يحمل أسراراً : من مخترعين ومجانين وثوارا وغير متكيفين وحالمين . وتشكل الأسرار التي يبوحون بها المادة الأولى لألخيمياء جديدة ويصبح الحجر الفلسفي بمتناول الجميع . فكان جورج بيسيار وديديه سانبام من عداد الذين لبوا نداء الصفارة ولم يستطيعوا فيما بعد التخلص من مفاتنها وأصبحوا هكذا أعضاء فعّالين في الحركة .

وصحيفة **الثورة السريالية** الناطقة بلسان الحركة تختلف تماماً عن مجلة أدبية عادية . فقد أرادوها ذات مظهر يوحي العزم أسوة بمجلة علمية . وقد توخى بيار نافيل المدير المساعد مع بانجمان بيريه ، هذا الشبه بمجلة مثل **الناتور** (الطبيعة) الصحيفة العلمية الشهيرة . وكان فيها قليل من الأشياء التي تلفت الأنظار مثل بعض الرسوم والصور ، ليس من تكلف في الطباعة ، إلى جانب عناوين للمقالات لارونق لها وتواقيع لاتثير الانتباه . يالها من براعة في التمويه ! وبالرغم من هذا الحرص على حرمان النظر من كل متعة فقد أصبحت **الثورة السريالية** « المجلة الأكثر اثارة للصخب في العالم » .

(١) — أراغون ، موجة متتالية من الأحلام . المرجع ذاته .

وزيّن الغلاف بهذا الاعلان التمهيدي : « يجب التوصل إلى اعلان جديد لحقوق الانسان » بينما دوّن على ظهرها :

« لاتقدم السريالية نفسها كعرض لأي مذهب ولا نستطيع أن نحكم مسبقاً على نموها اللاحق انطلاقاً من بعض الأفكار التي نستخدمها كنقطة ارتكاز . ولا يقدم هذا العدد الاول من **الثورة السريالية** أي كشف نهائي . قد عرضنا النتائج التي حصلنا عليها من الكتابة الآلية ، ورواية الاحلام مثلاً ، ولكننا لم ندون فيها بعد أية نتيجة للأبحاث والتجارب والأعمال : علينا أن ننتظر كل شيء من المستقبل » .

وتمتدح المقدمة التي وقعها ج . آ . بوافار ، بول ايلوار وروجيه فيتراك الحلم الذي يروى لأفراد الاسرة كل صباح(١) . وتصرح بأنه إذا « كانت الواقعية تشذيباً للاشجار فان السريالية تشذيب للحياة ».

وبعدها مباشرة . يبدأ استقصاء يطرح قضية أساسية في الواقع انه : « السؤال التالي : « اننا نعيش ونموت . ما هي مساهمة الارادة في هذا كله ؟ يبدو أننا ننتحر مثلمانحلم. لسنا نطرح قضية أخلاقية : هل يكون الانتحار حلاً ؟ » .

ثم تتدفق شلالات العقل الباطني : فمن اخبار احلام لجورجيودي شيريكو ، وأندريه بروتون ورونه غوتيه ، إلى نصوص سريالية أي آلية (مارسال نول ، روبير ديسنوس . بانجمان بيريه ، جورج مالكين ، ج . آ . بوافار ، وماكس موريس ، ولويس أراغون ، وفرانسيس جيرار إلى قصيدة لبول ايلوار :

---

(١) — « أيها الاهل ، اخبروا احلامكم لأولادكم ! » (اعلان سريالي صغير) .

يحمل فصل الشتاء الفئران فوق المرج
التقيت بمرحلة الشباب
عارية تماماً في ثنايا الساتين الأزرق
وكانت تضحك) للزمن (الحاضر ، عبدى الجميل . . .

إلى نص قيِّم لبيار ريفيردي يتحدث فيه عن قيمة الحلم ، أيضاً ودائماً (١) ، وعما يجب أن نتوقع من الشاعر (٢) . وتحتوي الكرونيك (الوقائع) تحت صورة من فيلم بوستر كيتون نصاً للويس أراغون نقرأ فيه : « الواقع هو آخر برهة من التفكير ، والحالة الواقعية للتفكير هو الشعر الواقعي « وتحتل الفكاهة المكانة التي تستحقها في الشعر ، أي المكانة الأولى ، حسب مفهوم لوترايامون وجارّي : إنها تصل دون جهد إلى ما فوق الواقع ، بل هي ، التعبير المحسوس عنه والمعترف عليه بهذه الصفة (٣) . وأخيراً نجد نصاً لفيليب سوبو ونبأ من ماكس موريس عن « الفنون الجميلة » وقصة لجوزيف دالتاي عن الحب انتقدها فيما بعد بروتون بعنف ، وملاحظة لفرانسيس جيرار عن « حالة السريالي » أثناء الرعشة الآلية .

---

(١) — « لاأظن أن الحلم نقيض الفكر بحصر المعنى . ان ما أعرفه عنه يحملني على الاعتقاد باختصار : بأنه مظهر للفكر أكثر حرية واستسلا ماً . يؤلف الحلم والفكر الوجهين المختلفين لشيء واحد ، القفا والوجه : القفا هو الجهة التي تكون فيها اللحمة أكثر غنى ولكنها أكثر تفككاً ، والفكر هو الجهة حيث تكون اللحمة أكثر فقراً ولكنها أكثر تماسكاً » .

(٢) — « لأنه ليس الأمر في أن نتصرف صحيحاً . لأن صحيح اليوم هو خطأ الغد . لهذا السبب لا يهتم الشعراء البتة بالصحيح . بل يسعون دائماً إلى الواقع . والآن ، تنبهوا ، أوجه كلماتي إلى جميع الناس ، فأنتم اذن مدعوون لتصوغوا من الكلمات ما لم يقم به أحد . . . » .

(٣) — « الفكاهة تحديد للشعر بمقدار ما يخلق وثاماً سريالياً في نموه التام . . . » .

هناك أمران لفتا نظر قراء العدد الأول : أولهما القائمة المنسقة عن جميع حالات الانتحار التي نشرتها الصحف خــلال مرحلة معينة في اخبارها المختلفة وقد نقلتها **الثورة السريالية** كما هي ، دون تعليق ، وثانيهما صورة لجرمان بيرتون ، التي انتهت لتوها ، من قتل كامولا (البائع الجوّال) لروى ماريوس بلاتو يحيط بها جميع السرياليين أو الأشخاص الذين يجلونهم أمثال فرويد ، وشيريكو ، وبيكاسو ، ويشاهد فيها أيضاً أراغون ، وارتو ، والأخوان بارون ، وبوافّار ، وبروتون ، وكارّيف أصغر السرياليين سناً (ستة عشر عاماً) ، وكرافيل ، ودالتاي وديسنوس ، وايلوار ، وارنست ، وجيرار ، ولا مبور ، ولبوبيلك ، وماكلين ، وموريز ، ونافيل ، ونول ، وبيريه ، ومان راي ، وسافينيو ، وسوبو ، وفيترالك ، وتوضح معنى هذا المونتاج أربعة أسطر اشارل بودلير : « المرأة هي الكائن الذي يعكس في أحلامنا أكثف ظل وأسطع نور . ش . ب » . هنا هذه المرأة ، قاتلة .

علينا أن نضيف أن العدد الاول هذا طبع في مطبعة ألا نسون ، المتخصصة بنشر المطبوعات الكاثوليكية ، ولكن من المحتمل أن احداً لم يجد فيها ما يؤذي .

ان العدد رقم ١ من مجلة **الثورة السريالية** ، يتميز عن الاعداد الاخيرة من مجلة **أدب** بوفرة مادته ، وغناه ، وارادته في التقصي والاختبار و « هالته » الثورية . قد تبخر العطر الأخير من الدادية ويجب من الآن فصاعداً أخذ « هؤلاء الشباب » بعين الاعتبار .

غير أن هؤلاء كانوا منعمين في تلك الأثناء . . . ففي الثامن من شهر شباط في مأدبة بولّي ، كانت السيدة أوريل المشهورة آنذاك في عالم الأدب ، تتحدث عن الرخاء عندما قوطعت فجأة خطبتها المزهرة

بأصوات حازمة : « يكفي ! » أطلقها بروتون وديسنوس اللذان أضافا : « لاتزال تضجرنا منذ خمسة وعشرين عاماً . . . لكننا لم نجرؤ على القول لها ذلك » فاحتج الحضور على قلة لباقة هذين السيدين ، وأجاب ديسنوس على ذلك بقوله : لا يجب أن تزعج العالم طيلة حياتها ، لكونها امرأة . « تناولت الصحف هذا الحادث ونشرته في الغد مطولاً (١) انهـا تفاهة غير أنها تذكر بكلمة كامبرون المعبرة وهو يلقي قصيدة لجان ايكار ، كلمة انتقدها رامبو نقداً لاذعاً أمام جماعة مختارة .لقد كان لهؤلاء المسوسين تقاليدهم أيضاً ! »(٢) .

وكانت أهمية النقد الهجائي الموجه ضد أناتول فرانس تحت عنوان جثة من نوع آخر . هذه المرة ، كان الموضوع فعلاً، يدور حول مجد معترف به ، يذوي وسط حداد وطني. ففي نظر رجال اليمين ، كان يمثل الأسلوب الفرنسي الذي بلغ أوج كماله ، وعطر الفولتيرية

(١) – رسالة من روبير ديسنوس إلى السيدة أوريل : « سيدتي ، استلمت رسالتك من السيدة تيلهاد التي لم أكن أعرفها قبل مأدبة بولتي ، أرجوك أن تأخذي علماً بما يلي :

١) إذا كنت وأصدقائي « غير واعين » فأنت واحدة منا .

٢) لن أستطيع أن أكون أخاك في العمل بل بالأحرى حفيدك .

٣) انك تحمليني المزاح . عواطف الاحترام . روبير ديسنوس .

(٢) – واحدة من قصاصات الصحف : « خداع . نشرت حديثاً الصحيفة لوجورنال قصيدة لجان مورياس يوجهها إلى ممثلة توفيت من عهد قريب . والحال ، قد اكتشف ان هذه القصيدة لم تكن سوى انتحال . وأعطت أغازيل الفيغار وأسماء المؤلفين : لويس أراغون ، أندريه بروتون ، بول ايلوار ، مارسيل نول ، روجيه فيتراك ، ماكس موريس ، الخ . . . إذا كان هؤلاء الكتاب الشباب قد اجتمعوا لهذا المزاح ، نرى أنهم نجحوا فيه ! غير أن « الهر » في الجورنال الصادر في التاسع عشر من تشرين الثاني – أبرز مخالبه واكتشف أن هذه المقاطع الشعرية الموهومة كانت تؤلف هذه « الاكروستيش » سيد حقير . تضاعف استياؤه لذلك وهدد المنتحلين المهرة وناشد منفذ الوصية مورياس بأن يقيم دعوى قضائية . . .».

في جزيرة طيور البطريق أقل من تذوقهم جريمة سيلفستر بونّار الذي لا قيمة له . أما رجال اليسار فيرون أنه تباهى إلى جانب جوريس وأوشك أن يصبح اشتراكياً . وكانت مهاجمة نزيل فيلا سعيد السابق وخاصة بمناسبة وفاته ، مجرد عمل معاد للتقاليد . ولم يعمل السرياليون بقسوة وعنف تجاه من كان يمثل « الفن » في فراغه وقبحه ، و«العبقرية الفرنسية الصرفة » في أسلوبه ، وأعلن ايلوار : « انه عجوز مثل غيره ». وقال فيليب سوبو :« انه شخص هزلي وفارغ جداً » وأضاف دريولا روشيل « قد تجاهل هذا الجد جميع الذين نحبهم بين أبنائنا وأعمامنا أو سخر منهم » . وتناول الدكتور غيوزم ، الذي أوكل إليه انتزاع الدماغ (ألم يجر الأبحاث على دماغ غوته ، لامرتين ، غامبيتا وهوغو) ، بالدرس هذا العضو الثمين من جميع النواحي وفي أدق التفاصيل ونقلت عباراته بكل دقة « انه أجمل دماغ نستطيع أن نحلم به لاتساع تلافيفه وعددها وتجاعيدها كما يقال انه قطعة فريدة . . . وتقترف جريمة بحق العلم إذا لم ينتزع دماغ مثل هذا . . . يتناسب دماغ فرانس مع عبقريته في كل نقطة ويوضحها في آن واحد . . . « عبارات تحمل من السخرية ما يكفي ليمتنع السرياليون عن التعليق . أما بروتون فانه وقع على « رفض للدفن » أصبح كلاسيكياً :

« لنضع اشارة بيضاء أمام العام الذي رقد فيه هؤلاء السدّج النحس الثلاثة : لوتي ، وباريّس ، وفرانس : الأبله والخائن والشرطي . . . مع فرانس . يضمحل شيء من العبودية الانسانية ، ليكن عيداً اليوم الذي يدفن فيه المكر والتقليد والوطنية والانتهازية والشكوكية وقلة المرؤة ! لنفكر بأن أحقر الممثلين في أيامنا اتخذوا مـــن أناتول فرانس عرّاباً لهم ولسنا نغفر له أبداً أن جموده المبتسم أطفى رونقاً على ألوان

الثورة . ولكي نخفي جثته ، لنفرغ ، إذا أردنا ، أحد الصناديق الموجودة على الرصيف لنفرغها من الكتب القديمة التي « كان يحبها جداً » ولنلق بكل شيء في نهر السين . لا ينبغي أن يتحول هذا الرجل إلى تراب بعد موته » .

غير أن أراغون انتقى أزهاره وأكاليله بدقة أكثر إذا صح التعبير : فهو يسأل : « هل سبق لكم أن لطمتم ميتاً ؟ . .

في فرنسا ، ينتهي كل شيء بالأغاني كما يقال . فليذهب اذن بدوره أدراج الريح هذا الذي (فطس) في غمرة السعادة الشاملة . يتبقى شيء زهيد من الانسان . وكم يدعو إلى الثورة التخيل بأن هذا الانسان **قد وجد** على كل حال . حلمت في بعض الايام بممحاة لازالة القذارة البشرية » .

كان وقع الفضيحة صاعقاً ! لقد اصبح جائزاً الآن اهانة الاموات ! وكان رامبو يكتفي بعدم الترحيب بهم وكان السرياليون يتوقعون عدم التوقف هنا ويعلنون : في المناسبة المقبلة ، ستكون « جثة جديدة » .

وموجز القول ، أنه إذا كان عام ١٩٢٤ قد شاهد تأسيس الحركة الرسمي ، إلا انه يرشد فقط إلى الطريق التي ستسير عليها فيما بعد . وقد لاحظنا حذر السرياليين الشديد من الادلاء بالهدف الواضح لنشاطهم . فليس النشاط مبهماً بالحقيقة . انهم متمردون لايبغون فقط تغيير التقليدية للشعر ، بل وبنوع خاص تغيير ظروف الحياة . لا مذهب لهم ، لكنهم ينادون ببعض القيم التي يلوحون بها كأنما بأعلام : القدرة الفائقة للعقل الباطن وتجلياته : الحلم . والكتابة الآلية ، ومن هذا المنطلق ، تهديم المنطق وكل ما يرتكز عليه وتحطيم الدين أيضاً والاخلاق والأسرة

والنظم الضيقة التي تمنع الانسان من الحياة حسب رغبته . ما أعظم وهمهم إذ يظنون أن أعداءهم سينهارون لمجرد سماع دوي كلماتهم أو لدى قراءة كتاباتهم ! انهم يؤمنون أيضاً « بقوة الفكر الخارقة » حسب تعبير بروتون . ان مثاليتهم نقية لكنها عديمة التأثير وسيتخلون عنها تدريجياً عبر أزمات داخلية جسيمة ، تتجدد وتضـع الثقة على المحك باستمرار . وبما إن رأي المجربين والعلماء — من نوع جديد — الذي لا رجوع عنه هو الذي اتاح لهم هذا التطور .ومن الواجب ألا ننسى أنهم مصممون على القيام بالثورة التي يدعون إليها —. في وجودهم أولاً . فالسريالية لاتكتب ولا ترسم بل تعاش ، إن السرياليين رسل لدين جديد يمارس في المقاهي : « السيرتا » و « لوغريون» في شارع الاوبرا ، و « السيرانو » ، فعلى طاولات هذه المقاهي وبين دخان السجائر ، وضجيج الصحون وقهقهات الضحك ، والثمل الخفيف الذي يسببه شراب الماندارين — كوراساو ، قام أراغون بتنسيق الصور الخاطفة « **لفلاح باريس** »كأنها مداعبات مثيرة . ليس هذا من النتاج الأدبي بشيء ، وعلى كل حال ، لم يكن ليسمح له بالقيام بأية بادرة من هذا النوع . فكل نشاط سواء كان فنياً أم عادياً يتعرض للتحقير والفضيحة لأن المطلوب هو استهلاك الحياة كما أعطيت لنا وليس — الكفاح في سبيل — ربحها (١) .

الحياة هي أن تنظر ، وتصغي ، وتستنشق جو هذه الأماكن التي توحيها باريس بعد الحرب ممر الاوبرا ، وبولفار بون — نوفيل ،

---

(١) — يحظر العمل على أعضاء المجموعة ! أهمل أراغون ، بروتون ، بوالفار وجيرار دراساتهم في الطب . وترك السوربون البعض الآخر ، وابتعد الجميع عن كل ما يمكن أن يؤمن لهم « مكانة » في المجتمع .

وباب سان دنيز و لي بوت — شومونت . ويتسابق الناس إلى سينما ياريزيانا ليتأملوا « عنـــاق الأخطبوط » ويتذوقون المسرحيات التافهة في **المسرح الحديث** أو في باب سان — مارتن — . فالمشاهد الرخيصة هي الاكثر تذوقاً لانها تعرض على الخشبة العواطف والانفعالات الشعبية التي لم تفسدها الثقافة بعد . ويترددون على بيوت البغاء بحثاً عن الطبيعة البدائية عند المومسات . يبحثون عن افساد العقل لافساد العقل . فالوسيلة إلى ذلك سهلة وبسيطة : يكفي أن تشتري بطاقة قطار في يوم من أيام الاحاد ، وتنطلق من محطة إلى الضاحية يدور بك القطار دون ما قصد ، خلال ساعات وساعات ، فوق جميع الخطوط ذات المشهد الحزين . في رحلة تجهل نهايتها خلال ساعات وســاعات فوق جميع الخطوط ذات المشهد الحزين .

وذات يوم ، غادر ايلوار المجموعة دون أن يترك خبراً . واحتج السذّج على اختفائه وعلى ولادة رامبو جديد ، وأعيدت قراءة قصائده على ضوء هذه النظرة الجديدة ، وأشارت الصحف إلى وجوده في النوفيل — هيبريد . عاد فجأة (١) انه قام فقط برحلة طويلة ، مفسدة للعقل ، امتدت إلى حدود الكرة الأرضية .

لقد أصبح ممر الاوبرا جزءاً من بولفار هوسمان ، لذلك نقل مقر الاجتماعات اليومية إلى مكان آخر ، في مقهى من الساحة البيضاء « السيرانو » قريباً من شارع فونتان حيث اتخذ بروتون منزلاً له ، مقهى يستقبل السرياليين في قلب هذا المونتمارتر ذي البولفارات المشبوهة حيث تعج طغمات من المومسات مع مدبري شؤونهن الذين يتميزون بأخلاق خاصة ، وتتدفق جماهير الذين ينشدون التسلية . هذه الاجتماعات

(١) — انظر لويس بارو ، بول ايلوار (سيغرس) .

مدعاة للقلق : رجال من السيرك (على بعد خطوتين عن ميدرانو) تصحبهم نساء بهلوانات ذوات نظرات آتية من « مكان آخر » وأمير كيون ذوو أفواه محشوة بالذهب نهرب منهم مثلما نهرب من الطاعون ، بشر قصرت قامتهم جداً جداً ومثقلون جداً بالأسرار . . ويصل الناس إلى ضاحية مونتمارتر حيث يتلاقى النادجا على الارصفة بحثاً عن أسرارهم . ويوم الاحد ، يبتعدون حتى سوق « البالة » في كلينيانلور وسان اوّن ، حيث ينبعث السحر من كل معرض على الرصيف . ومن حطام كل غرض ، ومن كل حجر .

والهدف هو أن يكتشفوا ، تحت درع عصور من الحضارة ، الحياة الصرفة ، والعارية ، والبدائية والممزقة . الهدف هو أن نجمع بين عقل المدينة الباطن وعقل الانسان الباطن .

قيل « انها تسليات أناس مثقفين ومثقفين جداً ». انها «تسليات» قد تكون كذلك ، ولكن حسب المفهوم الباسكالي ، في الابتعاد عن مجتمع سيء التكوين ، « أناس مثقفون » قد يكونون كذلك ، بمعنى أن البعض منهم درسوا « العلوم الانسانية » ولكنهم تألموا كثيراً من « حسنات » الثقافة إلى درجة يريدون أن يستعيدوا نظرتهم الصبيانية ، المطلوب هو أن يحاولوا من جديد ، التجربة الكبرى : تجربة الحياة ، تجربة لا يقوم به هذه المرة ، كل لنفسه بل مجتمعين .

وفي مسيرتهم لاحظوا أن ارادة تغيير الحياة ، الحياة الشخصية والذاتية هو زعزعة لقواعد الكون . فلم تكن رؤية هدف كهذا لتخيفهم بل على عكس ذلك .

٣ ـ الأسلحة الأولى

« ان كل أنواع الكتابة لمن الأعمال المخزية »
أنطونان أرتو

لم يختلف العدد الثاني من **الثورة السريالية** الذي افتتح به عام **١٩٢٥** اختلافاً ملموساً عن سابقه . . غير أننا قد نجد فيه رغم كل شيء تصميماً على اضفاء الطابع الاجتماعي على الحركة بنشر **البيان** : « افتحوا السجون ، سرّحوا الجيش» (١) الذي ينتهي بهذا النداء الموجه إلى العواطف الكريمة : « في المحارس وعلى الكراسي الكهربائية ، ينتظر محتضرون ، فهل ستتركونهم يقضون تحت السلاح ؟ ».

اهتمام جديد : يحتكم السرياليون إلى عواطف الشفقة التي لم يكترثوا لها فيما مضى . غير أننا نبقى على صعيد الأفكار : يهاجمون « فكرة السجن وفكرة الثكنة» ،وأفضل ما يظهر هذا الموقف هو الهجوم العنيف الذي جعل من أراغون خصماً لجان برنيير ، مدير مجلة كلارتيه الشيوعية .

---

(١) — « لقد بادت القيود الاجتماعية : لاشيء يقوى على ارغام الانسان أن يتخلى عن حريته : فلا الاقرار بخطأ ارتكب ولا المشاركة في الدفاع عن الوطن . ان فكرة السجن ، وفكرة الثكنة شيئان مألوفان في أيامنا . لم تعد هاتان الفظاعتان تدهشانك . وتنحصر القباحة في الطمأنينة عند الذين تجنبوا الصعوبة بشتى أنواع التنازلات الأدبية والجسمية (استقامة . مرض . وطنية) » .

وكان قد كتب في « الجثة » متكلماً عن أناطول فرانس : « يعجبني أن الأديب الذي يجمع على تحيته اليوم موراس الخنزير وموسكو البلهاء ... قد كتب . . . . » فعلق برنيير بشدة على هذا الجزء من الجملة ورد عليه أراغون بهذه العبارات :

« قد أعجبك أن تختار جملة ، وتظهرها كأنها سخافة ، لأنها تنم عن قلة تذوقي للحكومة البولشيفية ومن خلالها للشيوعية بأجمعها . . . وإذا ما كنت تجدني منطوياً أمام الفكر الثوري بل قل معادياً بعنف لهذا الموقف المشيب الذرائعي الذي يتيح لي على الأقل أن أوجه إلى الذين يستسلمون له في نهاية المطاف ، تهمة الاعتدالية المثالية ، فهذا ، ولا تستطيع أن تشك في الأمر لأني وضعت دائماً ولا أزال أضع الفكر الثوري فوق كل سياسة . . . الثورة الروسية ؟ انك لن تمنعني من أن أهزّ كتفي . . . ! على صعيد الأفكار أكثر ما يقال عنها أنها أزمة وزارية غامضة . يجدر بك ، بالحقيقة أن تعامل الذين ضحوا بوجودهم لأهداف الفكر ، بوقاحة أقل .

« أصر أن أكرر في كلارتيه بالذات ، ان المشاكل التي يطرحها الوجود الانساني لاتتعلق بالنشاط الثوري البائس الصغير الذي حصل في شرقنا خلال هذه السنوات الأخيرة ، وأضيف : « ان وصفه بالثوري ليس إلا من قبيل سوء استعمال حقيقي للغة . . . » .

نلاحظ جيداً : الثورة انما هي في الأفكار . والفكرة التي يكونها السرياليون عن الثورة تحملهم على الازدراء بكل ما هو ذرائعي ، ولكل نشاط مادي ملموس . بل انهم يجدون هذا النشاط شائناً . وإذا ما أردنا

أن نفهم التطور اللاحق ، يجب أن نسل هذا الموقف الذي لم يكن موقف أرغون وحده .

لم يغفل بروتون عن نواحي الضعف في موقف مثل هذا ، وعن المآخذ التي يتعرض لها . فظن أنه يصلح الموقف بالدعوة إلى الاضراب أسوة بالعمال المأجورين ، يدعو إليه جميع أصحاب القلم والريشة وفي مقال بعنوان « الباقة دون أزهار » إذا لم يكن يدافع عن نفسه لأنه لم يتصرف بطريقة أكثر مطابقة مع أفكاره إلا أنه ينفي ارادة اللجوء إلى ممارسة الفن الذي يبرر كل شيء مثل الذين سبقوه (١) . يصر على التأكيد بأن همه لاينحصر في خلق ممارسة طليعية جديدة استعداداً للبحث عن « الجديد » لأجل الجديد . قد هبطت عزيمته عند رؤية المدارس التي سبقت السريالية كيف كانت محاولات يائسة بحثاً عن الجديد الذي سرعان ما يذوي بعد تفتحه (٢) .

(١) – قد وجهت إلي في المدة الأخيرة . . . ملامات كثيرة لأني لا أتصرف بطريقة تتفق مع أفكاري . كأنه ، تجاوبا مع أول نداء لأفكاري ، وطاعة للدافع الأكثر تكراراً وقوة الذي أنحني تحت وطأته ، لا يبقى لي سوى النزول إلى الشارع والمسدسات في يدي ... نفهم ما قد يحدث . . أي نشاط غير مباشر قد يرضيني ؟ فمنذ بدأت بحثي ، أراني كما يبدو ، أعود إلى الفن ، أعني إلى شيء من النظام الاجتماعي حيث يوفر لي الافلات من العقوبة ، ولكن حيث أتوقف عن المتابعة إلى النهاية . إلى درجة ما . . . » .

(٢) – « خلال السنوات الأخيرة ، استطعت أن أتأكد من سيئات نوع من العدمية الفكرية التي تكمن سخريتها بطرح قضية الثقة الأكثر وبطلاناً بالنسبة لكل أمر . وفي القلق الأخلاقي الذي نتج عنها . لم تنل حظوة سوى بعض أساليب النشاط السطحي والمفارقات الضعيفة . وهكذا نرى التجدد – بما تحمله الكلمة من معان – يتسرب إلى جميع المجالات كأنه المقياس الكافي . وليس من خلاص خارجاً عنه . انه يؤيد بعناد محاولات سخيفة في الرسم والشعر وليس من أثر لتجربة قيمة تتعلق بالحياة والفن ، وليس من أثر لدليل في الحب والتضحية والشخصية . فكان لا بد من تصحيح الوضع مهما بلغ الثمن . . . » .

ليس المراد العودة إلى الدادية . بل يجب الانصراف إلى تجربة ذات قيمة . لذا دأب مؤسسو السريالية على تكرار هذا القول .

وقد أوضح الاستقصاء الذي قاموا به حول موضوع الانتحار هذا الأمر : « هل يكمن الحل في الانتحار ؟ » أتت الاجابات متشعبة ومتعددة ، حتى من قبل السرياليين أنفسهم . وسطرت على صفحات عديدة . فمن اجابة الدكتور موريس فلوري « هذا الغبي الكئيب » إلى إجابات فرانسيس جيمس وفرنان غريغ مروراً بكليمان فوتيل . حتى أن بيير ريفيردي نفسه أعطى اجابة لم ترض القائمين على الاستقصاء فاضطروا إلى طلب النجدة عند الموتى : جاك فاشيه ، وراب ، وبانجمان كونستان ، ولنتوقف ، بالرغم من ذلك ، عند اجابة رينيه كرافيل المثيرة للمشاعر لأنه لم يكتب له التقيد بها :

« يقال أننا ننتحر من الحب ، من الخوف ، ومن الزهري ؟ هذا ليس صحيحاً . فجميع الناس يحبــون أو يظنــون أنهــم يحبــون ، والكل يخاف ، والكل مصاب بالزهري بدرجات متفاوتة ، فالانتحار هووسيلة للاختيار : ينتحر الذين لايملكون البتة هذا الضعف الشبه عام الذي يجعلهم يتصارعون مع نوع من الشعور الروحي الذي يعتبرونه شعوراً بالحقيقة إلى أن يتبين لهم العكس . هذا الشعور وحده يسمح بقبول الحل الذي قد يبدو عادلاً وحاسماً : « **الانتحار** » .

ألم تكن هذه السطور التي كتبها في **ديتور** والتي نشرها غاليمار ، منذ زمن وجيز تجسيداً مسبقاً لمصيره ؟

« أضع على فرن الغاز ماء يغلي لتحضير « زهورات » ، والنافذة

محكمة الاغلاق ، افتح صنبور الغاز وأنسى أن أشعل عود ثقاب .
لاتمس سمعتي بشبهة ولدّي الوقت لتلاوة فعل « **الاعتراف** » . . ».

وذات يوم من عام ١٩٣٥ ، وفي الصباح ، عندما وجدت جثته قرب فرن غاز يذوب ، لاحظوا أن هذه السطور لم تكن نتاجاً أدبياً مع هذا الفارق البسيط انه لم ينتبه إلى ابعاد الشبهة عن سمعته وإلى « تلاوة فعل الاعترا ف» .

كانت اعمدة المجلة تنبيء مع ديتور بأعمال سريالية أخرى : **ملكات اليد اليسرى** لبيير نافيل ، وهو نص اراده آلياً محكماً **كسرّة الينبوس** لأنطونان أرتو ، **حداد لأجل الحداد** لروبير ديسنوس ، **تمثال** لميشيل ليريس وأندريه ماسون . **مائة واثنان وخمسون قولاً مأثوراً منسقاً حسب ذوق العصر** لبول ايلوار وبانجمان بيريه ، **شمس منخفضة** لجورج لامبور ، **حكاية خبازة** لبانجمان بيريه ، **الموت من قلة الموت** لبول ايلوار ، **أسرار الحب** لروجيه فيتراك ، **العبث** لأراغون ، أتت هذه الأعمال كلها ثماراً رائدة لذيذة للآلية وتبدو مع الزمن مهمة في نتاج السرياليين الشخصي .

غير أن القسم الأكبر من الحياة السريالية ينمو ويتطور خارج مجلة تصدر بغير انتظام ولا تصلح لتكون مرجعاً لتاريخ المجموعة إلا فيما تنشر من أفكار موضحة ، ومواقف متخذة ، وتحديد الأمور بجلاء : وفيما يخص موضوعنا الآن نجد فائدة أعم في هذا الاعلان الصادر في السابع والعشرين من شهر كانون الثاني ١٩٢٥ ، وقد طبع في كراسة ولم يعد طبعه ثانية حسب علمنا ، نقرأ فيه ما يلي :

١ ـــ لاعلاقة لنا بالأدب ، ولكننا قادرون على استخدامه مثل سائر الناس ، عندما تدعو الضرورة .

٢ ـــ ليست السريالية وسيلة تعبير جديدة أو أسهل من غيرها . حتى أنها ليست تجريداً للشعر . انها وسيلة تحرر شامل للفكر ولكل ما يشبهه .

٣ ـــ اننا عازمون فعلاً على القيام بثورة .

٤ ـــ لقد قرنّا اسمي السريالية والثورة لنظهر الطابع النزيه واللامبالي حتى واليائس تماماً لهذا الثورة .

٥ ـــ لاندعي اصلاح أي شيء في أخطاء الناس ولكننا نفكر جدياً بأن نظهر لهم وهن أفكارهم وعلى أية أسس متحركة . وعلى أية أقبية قد ثبتوا منازلهم المهتزة .

٦ ـــ نوجه هذا التنبيه العلني للمجتمع ، فلينتبه إلى انحرافاته ولكل خطوة شاذة في عقله ، لن نحيد عنه . . .

٧ ـــ اننا أصحاب اختصاص في التمرد ، فليس من وسيلة عمل لانستطيع اللجوء إليها عندما تدعو الحاجة . . .

« ليست السريالية شكلاً شعرياً »

انها صرخة الفكر الذي يعود إلى ذاته والمصمم على تحطيم قيودها بعنف ، وإذا ما دعت الحاجة إلى تحطيمها بمطارق مادية (١) .

فهل من حاجة إلى التعليق على هذا الاعلان ؟ أو لسنا نرى فيه

(١) ـــ نقلا عن ريمون كونو .

منذ الآن ، مع الاعلان عن « المطارق المادية » الاهتمام بعدم الاكتفاء بأطر الكتابة ؟ فقد تبدو الطبيعة الحقيقية للسريالية بجلاء أكثر بالعودة إلى مرجع داخلي . ليست السريالية جمعية أدباء يمسكون بالأيدي ويتساندون في سبيل الوصول إلى هدف ما حتى أنها ليست مدرسة ذات أفكار نظرية مشتركة ، بل هي « تنظيم » جماعي ، فرقة من المطلعين يخضع أعضاؤها لأوامر جماعية ويربطها نظـام موحد ، ينضم الناس إلى عضويتها عن معرفة تامة ، يغادرونها أو يفصلون عنها لأسباب واضحة ويعملون داخلها عملاً جماعياً . فالمجموعة كلها تدقق في الأعمال الفردية ولا تسمح بنشـرها إلا إذا كانت تحمل شيئاً جديداً للحركة . فعلى سبيل المثال ، لم تطبع رواية « الدفاع عن اللامحدود » ، القصة ذات المجلدات الثلاث لأراغون بعد أن وقع على اتفاقية بشأنها ، لأن المجموعة لم توافق عليها لأنها اشتمت فيها المحاولة الأدبية .

فليس الأمر اذن أمر كتابة ، بل القيام بثورة، أعني باحداث تغيير كامل قدر المستطاع .

« يفترض الانتساب إلى حركة ثورية ، مهما تكن ، ايماناً في أن تتحقق امكانياتها » .

« لايكمن الواقع المباشر للثورة السريالية في تغيير أي شيء في النظام الفيزيائي والظاهري للأشياء بقدر ما يهدف إلى خلق حركة في الأذهان . تهدف فكرة ثورة سريالية ما إلى الجوهر الباطني وإلى النظام الفكري . . . وتهدف قبل كل شيء إلى خلق تصوف من نوع جديد ...

« يجب على كل منتسب حقيقي للثورة السريالية أن يعتقد بأن الحركة السريالية ليست حركة في المجرد ولا سيما في نوع خاص من

المجرد الشعري المقيت إلى أقصى حد بل انها حركة تستطيع أن تغير شيئاً ما في الافكار (١) .

فالعبارات واضحة : « خلق صوفية من نوع جديد » وقد رأى بروتون فيما بعد ، وعندما أوجز النشاط السريالي رأى فيه أن الطموح الأساسي لهذا النشاط يكمن في « خلق وهم جماعي » فمنذ هذه اللحظة نشعر بالارادة المصممة على الوصول إلى الواقع إلى شكل معين من الواقع .

وداخل المجموعة من جهة ثانية ، تجري المناقشات مجراها ، يجتمع قسم من الأعضاء ويطرحون أيضاً السؤال : أتكون السريالية مرادفاً للثورة ؟ أم أنهما شيئآن مختلفان ؟ وماذا علينا أن نختار ؟ غير أنهم يجدون مخرجاً مشتركاً ، حين لا يتوصلون إلى قرار الاختيار : « نوع من حالات الغضب الشديد » لم تعط له نقطة ارتكاز ، ولكنه الطريق الضروري للوصول إلى الثورة وقد يختلف الموقعون على هذا القرار (٢)

---

(١) — نقلا عن ريمون كونو .

(٢) — « ان الموقعين أدناه أعضاء الثورة السريالية المجتمعين في الثاني من نيسان عام ١٩٢٥ لكي يقرروا توجيه نشاطهم باختيار أحد من المبدأين السريالي أم الثوري ، لم يتوصلوا إلى اتفاق على الموضوع ، ولكنهم اتفقوا على النقاط التالية :

١ — قبل أي اهتمام سريالي أم ثوري ان ما يسيطر على عقلهم هو حالة من الهيجان .

٢ — يعتقدون أنهم في سيرهم على طريق هذا الهيجان . يزداد احتمال توصلهم إلى ما قد يدعى بالاشراق السريالي . . .

٣ — يميزون حالياً نقطة واحدة ايجابية ويعتقدون أنه قد يتوجب على جميع أعضاء الثورة السريالية الانضمام إليها : يعني أن الروح مبدأ لا يقبل التحليل بطبيعة جوهره ولا يتوصل إلى الاستقرار لا في هذه الحياة ولا في الأخرى .

أنطونان ارتو — ج . ا . بوافار — ميشيل ليريس — أندريه ماسون—بيار نافيل ، نقلا عن ريمون كونو .

الذي يوجز احدى المناقشات مع سائر أعضاء المجموعة . بشأن هذا « التصوف من النوع الجديد » الذي خيّل إليهم فجأة أنهم وجدوه في الشرق الغامض ، شرق بوذا ودالاي — لاما ، الذي يستطيع حقاً أن يخزي بتصوفه القيم المنطقية الغربية ، ولكنه غير قادر بطبيعته أن يحدث تياراً شديداً يتمناه السرياليون : فهم يرونه في أفضل الحالات ، قادراً على أن يجتذب بعض نفوس الأفراد بفعل تغلغل بطيء .

أتى العدد الثالث من الثورة السريالية يحمل في الجزء الأكبر من مضمونه صيحة انتصار تحيي الشرق وقيمه . ويدل المقال الافتتاحي بعنوان « على المائدة » الذي لم يوقع والذي يجب أن ننسبه إلى أنطونان آرتو ، على أنه يجب على المنطق أن يقوم بدفع نفقات هذا الحب الجديد (١) . وفي رسالة موجهة إلى رؤساء الجامعات الأوروبة «يبدو أنهم يهاجمون جذور الشر والتربية الغربية المشؤومة التي استطاعت فقط أن تشيد « قبوراً مكلسة » من مهندسين مزيفين ، وعلماء مزيفين ، وفلاسفة مزيفين ، وعميان عن الأسرار الحقيقية للحياة ، والجسد ، والروح لأنهم محنطون في أربطة المنطق . والدواء كله في آسيا ، معقل الآمال جميعها (٢) والتي يعبرون لها عن حبهم بأناشيد ملتهبة :

« نحن عبيدك الشديدو الاخلاص يا لاما العظيم صوّب أنوارك نحونا ، بلغة تستطيع أذهاننا الملوثة أن تفهمها نحن الأوروبيين ، أبدل

---

(١) — « نحن من صميم الروح ومن داخل الرأس نقدم كل شيء إلى الفناء في الموت : الأفكار والمنطق والنظام والحقيقة (الحقيقة الكبرى) والعقل الأكبر . الويل لعلومكم المنطقية ياسادتي . الويل لعلومكم المنطقية . انكم لا تدرون إلى أين يقودنا كرهنا للمنطق . . . » .

(٢) — روبير ديسنوس .

فكرنا ، ان دعت الحاجة ، اصنع لنا فكراً متجهاً كلياً إلى القمم الكاملة حيث لن تتألم روح الانسان (١) .

« إن أوروبا المنطقية مستمرة في سحق الفكر بين المطارق ذات الحدين ، إنها تفتح العقل وتغلقه . ولكن الاختناق بلغ الآن أوجه . ونحن نئن تحت النير منذ زمن بعيد ، فالروح الكلية أعظم من الروح الجزئية وتقلبات الحياة كثيرة ، ونحن على مثالكم نرفض التقدم بعيداً فتعالوا وارموا منازلنا إلى الحضيض (٢)» .

ويطالب روبير ديسنوس النجدة من البربر الآسيويين الذين يستطيعون السير على خطوات « رؤساء ملائكة أتيلا » (٣) . وقد جنّد لهذه الحملة الموتى أنفسهم الذين آمنوا بالحكمة الكلية الآسيوية مثل ت . ليسينغ (٤) .

لهذا نرى لماذا يعجب السرياليون بآسيا المثالية هذه . أو لم يجب حكماء الشرق على الأسئلة التي كان السرياليون يطرحونها على أنفسهم ؟ وفي مقابل التحطم الكامل أو النسيان الكامل — ولكن هل يمكن أن ننسى

---

(١) — موجهة إلى دالاي — لاما .

(٢) — رسالة إلى معتنقي مذهب بوذا .

(٣) — « وصف انتفاضة مقبلة » .

(٤) — نريد معرفة كيفية انجاز الأشياء على أتم وجه وأسبابها الحقيقية ، لذا تغيب حياتها عن نظرنا .

ان جميع علومنا تذيب العالم في عدم من الانجازات .

ان حكمة اسيا متشائمة بشكل لا يقهر . لقد تعمقت في درس الاتصالات التي لاتنفصل بين النضج الروحي والألم عبر الملايين من مؤلفاتها . وقد ولجت إلى أعماق التبعية المكسية بين المعرفة والألم وأدركت أن الوعي هو نتيجة حتمية للشدة . . . ' .

ت . ليسينغ .

ما لم نعرفه — . ولكن للمنطق وللمعرفة الآلية ولتقسيم العلم ، وبكلمة موجزة ، لكل ما قام عليه تفوق الغرب . كان هؤلاء الرجال يبدون وكأنهم يعيشون في اتحاد أبدي مع جوهر الأشياء ومع فكر الشكل العظيم ان لم نقل في سعادة تامة — فهذا هدف شعبي — فعلى الأقل في حرية كاملة . فلا تناقضات كتلك التي تمزق رجال الغرب ، ولا صراعات مضمنية ضد عالم سيء البنية . ويبدو أنهم اكتشفوا سريعاً السر الذي كان يشتهي أفاضل الغربيين بالبحث عنه .

ليس الشرق موطن الحكماء فحسب ، بل انه في نظر السرياليين مخزن القوى البدائية (المتوحشة) والوطن الدائم « للبربر » لكبار المهدمين ، أعداء الثقافة والفن وفنون التعبير الحقيرة والمضحكة التي يعرفها الغربيون . انهم ثوّار خالدون يتسلحون بالشعلة الملتهبة والمحرقة وقد زرعوا تحت حوافر خيول أتيلا الدمار والموت لأنهم يهدفون إلى نهضة . ولم تعد الثورة الروسية ذاتها الغامضة لأنها آسيوية . تبدو لبروتون وأصدقائه مثل « أزمة وزارية غامضة » بل سيذيبون فيها كل رغباتهم الحارة لكنها غامضة . في ثورة شاملة يحملها شرق ينكر ويجدد .

غير أن السريالية وقـــد سبق لنا أن لاحظنـــا ذلك ، لم تكن أبداً كتلة واحدة . فهي مؤلفة من شخصيات تنتمي إلى أوساط متباينة جداً لم تعرف صراعاً داخلياً جدياً طالما لم تتعد الأهداف الغامضة والمثل المرتبكة : فالثورة ،وعداء للثقافة ، والصراع ضد العقل والمجتمع باسم فردية الرغبة ، وأولوية العقل الباطن ، كانت هذه القيم كلها تستقطب جميع الآراء وتصهرها . غير أن الحركة تعني فكرة تسير ، ولئن عرف الهدف الذي يسعى إليه على وجه التقريب ، إلا أن الطرق التي

تقود إليه قد تختلف ، وقد يصلون إلى السير في اتجاهات متعاكسة . فاذا كان الاتفاق قائماً على ضرورة التدمير « الجذري قدر المستطاع » فليس من اتفاق على البديل الذي سيشيد فوقه من جديد ، لابل ليس من اتفاق على الوسائل المعتمدة لهذا التدمير . فمنذ القدم كان الأدب والفن معقلاً للثوار الذين لايستطيعون غالباً أن يتحرروا إلا عبر الكلمات والألوان . والحال كان يبدو تماماً — وهذا امر محتوم — أن لاتنسجم أصوات هذه المجموعة عن الشخصيات المختلفة . وكان يبدو ، بنوع خاص ، انهم ينزلقون بطريقة لاشعورية ، على منحدر الفن « الذي يبرر كل شيء » وعلى الأقل على منحدر « **التعبير** » الفني أو غيره ، في نهاية تافهة لهذا « الغضب الشديد » الذي كان السرياليون يصبون إلى الاحتراق به . فالى جانب الأدب المنطقي ، هل سيحاولون بناء أدب الحلم والنصوص الآلية ، وبناء شعر أو رسم « سرياليين » ؟ لقد تأتي الاجابة على السؤال الذي يطرح الآن اخفاقاً مهيناً . لكن الفكرة التي يكونهاالناس عن أنفسهم شيء وما يفعلونه شيء آخر .وأخذالتناقض يظهر في نقطة الانطلاق تناقض لاحظه ذوو البصيرة الحادة ،وكان لابد أن يظهر للعيان بعامل الأشخاص والأحداث . لقد شهدنا اجتماعات فرقاء كانوا يتساءلون : « أي من المبدأين كفيل بتوجيه نشاطهم . المبدأ السريالي أم الثوري ؟ » وانه لذو دلالة صوت الانذار الذي أطلقه بيير نافيل في ثنية صفحة من العدد الثالث هذا **الثورة السريالية** (١) حيث قال :

« لاأعرف من الذوق الا القرف . أيها المعلمون ، أيها النصّابون ، خربشوا لوحاتكم . ليس من أحد لايجهل أنه لا يوجد **رسام سريالي** ،

(١) — في الوقت ذاته ، يترك بيير نافيل المساعدة في ادارة المجلة ليلتحق بالجيش .

ولا خطوط قلم استسلم لصدفة الحركات ، ولا صورة ترسم وجوه الحلم أو ابتكارات المخيلة ، انه لمن الواضح أننا لا نستطيع وصفها « بسريالية » . « ولكن يوجد مشاهد » .

« الذاكرة وبهجة العينين : هذا هو علم الجمال » .

لم تقبل المجموعة وجهة النظر الجذرية هذه ، فثار الشعراء والرسامون بنوع خاص لأن نشاطهم الذي بدؤوه على سبيل التجربة ، انتهى بنتائج ملموسة ، لايمكن رفضها كلياً ، لأن « الهواة » لم يزدروا بها . كان أراغون وايلوار يتكونان كشاعرين ، وكانت لوحات ماكس عارنست وماسون تجتذب تجار اللوحات . هل ينبغي التخلي عن كل شيء بحجة « البحث عن المطلق ؟ » وهل تستمر الدادية في الانطلاق من جديد دائماً وأبداً ؟ لم يسلم بروتون بالأمر ، لأنه يصبو ، هو أيضاً ، إلى النجاح .

فكانت البادرة الأولى أن أمسك بزمام الأمر . ففي المقال الافتتاحي للعدد الرابع من **الثورة السريالية** بعنوان « لماذا أستلم ادارة المجلة » يشدد أولاً على الارادة التي شجعت مؤسسي الحركة : « باتفاق مشترك ، اتخذنا قراراً ، لارجوع عنه ، بأن نقطع علاقتنا مع النظام القديم للفكر . . . » وهاكم النتائج التي اكتسبناها بعد ستة أشهر من الصراع :

« رأينا السريالية ، حولنا ، تتمتع بثقة كبرى داخل فرنسا وخارجها على السواء. ويصر الناس على توقع قيامنا بعمل ما . وإذا كانت عبارتنا « الثورة السريالية » تتر كان السواد الأعظم متشائماً ، فان الناس لاينكرون علينا على الأقل بعض الحماس والاحساس ببعض الأضرار التي يمكن حدوثها . فعلينا أن لانسيء استعمال قوة كهذه . . . » .

ومع ذلك ، ما الذي يحسن عمله الآن ؟ إذا لم يسبق الحركة أن بحثت عن وحدة مفتعلة ، لأن الناس متفقون على بعض القيم العامة ، فهذا لم يقف حاجزاً أمام الوصول إلى نقطة أبصرت النور فيها التناقضات الحادة . ويريد بروتون ، بصفته المخطط الممتاز ، ان يهزم اليمين (الأدباء) واليســـار (ومثيري الشغب) (١) وفي الوقت الذي يحاول فيه توضيح « صـــوابية الرأي الأصلية » في الدعوة السريالية (٢) والأورثوذكسية الشاملة بل القويمة . . .

« . . . نجمع كلنا على الاقتناع هنا ، علماً بأننا نعيش في قلب مجتمع حديث مجازفة رهيبة إلى درجة تحملنا على ايجاد مبرر لكافة المبالغات ... من يقول أنه يضعنا تحت تصرفه ويجعلنا نعمل لأجل الراحة الدنيوية البشعة ؟ نريد الحياة الأخرى وسنحصل عليها . لأجل ذلك يكفي فقط أن نصغي إلى تلهفنا وأن نستقر دون تردد أمام أوامر الخارق . . . ».

غير أن الخبرة تحل مكان جميع الانجازات أثناء ابتعاد نافيل الموقت . وإذا ما كانت **الثورة السريالية** ، قد اكتفت ، حتى الآن ، بنشر بعض الرسوم لماسون التي تعتبر آلية ، وبعض الصور لأعمال بيكاسو وشيريكو اللذين كانا بمثابة شاهدين للحركة وكفيلين سابقين لها وخارجين عنها ،

(١) – « حتى ولو تعرضت الحركة إلى ضمور في الا نتشار ، يبدو لي من المحتم أن لا أفتح أعمدة هذه المجلة الا أمام اناس لا يبحثون عن حجة أدبية ، ودون أن أفرض فيها أي نوع من الحظر . أصر من جهة أخرى على أن امنع ، قبل كل شيء تكرار حدوث بعض الأعمال الصغيرة المعرقلة كما سبق أن حدث في قلب تنظيمنا . . . » .

(٢) – « هل تكون السريالية قوة معارضة مطلقة أو مجموعة من الاقتراحات النظرية البحتة . أم منهجاً يرتكز على مزيج من شتى الميادين . أم حجر الزاوية لبناء اجتماعي جديد؟ فحسب الاجابة التي تبدو تلبية لسؤال موجه مثل هذا ، سيجتهد كل أحد أن يعطي للسريالية كل ما بوسعه تقديمه : لم يكن التناقض ليثير مخاوفنا . . . » .

فاليكم الآن فيضاً من صور الأعمال المنسوخة وخاصة معرضاً استعادياً لأعمال بيكاسو (الذي امتنع بروتون ، وبكل حكمة عن أن يلصق عليه أتيكات « سريالي ») (١) . تريد هذه الأعمال ان تكون برهاناً على وجود « فن تشكيلي سريالي » (٢) . هذا لايكفي : فقد أخذ بروتون على عاتقه كتابة تاريخ الرسم الحديث الذي يريد أن يبين علاقته بالحركة . وتلاحق نشر هـــذا البحث في أعداد كثيرة بعنوان : « السريالية والرسم » . ان الرسم ، بالحقيقة ، « وسيلة رديئة » ولكننا ألا نستطيع اعتبار اعمال بيكاسو مثل « ما وراء » الرسم . أعني برهاناً على احتمال وجود رسم سريالي ؟ وهل ينبغي أن نطلق الصفة ذاتها على انتاج شيريكو ما قبل عام ١٩١٣ (الذي يحدثنا عنه ماكس موريس في العدد ذاته) واخيراً على كل رسم سيخرج عن النطاق المألوف في الفن المعترف به أو الفن المتقدم ؟ وإذا كان بروتون يعترف بأن للرسم تأثيراً يضاهي التأثير الذي تحدثه اللغة : « تأثيراً لايقل تصنعاً عن الآخر ». وإذا كان يفكر بأنه ، انطلاقاً من اللحظة التي يرفض فيها الرسام أن ينسج الطبيعة لكي يركز قواه على « المثال الداخلي » ، يختلف الجزء الملتزم اختلافاً كلياً ، وإذا ما كان يعتقد خاصة ، أن « الجزء الذي يشغلنا أصبح موضع شك ، ان لم نقل مفقوداً (٣) بدون بيكاسو ، فيحق له

---

(١) — يرجع تاريخها من جهة أخرى إلى عام ١٩٠٨ مثل انسات افينيون : إلى عام ١٩١٣ : طالب : إلى عام ١٩٢٠ ، تلميذة حتى ولو كانت « فتيات راقصات أمامنافذة » أو « أرلاكان » التي يعود تاريخها إلى عامي ١٩٢٤ — ١٩٢٥ ، فانها تنتمي إلى بيكاسو أكثر من انتمائها إلى السريالية .

(٢) — « الأمومة » و « الصياد » لجون ميرو : « عندليب يهدد طفلين » . «الثورة» « الليل » لماكس ارنست : « الشكة » لا ندريه ماسون .

(٣) — « اننا نجد في دأبه الرائع ضماناً قيماً نستطيع به الاستغناء عن اللجوء إلى كل مرجع اخر سواه » .

أن يعلن وجود رسم سريالي ، وانه في الغد القريب ، قد يوجد شعر سريالي أيضاً : ألا نجد البرهان على ذلك ، عند ايلوار (١) ؟ أوليس ذا دلالة أن نرى عدد النصوص الآلية ينخفض إلى أربعة فقط (٢) . واخبار الاحلام إلى اثنين ؟ (٣) .

غير أنه لمن الخطأ القول بأن مجلة الثورة السريالية تتعقل وتحاول أن تصبح مجلة « فنية» لأنها تشدد دائماً على الثورة الضرورية أساس وهدف الحركة . تشهد على ذلك هذه المقتطفات من محاضرة ألقاها أراغون في مدريد في « مقر الطلاب » في الثامن عشر من شهر نيسان عام ١٩٢٥ ، يهاجم فيها وبعنف أشخاصاً أتوا لسماعه ويعترف بأنهم يمثلون حضارة بائدة :

« آه أيها الصيارفة ، والطلاب ، والعمال ، والموظفون ، والمستخدمون انكم » مصنعو « المنفعة » و « محركو » الضروري . لن أعمل أبداً ، يداي طاهرتان . أيها الحمقى ، لاتظهروا لي راحات أياديكم . وهذه النتوءات الفكرية التي تفاخرون بها . إني ألعن العلم هذا الأخ التوأم للعمل . المعرفة ! هل صدف أن نزلتم مرة إلى قعر هذه البئر السوداء ؟ ماذا وجدتم فيها ، أي دهليز يقود إلى السماء ؟ لاأتمنى لكم سوى انفجار غازي في أحد المناجم يعيدكم إلى الكسل ، الموطن الوحيد للفكر الحقيقي . . .

وماذا فكر هؤلاء الشباب بخاتمة الكلام هذه ؟

« سنتغلب على كل شيء . سنبدأ بتدمير هذه الحضارة العزيزة

---

(١) — قد نشر في هذا العدد ست قصائد .
(٢) — نصوص فيليب سوبو ، م نول ، ج . ماكلين ، ب ايلوار .
(٣) — أخبار ماكس موريس وميشيل ليريس .

عليكم ، حيث اتخذتم قوالبكم مثل مستحجرات في النضيد ، قد حكم عليك بالموت ، أيها العالم الغربي انك محكوم عليك بالموت ، فنحن انهزاميو أوروبا . . . فليستجب الشرق بعد انتظار إلى نداءاتنا ، هذا الشرق الذي يرعبكم ، سنوقظ في كل مكان بذور الاضطراب والانزعاج. فنحن محرضو الفكر . جميع الحواجز صالحة ، وملعونة كل عقبة تقف في وجه سعادتنا . أيها اليهود ، اخرجوا من اماكن الانعزال . ليجوّع الشعب لكي يتذوق طعم خبز الغضب ! تحركي ، يابلاد الهند ذات الألف ذراع ! تحرك يا براهما العظيم ، براهما الأسطوري . وجاء دورك يا مصر ! ولينقضّ تجار المخدرات على بلداننا المذعورة . وفي البعيد ، لتتصدع أميركا ببناياتها البيضاء بين قوانين تحريم المسكرات المنافية للعقل . إلى الثورة أيها العالم ! انظروا إلى هذه الأرض . كم هي جافة وكم تصلح لجميع أنواع الحرائق . انها تشبه القش ..

« اضحكوا جيداً . فنحن الذين سيمدون دائماً يد المساعدة للعدو (١) . . . » . ليست هذه المبالغة شكلية فقط ، بل انها تتعلق بمفهوم أساسي يجعل من الثورة قيمة سامية . ويقارنها أيضاً ايلوار بالذرائعية الثورية بمناسبة عرضه **للفلسفات** (٢) . « ليس من ثورة شاملة . ليس سوى ثورة مؤبدة ، وحياة حقيقية تثير الدهشة ، في كل لحظة ، مثل الحب . ليس هناك من نظام ثوري ، بل فوضى وجنون . الحرب في سبيل الحرية يجب خوضها بغضب وان يخوضها باستمرار جميع الذين يرفضون (٣) . . . » .

---

(١) – الثورة السريالية ، عدد ٤ .
(٢) – الثامن عشر من ايار ١٩٢٥ .
(٣) – الثورة السريالية ، عدد ٤ .

انه لموقف بمنتهى الحزم ، ولكنه كان يحمل السياسيين على السخرية منه ما دام لم يتعد الكلام وألوان التعبير التي لم تحدث تأثيراً حقيقياً . ولم يكن السرياليون قليلي الشعور باللوم الموجه إليهم بصيغ كهذه . « متشدقون ثوريون » ، فتجنباً لهذه الملامة أخذوا على عاتقهم الازدياد كماً وأهمية في ألوان التعبير العادية .

وقد تم اخراج مسرحية لأراغون في الكولومبيير وقرر عرضها في احدى أمسيات شهر حزيران من عام ١٩٢٥ ، ولسوء طالع المشرفين عليها خطر لهم أن يقدموا قبلها حديثاً عن « الفرنسي المتوسط » للسيد آرون . فذهب إليها السرياليون وعرقلوا الجلسة من بدئها إلى نهايتها مسببين فضيحة وصفتها بكل تدقيق **الصحيفة الأدبية** في الثالث عشر من حزيران ١٩٢٥ (١) . وكان لوليمة سان — بول — روكس تأثير أبلغ وتسببت بخلق معارضة شبه عامة ضدهم .

(١) — « . . . لم أسمع عشرين كلمة . . . لأن شاباً طويل القامة كان يجلس خلفي ، أخذ يتكلم بصوت مرتفع يسيطر على صوت المحاضر . . . فصمت هذا وانتظر ، بكل صبر ، حتى يفرغ الشاب من الكلام ليعيد الفقرة التي توقف عندها . . . غير أنه ، وعلى بعد ثمانية صفوف إلى اليمين من مقعدي ، استلم الكلام سيد اخر ، فتلاقت الاجابات اتية من كل صوب . وسمعت ، فجأة ، كلمة تنطلق من أماكن مختلفة ، كلمة مشهورة تاريخياً ، تليق بجيوش نابوليون ولا تناسب هذا الحفل الكريم . بكل أسف ! أخذت الكلمة تتضخم حتى أصبحت فعلا (حاول السيد ارون أن يتابع حديثه) لكن المقاطعين اندفعوا من جميع الأنحاء وسمع صوت ينادي : « لن ندعك تتكلم ، التوقيع : السرياليون » فتفاقمت الأمور . . وتدخلت الشرطة ، فوثب فيليب سوبو إلى المنبر حيث اتخذ موقفاً وهو لا يبالي بل يتحدى بأنه لن يغادر المكان إلا بقوة الحراب . . . كان روبير ديسنوس يثير حماس الجمهور وهو يذرع المسرح ذهاباً واياباً . طولا وعرضاً . . . وأثناء ذلك ، كان الشاعر الوديع ايلوار يتلقى صفعات على خده . . . فأسرع فيتراك إلى نجدته والدفاع عنه . . . نهض كل من كان في القاعة ، وكانت الشتائم والتهديدات تتلاقى في الهواء . . . »

كان السرياليون يعجبون بسان بول روكس ويرون فيه شاعراً رائعاً . ولئن كان انتماؤه الكاثوليكي منعهم من اتخاذه كفيلاً لنشاطهم ، غير أنهم لم ينسوا الصور البيانية الساطعة في « مذابح موقتة اطوا ف القربان وسيدة المنجل . حتى أن لغة شاعر الكاماريه الفريدة ، المتوهجة بالحجارة الكريمة والأضواء والمتحذلقة أحياناً إلى درجة ما ، لم تكن الا لتزيد في قناعتهم بأن اللغة تبعث مباشرة من عقل الشاعر الباطن . وهكذا ، بعد أن ساهم السرياليون في تكريم سان بول روكس في الحفل الذي قامت به مجلة **الأخبار الأدبية** وجدوا أنفسهم مضطرين أيضاً إلى المشاركة في الولائم التي قدمتها في « المانيفيات » مجموعة من أصدقاء سان بول روكس وتلاميذه والتي رعاها مركوردي فرانس في أوائل شهر تموز عام ١٩٢٥ في الكلوزوري دي ليلى . كان بين الحضور بعض الشخصيات غير المرغوب بها صراحة لدى السرياليين . ان الأمر لايتعلق طبعاً بالرمزيين على مذهب بول نابوليون روانار ، المتخلفين والمسالمين ، بل بشخصيات أمثال لونييه بوي وراشيلد اللذين كانا ينتميان بأفكارهما إلى فئة المحافظين بل إلى الرجعيين . وأثناء الوليمة توصلت راشيلد إلى القول ، وهي تعيد عبارات وردت في مقابلة سابقة ، وبصوت عال ليسمعه جميع الحضور ان « امرأة فرنسية لاتستطيع الزواج من رجل ألماني » والحال ، وفي ذلك الحين ، كان السرياليون يعشقون ألمانيا لأسباب هي : أولاً : لأن هذا البلد كان في نظر البورجوازيين الفرنسيين العدو الموروث الذي لم يتم التغلب عليه بعد والذي لاتمنعه قيود معاهدة فرساي من ارادة النهوض مرة ثانية . هذا الدافع السيء للتعويضات والذي أغاظه بوانكاريه باحتلال الرايخ ، ثم لأن ألمانيا كانت في نظر ديسنوس ، تعد من القوى الشرقية التي يستغاث بها لتدمير الحضارة الغربية . وأخيراً ، كما سبق

وقال أراغون « اننا هؤلاء الذين يمدون يد المساعدة للعدو دائماً . وبعد حديث راشيلد نهض بروتون بكل جلال ، وأبدى لها ملاحظة بأن الكلام الذي نطقت به مهانة لصديقه ماكس ارنيست الحاضر أيضاً في هذه الوليمة (١) . وفجأة شوهدت ثمرة تطير في الهواء ، لاندري من قذف بها ، وتنسحق على شخصية حكومية ، وسط أصوات تهتف : « لتعش ألمانيا » ! وعمّ الصخب ثم تحول إلى مشاجرة فتعلق فيليب سوبو باحدى الثريات وكأنها أرجوحة . وقلب بقدمه الأطباق والقوارير فوق الطاولات (٢) . وفي الخارج تجمهر المتسعكون ، وانهارت الضربات من اليمين واليسار وادعت راشيلد فيما بعد بأنها تلقت ركلة على بطنها صادرة عن رجل ضخم الجسم ، ذي لهجة ألمانية (مشيرة هكذا ، طبعاً ، إلى ماكس أرنيست نفسه) . ومثل قبطان سفينة توشك على الهلاك في خضم العاصفة ، أراد حكيم **الكاماريه** ، الذي تأثر بهذه الأحداث ، أن يعيد الهدوء ، غير أن أصدقاءه الرسميين لم يسمعوا كلمات التهدئة ، وأصبحت الفرصة سانحة ، لحنق هؤلاء « المحرضين السرياليين » . وبما أنهم يعجزون عن الوصول إلى الهدف ، لجأوا إلى المدافعين الطبيعيين عن الشعر المهزّر ، أي رجال الشرطة وأرشدوهم إلى الذين يجب أن يوسعوا لكماً . وبينما كانت تسمع هتافات : « لتعش ألمانيا ! لتعش الصين ! فليعش الريفيون ! (في المغرب) كان ميشال ليريس ، وقد فتح النافذة المشرفة على البولفار ، يصرخ بأعلى صوته : « لتسقط فرنسا »

(١) – تختلف الروايات حول هذه الوليمة باختلاف الشهود . يقول بعضهم ، بأن أندريه بروتون رمى بمنديله على وجه السيدة راشيلد وهو ينسبها بأنها بائعة هوى !

(٢) – « قلبت الطاولات وديست الأواني . وتبادل الخصوم اللكمات في نهاية المطاف . بينما كان زجاج النوافذ يتطاير كسراً كسراً . (مقابلة مع راشيلد) .

ولم يتأخر عن شرح وجهة نظره عندما دعاه جمهور الحضور إلى ذلك ، وكانت الضوضاء مستمرة على بولفار المونتبارناس ، وميشال ليريس لايزال يتحدى الشرطة والجمهور وأوشك أن يحاكم محاكمة تعسفية ، غير أنه سيق إلى مفوضية الشرطة وضرب ضرباً مبرحاً .

كانت الفضيحة ، وأجمعت الصحف على التحريض ضد السرياليين وقد نشرت مقابلات ناقمة أجرتها مع السيدة راشيلد ضحية « العملاء الألمانيين » . واقترح أوريون وهو من مجلة **العمل الفرنسي** في « رسالة مفتوحة إلى الأدباء المراسلين » أن يقاطعوا السرياليين (١) . كان لابد من أن يعاقبوهم بتدمير مؤامرة الصمت ضدهم وحتى منع لفظ « سريالية » من الظهور في الصحف ، وإلى الأبد ، وفي اعتقادنا أن لاشيء كان يبعث النشاط في السرياليين مثل رغبة الدعاية .

---

(١) – « انما القضية قضية انتقام فقط . واغلاق الطريق التي توصل إلى الجمهور ... كل منا . . . سيصمت في المستقبل عن مقالاتهم . وكتبهم . شرط أن يلجأوا إلى أساليب دعاية أقل دناءة . عقوبة أولى ، يستطيع غيرنا أن يتبعها ، على شكل اخر . إذا لم يكتفوا بالكتابة . » أوريون . العمل الفرنسي ، ٦ تموز .

وهناك أيضاً كليمان فوتيل : . . . انها « أهوال » بولفار المونتبارناس التي لا يتعرض لها نقد خجول ، ضعيف ومهمل . اه ! الخوف من أن يحكم علينا كأننا « كتاب تافهون » .

أرسل إلى الصحف جدولا أعمال أحدهما من جمعية رجال الأدب الذي « يفضح السلوك المشين لبعض الحضور الذين أهانوا امرأة أدبية وصرخوا : «لتسقط فرنسا » والآخر من اتحاد الكتاب المناضلين الذي « يسلم إلى سخرية الجمهور القائمين بهذه التظاهرة المتعمدة .. والاهانة الموجهة إلى الفكر الفرنسي . . والشتيمة إلى جميع الذين خاضوا الحرب وماتوا في سبيله » .

..لم يتوقف السرياليون عند هذا الحد . فنشروا في نفس الوقت الكتاب المفتوح إلى بول كلوديل سفير فرنسا « وأثناء المقابلة في كوميديا لم يجد سيادته صفة للنشاط السريالي أفضـــل من « لوطي » ؛ وأضـــاف جديداً مفصلاً لا يتوقع ذكره في هذا النقاش : بأنه اشتهر في خدمة وطنه أثناء الحرب إذ سمح لأميركا أن تبيع « كميات كبيرة من (دهن الخنزير » إلى فرنسا المناضلة في الحرب . أتى الجواب مقزعاً :

« كان السرياليون يقولون : اننا نهتم قليلاً بالابداع ، ونتمنى من كل جوارحنا أن تزحف الثورات والحروب ، والانتفاضات في المستعمرات لتدمير هذه الحضارة الغربية التي تؤمنون حماية أوباشها حتى في الشرق . وندعو هذا التدمير كأنه حالة لاتتعرض ارتفن العقل إلا قليلاً . . . » .

. . . « نغتنم هذه الفرصة لنعلن جهاراً أننا نتخلى عن كل ما هو فرنسي قولاً أو عملاً ونعتبر أن الخيانة وكل ما قد يسيء إلى أمن الدولة ، بشكل أو بآخر ، يتماشى مع الشعر أكثر من مبيع « الكميات الكبرى من دهن الخنزير لحساب أمة من الخنازير والكلاب . . . » .

انتفاضة جديدة ، عرضت **الصحيفة الأدبية** هذه المرة في عدد الرابع من شهر تموز ١٩٢٥ أن تبعد السرياليين وتعطل قدرتهم على القيام بأي نشاط قد يؤذي (١) .

---

(١) — عودة إلى وليمة سان بول روكس : **يبقى أن نعرف إذا ما كانت العدالة** ستعامل كما يستحقون أشخاصاً ، ليسوا فقط فرنسيين سيئين وأوغاداً . بل كان الكثيرون منهم يحملون **السلاح** .

قد تصرفوا مثل مجرمين ضد الحق العام . . . سنأخذ على عاتقنا أمر اسكاتهم » .

(العمل الفرنسي)

وفي (لوتان) يكتب بول سوداي بطرافة ، في صدد الرسالة إلى كلوديل : « عندما سيرشح كل من السيدين لويس آراغون والسيد فيليب سوبو نفسه للأكاديمية الفرنسية بعد ثلاثين سنة تقريباً سينزعجان قليلا إذا ما نبش أحد المنافسين هذه الدناءات السيئة .

ان أيديولوجية السرياليين ونشاطاتهم لم تعد بالفعل تخفي على أحد ، فالى هذا الحين ، لم ينظر بعين الجد إلى جميع التهجمات التي كانوا يطلقونها ، أملاً بقدوم يوم يعودون به إلى رشدهم أمثال غيرهم ، بعد الانتهاء من افراغ جعبة النبال وهدوء حماس الشباب . وتظاهراً بالتسامح تجاه هؤلاء الاولاد المزعجين الذين طالما تنحصر تهجماتهم في حقل الكتابة الذي كان بالنسبة لهم صمام أمن مفتوحاً . غير أن الحالة كانت تسوء : في الداخل كانت فرنسا تعاني من أزمة مالية حادة وفي الخارج كانت تخوض حرباً حقيقية منذ بضعة شهور ضد عصابات عبد الكريم في أرياف المغرب وعلى الصعيد الدولي ، كانت حكومة الكانتون الثورية التي امتد سلطانها إلى الصين ، تبدو وكأنها تنذر بأزمة ثورة جديدة في صفوف الجماهير الآسيوية . ولم يتداع الاتحاد السوفياتي على عكس التوقعات « اللبقة » بل كان يستأثر بحب الطبقة العاملة العالمية ونشاطها وهو يتخبط بين مصاعب لا مفر منها . لم يعد وقت للتسامح . لابد من حشد الصفوف ضد العدو المشترك ، واعادة تأسيس « اتحاد مقدس » خاصة على صعيد الفن ، يجتمع حول القيم التقليدية للوطن ، والأسرة ، والدين ، واعلان حرب لاهوادة فيها ضد السرياليين الممسوسين .

لم يعد للسرياليين من خيار أمام هذه الأحداث ، فقرروا خوض المعركة . والحقيقة أن خيارهم هذا كان قد تم منذ زمن بعيد ولكن ، كما أظهرناه جيداً من خلال تصريحات أراغون ، بروتون وايلوار ، لم يتخذ قرار في ارادة التعبير عنه على صعيد نشاط سياسي . وكان يبدو لهم عبثاً وخطراً أن يجسموا مثلهم في « ثورة شاملة » على هذا الصعيد ، إلى جانب اختصاصيين سياسيين أو معهم ، حتى ولو وجدوا نشاط هؤلاء زهيداً . غير أن أسباباً كثيرة تختلف أهميتها أرغمتهم على احداث منعطف واتخاذ اتجاه كان من المستحيل اتخاذه لبضعة شهور خلت .

٤ - حرب المغرب

« ان الفن الصادق اليوم شريك النشاط الاجتماعي الثوري . انه يسعى مثله إلى البلبلة وتدمير المجتمع الرأسمالي . »

أندريه بروتون

وقعت حرب المغرب أولاً . وقد بينّا عمق الأثر الذي تركته حرب ١٩١٤– ١٩١٨ في السرياليين . وكيف وجد هؤلاء الرجال في أهوالها وأضرارها التصميم الحازم على التدمير الشامل وقد راق لهم أن يجدوا نظيرها عند ساد ، وبوريل ، ورامبو ، ولوترايامون . وهاهي الحرب تعود ، بارسال أفواج إلى « مسرح العمليات » وتعبئة سرية ، وموت شبان في حرب لم تعلن هذه المرة على بلد رأسمالي آخر بل على شعب مستعمر يعشق حريته ، وكان زعيمه عبد الكريم يؤكد أن الريفيين لايطلبون إلا ان يعيشوا على تفاهم مع الفرنسيين . ولكن على قدم المساواة ، لأنهم يعتقدون أنه لم يعد بوسع الفرنسيين أن يمارسوا إلى أجل غير مسمى ، ضغوطاً شائنة بحق الجميع . فلم يكتفوا فقط بتحريك آلة الحرب الحديثة ضد هذه الشعوب المنتفضة بل طلبوا إلى « المثقفين » أن يبرروا المحرضين على القمع . فاذا ما كان الأكاديميون والأدباء

الرسميون يناصرون « الوطن المهدد » (بيان : المثقفون يناصرون الوطن) فان السرياليين على عكس ذلك كانوا مندفعين في تيار الثوار ، ومن يساندهم في العاصمة أي الشيوعيين الذين يعلنون عزمهم على تبني قضية عبد الكريم .

غير أن رغبة هذا التقارب لم تبلغ ارادة الانتساب إلى الحزب الشيوعي فان بروتون وأصدقاءه أحرص على استقلالهم الذاتي وعلى قيمة أفكارهم من أن يمزجوها في مذهب ثورة أسست بصورة رئيسية على الاقتصاد وتاريخ العلاقات الطبقية . ولكنهم مستعدون لتأليف نوع من « الجبهة الموحدة» مع المنظمات شبه الشيوعية أو المثقفين الثوريين الذين ينتمون إلى تعاليم لينين وتروتسكي . ففي الصف الأول لهذه المنظمات نجدمجموعة كلارتيه التي سبق أن جادلوها بعنف (مشادة أراغون — برنيير) والتي تقوم وحدها بنشاط فعال ضد حرب المغرب ، على الصعيد الأيديولوجي . وتخلص مديرا كلارتيه : جان برنيير ومارسيل فورييز تدريجياً من تأثير هنري باربوس الداعي إلى السلام وحب البشرية ومؤسس الحركة في نهاية الحرب عام١٩١٩ ، ليسلكا طريق الثورة على صعيد يوازي صعيد الشيوعية الدولية ، فأوجدوا حول هذه المنظمة « هالة » من المثقفين والمتعاطفين ، ووجها ضربات قاسية إلى الأيديولوجية البورجوازية محاولين خلق قيم جديدة تناوئها أسوة بروسيا السوفياتية . ولئن كان السرياليون يرون حتى الآن ، أن التجربة الروسية لاتثير الا القليل من الحماس ، فأنهم زجوا بأنفسهم مع ذلك في مجموعة كلارتيه تشدهم قوة الأحداث ذاتها (١) . وبدأت المحادثادت والاجتماعات ومناقشة

(١) — « أتت أحداث حرب الريف ودفعتنا تماماً بعضنا نحو بعض » . مرسيل وريير . (كلارتيه ، ٣٠ تشرين الثاني ١٩٢٥) .

القضايا الاساسية ولدينا برنامج اجتماع يومي نلاحظ فيه ارادة تعاون تبشر باندماج شامل وبسيط : يدعون فيه إلى ضرورة النظام المشترك ومراقبة نشاط كل عضو (١) . ولا تنقص فيه (الامر الذي يصعب تحقيقه) رغبة التوصل إلى أيديولوجية مشتركة بالنسبة للمعضلة الكبرى لعلاقات الفرد مع الثورة . وألّفت لجنة متكافئة العدد (من كل فريق) مكلفة باتخاذ القرارات .

غير أن الاتفاق كان أقل وضوحاً مع مجموعة « الفلاسفات » حيث تتخذ مجموعة من الشبان أمثال هنري ليفيبفر ، وجورج بوليتزير ، ونوربير كيرتمان ، وجورج فريدمان ، وبيير مورهانج ، موقفاً بعيداً عن الشيوعية التي سينتمون إليها فيما بعد ، وحتى عن فلسفة مادية تنتج عنها . وحاولوا على الأقل ، أن يؤسسوا قيماً قادرة على تدمير الأوضاع الأيديولوجية الراهنة مثلما أوجدتها البورجوازية والتي تستمر في الدفاع عنها .

وتجسد الاتفاق بين السرياليين وكلارتيه والفلاسفات والكورّيسبوندانس (مجلة سريالية بلجيكية لكميل جيمانس وبول نوجيه) في بيان « الثورة أولاً ودائماً » الذي نجد فيه ، بعد التحية لآسيا الخالدة ، أفكاراً جديدة أخرى يقبلها السرياليون وان بدت غريبة عن

---

(١) — برنامج اجتماع يوم الأربعاء في الثامن من شهر تشرين الأول ١٩٢٥ ، في كلارتيه ، في تمام الساعة العشرين (التزام مطلق بالسرية) .

١ — الوضع الأيديولوجي — الصعيد السياسي — الصعيد الأخلاقي .

ا — سياسي بالنسبة : للشيوعية العالمية—للحزب الشيوعي الفرنسي—للأحزاب البرجوازية

ب — أخلاقي : بالنسبة : للفرد . للثورة . لأنظمة أخرى (فنية ، فلسفية ، دينية) .

٢ — ضرورة نظام يرتكز على الثقة . وسيلة توفيره . مبدأ الاقتراع .

٣ — تشكيل لجنة — صلا حياتها — سلطاتها — مراقبة النشاط الفردي — مدتها — تشكيلها .

(نقلا عن ريمون كونو)

اهتماماتهم السابقة بالشكل التي صيغت فيه على الأقل . نراهم ملتزمين بمشاكل الأجور يعني في خضم الاقتصاد السياسي (١) .

لم يكن ذلك سوى تمهيد . فالاعلان ذاته يشيد « بالمثل الرائع لنزع السلاح الفوري والتام دون مقابل الذي أعطاه لينين للعالم عام ١٩١٧ في بريست — ليتوفسلك » ، وبرفض التعبئة تحت « المعطف الأزرق السماوي الحقير . . . لأن فرنسا لا توجد بالنسبة لنا » ، والتصميم على الاستنكار والخزي يوجه في كل مناسبة إلى : « الكهنة ، والأطباء ، والأساتذة ، والأدباء ، والشعراء ، والفلاسفة ، والصحافيين ، والقضاة ، والمحامين ، ورجال الشرطة ، والأكاديميين من جميع الأصناف (٢) » . وما تجدر الاشارة إليه ، اضافة إلى ذلك ، هو الاعلان الجديد للسرياليين : « لسنا طوباويين ، اننا لا نفهم هذه الثورة الا بشكلها الاجتماعي (٣) » . فلم يعد الأمر اذن مجرد « ثورة فكرية » دون احداث تغيير في « أي شيء من النظام الفيزيائي والظاهر للأشياء . بل على العكس ، ليس من ثورة ممكنة على الصعيد الفكري ، هدف السرياليين الأساسي ، دون أن يسبقها أولاً ثورة في العلاقات الاجتماعية . حتى أن السرياليين يبدون وكأنهم ينوهون بأن هذه الأخيرة أصبحت أكثر الحاحاً وأكثر

---

(١) — « منذ أكثر من قرن هبطت الكرامة الانسانية إلى مستوى قيمة التبادل . انه لمن الظلم والقبح ان يستعبد صاحب الملكية من لا ملكية له (، ولكن عندما يتجاوز هذا الضغط اطار دفع الأجر البسيط ويأخذ مثلا شكل العبودية التي يفرضها كبار المتمولين العالميين على كاهل الشعوب فهذا جور لن تقوى أية مذبحة على التكفير عنه . . . » .

(٢) — « أيها الموقعون جميعاً على هذه الوثيقة البلهاء : » المثقفون في نصرة الوطن « أيتها الكلاب المروضة على الاستفادة التامة من الوطن ، وحدها فكرة هذه العظمة التي تفرضونها تنعشكم . . . » .

(٣) — نحن نشير إلى ذلك .

ضرورة مباشرة ، وان ارادة التخلي عنها تكـــون بمثابة برهـــان عن « الوهم » .

يدل هذا النص على منعطف في تطور الحركة . وهو بداية لما أسماه بروتون « بالمرحلة المتعقلة » للحركة (١) . ومنذ هذه اللحظة ، يبدأ تاريخ العبور من الأيديالية التي يعترف بأن السرياليين يمسكون بزمامها إلى « المادية الديالكتية » ، قد نكون على عجل من الأمر ، غير أنه لابد من أن نلاحظ ضرورة هذا العبور الذي يريدونه « نهائياً » ومنذ هذه اللحظة كذلك سيكثر النقاش حول كيفية تحقيقه . ويضيف بروتون : أن النشاط السريالي في عام ١٩٢٥ كان يشعر « بقصوره النسبي » ويبين كيف توقف النشاط عن الاكتفاء بالنتائج (النصوص الآلية ، أخبار الأحلام ، الخطب المرتجلة ، القصائد ، رسوم أو أعمال عفوية) التي كانت تقصدها مبدئياً ، وكيف توصل هذا النشاط إلى النظر إلى نتائجه الأولى كمواد كانت مشكلة المعرفة تنزع حتماً إلى أن تستند ، أنطلاقاً منها ، إلى صورة جديدة تماماً .

وكان حدث آخر ، أقل ظهوراً ، ولكنه ذو نتائج لا يستهان بها أضاف فعاليته على فعالية الأحداث السابقة هو : قراءة بروتون لمؤلف

---

(١) – « الثورة أولا ودائماً . . . دون شك ، غموض من الوجهة الأيديولوجية ... غير أنها تشير على الأقل إلى سابقة مميزة ستقرر فيما بعد التصرف اللاحق للحركة . فأمام هذا الحدث المفاجيء والمثير للغضب والذي لا نقوى على التفكير به (حرب المغرب) . يجد النشاط السريالي نفسه أمام تساؤلات عن وسائله الخاصة وتعيين حدودها : سنرغم على اتخاذ موقف واضح لا يتماشى مع طبيعته لنستمر في مجابهة ما يخرج عن نطاق هذه الحدود ، وهكذا يدخل هذا النشاط في هذه اللحظة بالذات ، في طوره المفكر . ويشعر فجأة بحاجة إلى عبور الفجوة التي تفصل الأمثلية المطلقة عن المادية الجدلية » .

أندريه بروتون ، ما هي السريالية ! (١٩٣٤) .

عن لينين وضعه ليون تروتسكي كان يبين الكتاب للسرياليين ، تحت أضواء جديدة ، ضخامة الانقلاب الذي اجتاح شرق الأوروبي والجرأة والصفاء اللذين برهن عليهما محركو الانقلاب . فأين اصبح ساد ، وبوريل ، ورامبو إذا ما قوبلوا بهولاء الجبابرة الذين وجدوا لانفسهم أولاً ثم لجميع الناس حلاً للمعضلات الأساسية حول مصير الانسان ، وعن تساؤله عن « لماذا » و « كيف » . وذلك في تزهد طوعي ، لاحدود له متخطين إلى أبعد حد المعضلات الأخلاقية الفردية التي كان يطرحها مثقفو الغرب الثائرون ؟ شعر بروتون ، وهو ذو العبقرية الحدسية التي لم تخطىء أبداً : بهذه « الرعشات الجديدة التي أخذت تسرى في الجو (١). فوجه تحيـــة للثورة الروسية وروّادها بلهجـــة المعجب المتحمس لهـــذه القضية (٢) . وأبدى اعجاباً خاصاً لتروتسكي ، اعجاباً حافظ عليه مدة طويلة . وظلت تتميز به في عام ١٩٣٨ المراحل التي تنتهي بنشوب الحرب. العالمية الثانية كأنها « عهد لوترايامون ، وفرويد ، وتروتسكي (٣) » ان هذه الأسماء التي لايريدها فقط رموزاً ، بل تختصر في نظره ، الجهد الأكثر اثارة الذي عرف إلى هذا الحين ، في ارادة السيطرة على الشعر والتعمق في معرفة الانسان والتحول الثوري للمجتمعات .

---

(١) — لوترايامون .

(٢) — « . . . أتخلى عن وصف انطباعاتنا .

« يتذكر تروتسكي بلينين . وفوق كثير من الاضطرابات ، تمر حكمة صافية تشبه عاصفة ساطعة قد تخلد إلى الراحة . لينين ، تروتسكي ، ان شحنة هذين الاسمين فقط ستجعل الأفكار العديدة تتذبذب . أيفهمون ! أو لا يفهمون ! .

« فليعش إذن لينين ! وأحيي هنا سراً ، ليون تروتسكي : هو الذي استطاع . . . » .

اندريه بروتون . ليون تروتسكي : « لينين » « الثورة السريالية » ، عدد ٥

(٣) — أندريه بروتون ، الرجاء ادراجه في كتاب نيكولا كالاس : مصادر الحريق (دي نويل) .

يبدو إذن أن السرياليين يريدون البدء في التوجه إلى عمل اجتماعي وسياسي . ففي نهاية عام ١٩٢٥ ، وطّد التعاون مع مجموعة كلارتيه . وفي شهر ايار ، سبق لفكتور كراستر ، المحرر في كلارتيه ، ان رفع الحظر الذي فرضه المثقفون الثائرون على المجموعة السريالية الصغيرة : بمقال تحت عنوان : « تفجر سريالي» وأظهر «نقاط التماس بين السرياليين وبيننا نحن ، وهي نقاط تماس لانكتشفها بهذا الوضوح مع أية مجموعة أدبية أخرى لاتزال على قيد الحياة إلى الآن » . وفي شهر تشرين الثاني قدمهم جـــان برنيير إلى قرّائه وكأنهم « الفريق الأكثر تصميماً بين الشبيبة المثقفة ، وعلى أصالتهم « موهبتهم » كما يقال ، كان البوجوازيون المثقفون يعقدون أكثر آمالهم » . ويصورهم كأنهم « يطرحون خلفهم أنواع النجاح في مهنتهم التي كانت تسير نحوها بكثير من المذلة الأكثرية الساحقة من المتقدمين والمعاصرين ، لينضموا إلينا أخيراً بهدف انطلاقة جديدة » . ويشير برنييه من جهة ثانية ، إلى اعلان عام ، ظهر حديثاً باسم **مجموعتنا الجديدة** وقد نشرته مجلة الأومانتيه في عدد الثامن من شهر تشرين الثاني عام ١٩٢٥ ، حيث يشرح السرياليون بالاشتراك مع رفاقهم الجدد ، وبكل وضوح أنه لم توجد أبداً « نظرية سريالية للثورة » وأنهم لم يؤمنوا قط « بثورة سريالية » . ولنذكر هذه التصريحات كتعبير عن عقليتهم في عام ١٩٢٥ أكثر منها تعبيراً أكيداً عن الحقيقة . فالمهم أنهم يقولون إنهم لا يريدون بعد الآن ان ينظروا إلى الثورة إلا في شكلها الاقتصادي والاجتماعي » ويستخدمون في تعريفها الصيغ اللينينية الدقيقة (١) .

(١) — « لايستطيعون تصور الثورة إلا بشكلها الاقتصادي والاجتماعي : الثورة هي مجموعة الأحداث التي تسببت بانتقال السلطة من أيدي البورجوازية إلى أيدي البروليتاريا وبالمحافظة على هذه السلطة بواسطة ديكتاتورية البروليتاريا . . . » .

فاتخاذ هذا الموقف الواضح يجعلنا ندفن في الماضي الجدل الكلامي مع أراغون . ويعبر برنييه عن ذلك بأن بروتون وأصدقاءه ، مثلهم مثل محرري كلارتيه ، قد اصطدموا « بوقائع محتمة » الحرب . واستغلال الانسان للانسان ، والاتجار بالفن والأدب (١) .

لذلك فان عدد كلارتيه الصادر في كانون الأول أعلن على غلافه : « تختفي كلارتيه وتخلفها **الحرب الأهلية** » وعدد في نفس الوقت أسماء مؤسسي مجلة كلارتيه السرياليين منهم والمنتسبين إليها والملتزمين بأفكار هذه المطبوعة الجديدة : لويس أراغون ، جان برنييه ، أندريه بروتون ، فكتور كراستر ، روبير ديسنوس ، بول ايلوار ، مارسيل فورييه ، بول جيتار ، بانجمان بيريه ، ميشيل ليريس ، أندريه ماسون ، فيليب سوبو وفكتور سيرج . وقد تبلورت الأمور إلى درجة جعلت مارسيل فورييه يقدم في الافتتاحية ، لسان حالهم الجديد كأنه التعبير عن :

« التيار الأول الذي ظهر في فرنسا منذ عام ١٩١٩ ، تيار فكري اقتبسته الشبيبة الثورية من الشيوعية ، تيار اجتمعت فيه للمرة الأولى افكار وصلت إلى الثورة بوسائل متباينة ، انه بنوع خاص تعبير عن الجهود القيمة التي قامت بها الأجيال الشابة بعد الحرب »» (٢) .

وفي الأول من شهر آذار عام ١٩٢٦ ، نشر السرياليون الاعلان ذاته في مجلة « الثورة السريالية » مع فارق هو انهم لم يذكروا أنه يجب على « الثور» السريالية » أن تختفي لصالح المنبر المشترك . وهذا يعود

(١) — في العدد نفسه من كلارتيه ، يحاول أراغون دراسة عن « بروليتاريا الفكر » وقد وصفها برنيير بأنها « ماركسية لا مأخذ عليها » .

(٢) — كلارتيه عدد ٧٩ .

إلى أن الانضمام لم يكن شاملاً بالفعل ، ولم يصل إلى ذوبان المجموعة السريالية ، ويشرح بروتون هذا الموقف في المقال الأول الذي نشره في كلارتيه . ومما لاشك فيه هو أن السرياليين خرجوا من برجهم العاجي وصاروا يرون أن الصراع بعد الآن لاينحصر فقط ضمن حدود الأفكار . وبروتون الذي سبق أن كتب : لن تكون السريالية في خدمة « تحسين الرفاه الأرضي البغيض » يعترف بأن لاقيمة لأي عمل فكري ما لم يساهم في « تغيير ظروف حياة عالم بأكمله (١) » . غير أن للتجربة السريالية وجودها أيضاً . فقد سبق أن أعطت نتائج ، وهي لاتتعارض بشيء مع الثورة . وفي نظره أنها تتخطى بشمولها الاختصاص الضيق في الاقتصاد والاجتماع ولا يمكن أن تختلط فيهما دون محذور خطير . فقد يخطىء كل من يريد أن ينظر إلى السريالية وكأنها تابعة للعمل الثوري ، ويحذر بروتون أصدقاءه السياسيين بأن لايتوقعوا منه انكاراً لهذا العمل أو تخلياً عنه . فمن النافع والضروري أن تتابع التجربة السريالية مسيرتها (٢) .

---

(١) — « أريد أن أعتقد بأنه ليس من عمل فكري لم تحركه رغبة التحسين الواقعي للأوضاع المعيشية لمجموعة ما . . . بالنسبة لنا ، المهم هو أن اليأس ، هذا اليأس المشهور الذي نسب إلينا كأنه دافع ، يتوقف عند عتبة مجتمع جديد . لم يكن علينا سوى أن نوجه أنظارنا إلى روسيا . . . نحن ملك الثورة جسماً وروحاً ، وإذا لم نتقبل إلى الآن ، أوامر من أحد فهذا لحرصنا على الاستعداد لتلقي أوامر الذين ينعشونها . . . » أندريه بروتون — قوة الانتظار ، (كلارتيه العدد ٧٩) .

(٢) — « لاأظن أنه في الوقت الراهن يوجد مجال للمقارنة بين قضية العقل النظري وقضية الثورة ، وأن يطلب منا ، من بعضنا ، اختصاص أكثر تعمقاً : وأضيف . قد لا ادرك اصرارهم على أن أعلن افكاري للنشاط السريالي مثلا في سبيل خدمة أهداف مفروضة . « المرجع ذاته » .

. غير أن عناد بروتون فيما يتعلق باستقلال السريالية الذاتي التي يريد أن يجعلها في خدمة الثورة دون أن يضحي بها ، تسبب في نهاية الأمر باخفاق مشروع التكتل الجديد وحجب مجلة **الحرب لأهلية** عن الظهور .

قبل عام ١٩٢٧ ، وخارجاً عن هذه المعطيات النظرية ، لم يقدم السرياليون تفسيراً رسمياً للتخلي عن هذا المشروع . وسعت كلارتيه التي عادت إلى الظهور في عددها الأول من (السلسلة الجديدة) في تاريخ الخامس عشر من حزيران ١٩٢٦ إلى البحث عن أسباب الاخفاق هذا (١) . وقد رأى مرسيل فورييز الأسباب في انعدام الحياة الجماعية الحقيقية داخل التجمع الجديد الكفيلة وحدها بتحويل القيم السريالية والكلارتيسية (كلارتيه) وعند انعدام هذه الحياة ففي سوء التوظيف الحقيقي لقوى التجمع الآني :

كان ينبغي ترك السرياليين والكلارتسيتين كل في الاختصاص الذي كان سبب وجوده والتخلي عن فكرة ذوبان مستحيل وغير مرغوب فيه وذلك في سبيل تعاون لابد أن يكون أكثر التحاماً في هذه الحال . فالمسؤول الوحيد عن هذا الفشل المؤقت هو الاسترسال في الحماس . ، ولايظهر فورييز من جهته أية اشارة حقد للسرياليين لاقتناعه بأنهم « سينخرطون في الصف الشيوعي ، عندما تحين ساعة الامتحان الحاسمة » . . . بل أنه يذهب أبعد من ذلك : انه يعذر ، وبكل تفهم أخوي ، يواجه المشاكل الخاصة بالسريالية ويعترف بأنها ليست مشاكل العمل السياسي والاجتماعي ، وفي هذه الحال :

(١) — مارسيل فورييز ، كتاب إلى قراء كلارتيه (العدد الاول من السلسلة الجديدة ١٥—٦—١٩٢٦) .

« يكون من غير المعقول ، في الوقت الحاضر أن نطلب من السرياليين التخلي عن السريالية . فهل طلبوا من الشيوعيين التخلي عن الشيوعية ؟ ومختصر القول : انه من الأفضل ألا تحصل التجربة المقترحة ، وهكذا يبقى المستقبل مكفولاً » .

لم تقطع الجسور اذن لأن السياسيين لم يتصلبوا بموقفهم . فحل التعاون عوضاً عن الانصهار المقترح ، وقامت **كلارتيه** بنشر قصائد وابحاث سريالية لأراغون وايلوار بيريه ، ليريس ، وديسنوس حتى عام ١٩٢٧ ، وقابلت « **الثورة السريالية** » حسن الضيافة بالمثل فنشرت دراسات اجتماعية وسياسية لمارسيل فوريير وفكتور كراستر .

* * *

٣- المرحلة المتعقلة للسريالية

١٩٢٥ ـــ ١٩٣٠

أزمـــة نـــافيـــل

« ليس زمننا الحاضر زمن نبوءات . بل زمن توقعات »

بيير نافيل

ومع ذلك لم تحلّ مشكلة النهج السياسي والاجتماعي في السريالية . ففي قلب المجموعة السريالية بالذات ، أثيرت القضية من جديد وسببت كما يلاحظ بروتون ، « خلافات لها طابعها الخاص (١) » . « خلافات لامفر منها ، إذا ما فكرنا بأن السريالية لم تكن أبداً **مذهباً** بل موقفاً فكرياً ، وان أفراداً تختلف نزعاتهم كانوا يشجعونها . فقوة الأحداث وبشـــكل أكثر عمقاً التجربـــة التي عاشها السرياليون بالاشتراك مع كلارتيه ، قادت بعض أعضائها إلى طرح السؤال مرة أخرى : « ماذا يستطيع السرياليون فعله ؟ » واجاب بيير نافيل على السؤال بمهاجمة موقف السريالية كما ظهرت في نهاية عام ١٩٢٥ وبدء عام ١٩٢٦ (٢) : فهو يرى أنه إذا كان المثقفون تمكنوا من أن يلعبوا في فرنسا ، دوراً أكثر حسماً من دورهم في بلدان أخرى ، فلن يتمكنوا مع ذلك من أن

(١) ــ أندريه بروتون . ما هي السريالية ؟ .

(٢) ــ بيير نافيل ، الثورة والمثقفون (ماذا يستطيع السرياليون فعله ؟) .

يقدموا أي عون مباشر للبروليتاريا الثورية ، فهذه هي القوة الوحيدة التي تستطيع أن تحقق الثورة التي يدعو إليها السرياليون . فالسرياليون أنفسهم ، بالرغم من تظاهراتهم الصاخبة ، لا يقوون على تشكيل قوة تتمكن من أن تثير مخاوف البورجوازية وتبقى هذه التظاهرات محصورة في الحقل الأخلاقي فقط ، فعلى هذا الصعيد ، تغض البورجوازية الطرف بسهولة عن بعض الحماقات ، لأنها تدرك أن ليس بوسع الفضائح الأخلاقية أن تقود إلى أي اضطراب اجتماعياً كان حتى ولا فكرياً (١) .

حتى لو فرضنا أن السرياليين قد انتهكوا حرمة الحقل الأخلاقي هذا ، فانهم لايستطيعون أن يتخذوا قراراً نافعاً ، وهذه مشكلة مهمة جداً فانه بعد ايجاد حل للتناقض الأساسي للسريالية الحيرى بين موقف غيبي يصفه نافيل بأنه « تأمل نظري في معطيات التجربة الداخلية ونوع من اختبار الأشياء والأحداث الخارجية » وموقف جدلي قد لايكون سوى « تطور الفكر المطابق على منع الشعور بماهيته » . موقفان يناقض أحدهما الآخر . والمعضلة هي هذه : هل ينبغي الاعتقاد بتحرير العقل يسبق الغاء الطبقات البورجوازية في الحياة المادية ، ومستقل عنها إلى حد ما ؟ . أم أن الغاء الطبقات البورجوازية في الحياة المادية هو على العكس شرط ضروري لتحرير العقل ؟ وتستطيع السريالية أن تتخذ اتجاهين متناقضين حسب الاجابة التي ستقدمها :

---

(١) — « . . . ان الفضائح الأخلاقية التي أثارتها السريالية لا تستلزم حتماً اضطراباً في القيم الفكرية والاجتماعية . فالبورجوازية لا تخشاها بل تمتصها بسهولة . حتى أن التهجمات العنيفة التي أطلقها السرياليون ضد الوطنية اتخذت طابع فضيحة أخلاقية . لاتقف مثل هذه الفضائح حاجزاً أمام المحافظة على رأس النظام الفكري في جمهورية بورجوازية . . . . » ب . نافيل . ذكر أعلاه .

« ١ — اما الاستمرار في موقف سلبي ذي طابع فوضوي ، موقف مخلوط سلفاً لأنه لا يبرر فكرة الثورة التي ينتمي إليها ، موقف يخضع لرفض المجاذفة بوجودها الخاص ، وطبيعة الفرد المقدسة إذ يزجهما في صراع قد يقود إلى عمل منظم في صراع الطبقات . »

«٢ — واما الالتزام—بعزم— بالنهج الثوري ، بالنهج الثوري فقط النهج الماركسي . عندئذ يدرك أن القوة الفكرية هي الجوهر الذي هو جزء بل كل شيء في الفرد مرتبطة بعمق بحقيقة اجتماعية تفترض وجودها (١) . »

وبما أن هذين الموقفين أصبحا الآن ممكنين دون تفاوت ، يطرح الخيار بهذا الشكل الحاسم . كان بيير نافيل من أتباع الحل الثاني ، وفي سياق تقديمه البرهان ، يحاول تدمير الفردية بصفتها قدرة ثورية . وقد نال هذا الموقف تأييد الأكثرية الساحقة من السرياليين بالرغم من المظاهر . ويتساءل نافيل : ماذا يستطيع الفرد المتكل على قواه الفردية وحدها ؟ لاشيء . سوى التكهن . لقد أعلن السرياليون تفاهة النشاط الأدبي وذهبوا إلى الاعتراف بفاعلية النشاط الجماعي ، يدل على ذلك وجود مجموعتهم الخاصة . فهذا النشاط الجماعي لايحل أية مشكلة إذا ما اكتفى باطراء القيم الفردية . لم تعد سوى عملية جمع بدلاً من أن تحدث تغييراً من الكمية إلى النوعية وهذا ما تستطيع فعله .

فلا بد اذن بادىء الأمر من التخلي عن « الاستعمال المفرط لأسطورة الشرق » التي قد لاتعني شيئاً لمفكر ثوري ، ولاتستند إلى شيء ذي قيمة مقارنتها بأسطورة أخرى تدعى **غرباً** . لنتوقف أيضاً عن ابداء

---

(١) — بيير نافيل . الثورة . . . (أنظر ما سبق) .

سخرية « رجعية » بانتصارات العلم والآليات : ألم تكن الآلات : « الحقل الذي بحث فيه السرياليون مع غيرهم عن السحر ؟ . »

بعد أن تساءل نافيل عن الثورة التي يبتغيها السرياليون ، « أهي ثورة العقل — سابقة للتجربة — أم ثورة عالم الأحداث ؟ » . قدم خلاصة واضحة :

« ان عمل المأجورين حاجة مادية يرغم عليها ثلاثة أرباع سكان العالم ، انها حاجة مستقلة منذ البدء ، عن الآراء الفلسفية أو الأخلاقية التي ينادي بها الذين يزعمون أنهم **شرقيون** أم **غربيون** . وتحت سوط الرأسمال ، يستغَل هؤلاء وأولئك . فهذه هي أيديولوجيتهم الحاضرة كلها فمن المحتم أن تبطل مشادات الفكر أمام وحدة المصير هذه ....» .

اعترف بروتون بأن هذه التصريحات « سببت بيننا حالات قلق حساسة جداً (١) « وارجعت المشادات إلى داخل المجموعة حتى أنها أوشكت على تفكيكها . وطرحت المشكلة بعبارات تستلزم الاجابة عنها أواتخاذ موقف منها . واصدر بروتون « **دفاع شرعي** » . في هذا الكتيّب (ايلول ١٩٢٦) يجدد اعتناقه المبدئي والمتحمس للبرنامج الشيوعي « بالرغم من اننا نجده برنامجاً ضئيلاً » . ثم يصوب أسلحته إلى السياسيين بمهارة الخبير بالخطط الحربية دون الرجوع مباشرة إلى الأسئلة التي طرحها نافيل . ويشكو من « العداوة الخفية » التي يكنها الشيوعيون له . وبأي حق ؟ وهل سيحقق الشيوعيون وحدهم الارادة الثورية ؟ ليس هذا اكيداً : إذ تكفي قراءة الأومانيتيه « الساذجة الخطابية ،

(١) — أندريه بروتون ، ما هي السريالية ؟ .

المفسدة العقل دون فائدة . الصحيفة التي لاتقرأ ، ولا تجدر فعلاً بأن تقوم بدور التربية البروليتارية التي تدّعي القيام بها » إن الحزب الشيوعي مؤسس على الدفاع فقط عن المصالح المادية(١). ولم يستطع هذا الاهتمام وحده أن يوجد ثواراً . ويصبح الانسان ثائراً بعد أن يقوم بعدد ، لابأس به ، من التضحيات : بمركز اجتماعي ، بحريته ، بحياته إذا اقتضىء الأمر. فليس أمل تحسين الحياة الفردية وحده يشد عزيمة الثائر ، بل على عكس ذلك تقوم حياته على سلسلة من التنازلات الاختيارية . وتخطى السيكولوجية الشيوعية إذ تريد أن تخلق ثوريين بتقديم الوعود بحياة عادية أكثر سهولة .

فهذا الخطأ الأول في المبدأ ، لايشجع على النظر إلى الشيوعيين وكأنهم الثوريون الوحيدون . هناك سؤال أعم مطروح هو : لماذا إذن يستأثرون بالارادة الثورية (٢) ؟ ألم يعط للكثيرين سواهم أن يمتلكوها ؟ ومن ذا الذي يميز بين الثوار وغيرهم ؟ هل توجد حدود تفصل بين من هو ثوري وغير ثوري ؟ ومن سيرسمها ؟ وبمحاولة واحدة يؤكد بروتون طموح السرياليين ويعترف بدورهم (٣) . أما طموحهم ؟

(١) — « ليست المكاسب المادية التي يأمل المرء بأن يجتنيها من الثورة هي التي تدفعه إلى المجازفة بحياته — حياته — على الخارطة الحمراء . . . . » .

(٢) — « أقول : ان الشعلة الثورية تحرق أين تشاء ، وانه ليس من صلا حيات فئة ضئيلة من الناس في أن تقرر بأنها تستطيع اضرام النار هنا أو هناك فقط . في هذه المرحلة من الانتظار التي نعيشها الآن . . . »٠

(٣) — « كنا نعتقد — بما أننا لا نربح شيئاً فيما لو اتخذنا موقفاً مباشراً على الصعيد السياسي — اننا نستطيع في مجال الفعالية الانسانية اللجوء إلى أن نعيد إلى الأذهان المبادىء السابقة وخدمة قضية الثورة على أكمل وجه نستطيع القيام به . . . . » .

فهو أن يخدموا على أحسن وجه **الثورة** وذلك بالرجوع المستمر إلى إلى المبادىء التي يهددها خطر التحريف بملامسة العمل اليومي . ودورهم؟ هو البقاء « في الخارج » لكي يستفيدوا من هذه الفعالية .

كان هدف التهجم على الحزب الشيوعي الخط مسبقاً من قيمة القضايا التي طرحها نافيل . ويتظاهر بروتون بأنه يتناولها كأنها صادرة عن الحزب الشيوعي نفسه ، بينما يستمر نافيل بعضويته في المجموعة السريالية ، وعندما يصل بروتون ، على وجه التدقيق إلى القضايا التي طرحها نافيل يعلن بوضوح :

« ليس من اشكال ممكن من قبلنا في مجال الوقائع : فليس بيننا شخص لايتمنى انتقال السلطة من أيدي البورجوازية إلى أيدي البروليتاريا . **وبانتظار ذلك** (١) ، يبقى من الضروري في نظرنا أن تستمر تجارب الحياة الداخلية . وهذا ، دون شك ، بعيداً عن كل رقابة خارجية ولو كانت ماركسية » .

هذا حكم بعدم قبول الدعوة للالتزام بالنهج السياسي . بل انه يشير إلى ارتداد عن الموقف السابق : نتمنى انتقال السلطة ، إلخ . **وبانتظار ذلك** نريد متابعة تجاربنا بكل حرية .

ثم ينتقل بروتون من جديد إلى المهاجمة . فانطلاقاً من اندماج مثالي للحالتين الشخصية والموضوعية يسوغ « بعض الكلمات الوافية » مثل كلمة **شرق** . ثم يدين بقصد وعلى الصعيد الأخلاقي فقط ، الآلية التي يراها وقفاً على الشعوب الغربية .

---

(١) — نحن نشير إلى ذلك .

ويحتج أخيراً على أن يكون الأجر « العلة الفاعلة للأوضاع الراهنة التي نعانيها » ثم ينكر أخيراً وجود تناقض أساسي في منطلق السريالية . يقول : هناك بالحقيقة مشكلتان مختلفتان : مشكلة « المعرفة التي فرضت علينا اختيارياً » ومشكلة العمل الاجتماعي الذي يجب القيام به والذي لايريد ولايقوى على اللامبالاة به لكن يتكل على آخرين لايجاد الحل له :

« فالمشكلتان ، في الأساس ، منفصلتان ، ونعتقد أنهما ستتعقدان بشكل يرثى له في حال بقائهما على هذه الحالة . فالمجال مفتوح اذن نقف أمام كل محاولة لصهر معطياتهما ، وبنوع خاص ، ضد كل انذار للتخلي عن الأبحاث الشبيهة بأبحاثنا كي ننصرف إلى أدب الدعاية وفنها » .

بالحقيقة ان بروتون يجيب على هامش السؤال : لم يطلب منه التخلي عن السريالية لأجل أدب دعاية ، بل ان يوجهها لتسير على مناهج عمل ثوري .

هل هناك سذاجة من قبل الذين أرادوا ارغامه على الاختيار؟ غير أن الفضل يعود إلى هذا الانذار ، إذ جعله على الأقل يتوصل إلى ارساء موقف محدد واضح : تعاطف عملي مع الثورة البروليتارية وطاعة لأوامرها عندما يحين الأوان : « **وبانتظار ذلك** » الاستمرار على الصعيد الفكري ، في النشاط المعتاد في البحث عن العقل الباطن واظهاره وارادة ضم العقل الباطني إلى الوعي في التوصل إلى حقيقة سامية ، وعلى الصعيد الاجتماعي : حل المشاكل الأخلاقية انطلاقاً من الفرد الحر .

٢ - في وضح النهار

« قد آنت الساعة التي ستسير فيها بحار السخط المتأجج بعكس تيار الأنهار المتجمد ، وتفيض وتخصب مساحات شاسعة من أرض جافة ومتحجرة . وتقتلع الحدود ، وتجرف الكنائس وتطهر شموخ الاكتفاء البورجوازي وتقطع أطراف معاول الاريستوقراطيين المتحجري القلوب وتذلل العقبات التي كانت الأقلية المستغلة (بكسر الغ) تقاوم بها جمهور المستغلين (بفتح الغ) وتعيد البشرية إلى صيرورتها بتحريرها من الأنظمة البائدة والمخاوف الدينية ، والتصوف الوطني الصاخب و من كل ما يصلح ويؤمله آلام السواد الأعظم لمصلحة اسماك القرش ذوات القائمتين و كل زمرتهم وادعاءاتهم » .

رينيه كرافيل

لم تظهر الأعداد ، السادس ، والسابع ، والثامن لمجلة **الثورة السريالية** الصادرة تباعاً (في الأول من آذار ، والخامس عشر من حزيران ، والأول من كانون الأول) عام ١٩٢٦ شيئاً من الجدل الذي هزّ المجموعة خلال هذه الحقبة . فكان المضمون العادي يتألف من أخبار الأحلام والنصوص ، واعادة نشر الرسوم ، والصور ، والقصائد ،

والدراسات . وقد حجبت عنها التصريحات التي كانت كثيرة فيما مضى . ويبدو أن السريالية ، بعد أن سارت بضع خطوات مع كلارتيه ، اضطرت إلى العودة إلى ذاتها ، لتفكر في امكانياتها ، وتتعمق في جوهرها في آن واحد .

وجذبت السريالية مؤيدين جدداً ، أمثال جنجنباش الذي انضم إلى المجموعة ليقدم لها مشهد مغامرته المثيرة . كان رئيس دير لليسوعيين في باريس عندما أغرم بممثلة في الأوديون وأخذ يرتاد برفقتها المطاعم والملاهي . فجرده مطرانه من ثوبه وفقد صديقته اثر ذلك لأنها أحبته فقط في ثوبه ، وفي لحظة كان يفكر فيها بوضع حد لحياته عثر مصادفة على عدد من مجلة **الثورة السريالية** . فلم يزج بنفسه في بحيرة جيرارد مير حيث ذهب ليحقق ما نوى عليه بل أقام علاقة ببروتون وأصدقائه . كان يشاهد في **الدوم والروتوند** ، يضع قرنفلة في عروة ثوبه الكهنوتي الذي عاد يرتديه تحدّياً ، وامرأة على ركبتيه فاستثار هكذا خصومة مستقيمي الرأي الذين كان يجد لذة في اغاظتهم . وراح يوزع أيامه بين حياة علمانية ماجنة يخلد فيها إلى الراحة عند آرتيست روسية في كلارمار ، وبين الخلوة في دير سوليزم . وعندما ظن بعضهم بأن الابن الشاطر يعود إلى حضن الكنيسة المقدسة ، بدد جنجنباش ضلالهم برسالة وجهها إلى بروتون :

« من عادتي أن أذهب عدة مرار في السنة إلى الرهبان قصد الراحة ، والاستجمام واستعادة ريشي » ويعرفون في الوسط السريالي ذوقي المتطرف في الهروب واللجوء إلى الأديرة . . . . أما فيما يتعلق بالثوب الأكليريكي ، فاني أرتديه الآن بهدف الخروج عن المألوف ثم لأن

طقمي ممزق . . . . . وأجد بارتدائه أيضاً نوعاً من السهولة المباشرة بمغامرات غرامية سادية مع الأميركيات اللواتي يصطحبنني ليلاً إلى **غابة** . . .

« لم أجد **أي حل** ولا أية حيلة ولا ذرائعية مقبولة . . وبقي لي الايمان بالمسيح ، والسجائر واسطوانات الجـاز التي أشغف بها ــ **تي فورتو ، يارنينغ** ــ وتبقى لي بنوع خاص ، السريالية .

وفيما بعد كانت نهاية هذا الفرد الغريب سيئة . في محاولة للجمع بين السريالية والمسيحية ، كتب بعض الأعمال مثل : **يهوذا أو مصاص الدماء السريالي** (تحت شعار النسر الأسود ، باريس ١٩٣٠) **والشيطان في اسبانيا** . ثم رأى في بروتون تجسيداً جديداً للوسيفيروس وشهـّر بالسرياليين كأنهم « مجانين واعون أو كأنهم شياطين مجسمة » ويضيف اما « طرد الأرواح الشريرة ممارسة دفنت ، لسوء الحظ ، في مجاهل العصور الوسطى » ولكنه يحتفظ بالأمل بأن « الألم ومحن الحياة والمآسي قد تقود ذات يوم هؤلاء المغامرين الجهنميين إلى اقدام الصليب » ولكن لسوء الحظ » لن يقنع أي برهان لاهوتي أحداً من الســرياليين ، لربما يرتد سريالي إلى الصواب إذا ما تولّه باحدى القديســات واشتهاها بجنون » (١) .

وبالرغم من عودته الصادقة إلى ايمان طفولته ، نستمر بالتفكير بأن رؤساء الأب جنجنباش لم يأخذوا ارتداده بعين الجد بل نظروا إليه بغرابة .

---

(١) ـ ا . جنجنباش ، السريالية والمسيحية .

وتستمر السريالية اذن ، وبيير نافيل الذي لم يستطع أن يطورها باتجاه موقف سياسي مطابق « ينسحب بهدوء » ويصبح مساعد مدير في كلارتيه حيث يتابع نشر دراسات وقصائد أصدقائه . غير أن أراغون وبروتون وايلوار وبيريه ، ويونيك ، قد تأثروا بالرغم من كل شيء بالأدلة التي قدمها نافيل وقرروا أن يقدموا برهاناً على الموقف الذي دافع عنه بانتمائه إلى الحزب الشيوعي . انه قرار مثير للعجب لما نعرفه من تمسك بروتون العنيد بالنسبة لاستقلال السريالية .

هل قاموا بالخطوة الأولى ؟ كلا . بل أرادوا أن يثبتوا بأن الخوف من العمل لايثني عزيمتهم فأعطوا البرهان على ذلك بانتمائهم إلى الحزب الشيوعي . وبما أنهم لايريدون من جهة ثانية ولا يستطيعون أن يصبحوا مناضلين سياسيين ، فيبقى انتقالهم هذا شكلياً . ، وليس له قيمة دعائية ، مخلصة ، ومدروسة دون شك ، غير أن الحزب الشيوعي لم يصدقها عندما قبلهم في صفوفه . وفيما بعد ، عندما طلب إليهم أن يتخلوا عما يعتبره هو هرطقة (الموقف السريالي الذي حاولنا تبيان عناصره) استاؤوا وتخلوا عن الحزب . فأرادوا في هذه اللحظة ، أن يعطوا لانتمائهم ملء قيمته ، ورأوا هذه القيمة في « منطق » موقفهم السريالي إذ يحاولون أن يجذبوا إليه رفاقهم متجنبين بذلك الهيمنة الاستبدادية للحزب الشيوعي . فنتج عن ذلك استيضاحات وتعليلات من قبل هؤلاء وأولئك ، وتبادل رسائل واتخاذ موقف وخصومات أفضت إلى تأليف كراسة « في وضح **النهار**» عام (١٩٢٧) .

ونطالع فيها الأزمة التي نشبت في المجموعة والإعلان عن الرغبة في وضع حد لها . ولأجل ذلك . يرى بروتون ، أنه يكفي شرح عدد من المعضلات وتوضيح المواقف .

لم تفقد السريالية شيئاً من عنفها : هذه هي الملاحظة الأولى . وأعلن الخمسة : (أراغون ، وبروتون ، وايلوار ، وبيريه ، ويونيلك) ، عن ابعاد أنطونان آرتو ، وفيليب سوبو الذي حصل في العام السابق١٩٢٦ لتباين في الأهداف : وبما أن المبعدين يعترفان بقيمة النشاط الأدبي ، فانه لم يعد لهما عمل يذكر في مجموعة تعترف بتفاهة هذا النشاط فالميثاق السريالي انما قام على مفاهيم تختلف تماماً ، ويبدو أن المناداة بهذه المفاهيم ، لم تعد كافية وغير كاف أن نعيشها ، بل يجب أن نتخطاها : يجب الانتماء إلى حزب الثورة . وهذا ما قام به الخمسة فأعلنوا انتماءهم وتخطوا موقفهم الفردي ، واضعين تعاطف الحركة بأكملها في خدمة هذا التنظيم السياسي (١) . ويبدو أنهم قد أخطأوا ، لأنهم تأكدوا أن البعض من أصدقائهم « يتظاهرون بعدم الفهم » نخص منهم السرياليين البلجيكيين بول نوجيه ، وكميل غيمانس اللذين كتبا لهم : « لقد رأيتم وجوب الانتماء إلى الحزب الشيوعي ، فلم يفهم أحد المعنى الحقيقي لهذا المسعى . يحاولون اذلالكم » . فأجابهم الخمسة بأن مسعاهم طبيعي جداً ، ومن جهة أخرى ، يشكل رفض القيام بهذه المحاولة خطراً أكبر من توضيح وشرح موقفهم مرة ثانية (٢) . برهان بسيط اذن . قدّم للمناسبة : كرروه باسم رفاقهم المترددين من المجموعة

---

(١) – « اذا كنا من ناحية أخرى ، وبتأثير أمزجتنا الخاصة فقط ، لم نعتقد جميعاً بوجوب الانتماء إلى الحزب الشيوعي ، فعلى الأقل ، لم يأخذ أحدنا على عاتقه أن ينكر التطابق في الموحيات بين الشيوعيين وبينه . . . » .

(٢) – « قد انتمينا إلى الحزب الشيوعي الفرنسي مقدرين قبل كل شيء أن عدم انتمائنا قد يعني تحفظاً من قبلنا لا وجود له . وقصداً خفياً قد يستفيد منه أعداؤه الوحيدون (أعداؤنا الألد) . . » .

الفرنسية . ويضيفون أنهم يجدون في انتمائهم الشخصي « الملاذ الوحيد الأيديولوجي » الفكرة السريالية». وصارت الفوضوية في نظرهم عقيمة إذ لاتأثير لها ، فهي تتطلب الخضوع اذن لعنصر خارجي بالطبع . يضفي معنى وقيمة على الاعتراض المحض . ويتمنون ألاّ يصبح العمل المشترك عرضة التفكك بسبب اختلاف المواقف هذا . إذ أصبح ضرورة حاسمة أكثر من ذي قبل ويتطلب جهداً من مجموعة القوى السريالية .

فهل يعني هذا أنهم متفقون تماماً وعلى جميع الأصعدة مع السياسيين ؟ كلا ، ففي معسكر الأصدقاء المقربين في كلارتيه . يبدو أنهم لايقدّرون المشاركة السريالية حق قدرها . ويسألون مارسيل فوريه ، لماذا لا تستخدموننا الا « لحاجة أدبية ؟ » أهكذا تفهمون الاختصاص ؟ أنكاد لانصلح الاّ لتزيين الصفحات السياسية الجافة في كلارتيه ؟ ومن جهة أخرى ، لماذا تظهرون متهيبين في الدفاع عنا ؟ ولئن كنا فعلاً محتاجين إلى من يدافع عنا أمام سخافة عقل المناضلين الذين لايتذوقون رسالة التحرر الانساني التي تركها لهم ساد ولوترايامون فلماذا لاتدافعون عنا علناً ، وبمسؤولية ، وعن سابق خبرة ، ما دمنا لسنا أناساً غير معروفين بالنسبة لكم ؟

يبدو بيير نافيل كأنـه الشخص الرئيسي الـذي توجـه إليه هذه **الرسائل** (١) . فلا يزال — اسمياً على الاقل — عضواً في المجموعة ، وبما أنه أفضل من حقق الانتقال إلى العمل السياسي الذي لايزال الخمسة ينظرون إليه بعين الاحترام والتقدير (رغم أنهم لم يصمموا على التخلي عن أفكارهم السابقة) ، فاليه يلجأون خاصة ملتمسين النصح . وله أيضاً

(١) — « نكتب هذه الرسائل ونحن نفكر بك » (رسائل إلى بيير نافيل) .

يوجهون التأنيب . ويذكرون الماضي المشترك ، وباسم هذا الماضي يعتذرون ويريدون توضيح الأمور : ان المواقف مختلفة ، دون شك ، لأن نافيل قد انفصل **فعلاً** عن الحركة ، وان الخمسة يدّعون الاستمرار فيها . ويعترفون الآن أنه وحده طرح المسألة وبطريقة حسنة . غير أنهم لايستطيعون أن يهبوا أنفسهم للتضحية التي قبل بها عندما انتقل إلى العمل السياسي ولا يعتبرون أنفسهم أحراراً للقيام بذلك (١) . وإذا ما كانوا يعترفون جزئياً ، بصحة آرائه ، فأنهم يصلون إلى مرحلة العتاب ، الهدف الحقيقي من الرسالة . فبماذا أخطأ نافيل ؟ ألأنه عني بأن ليس من انسجام بين الماركسية والسريالية ؟ هذا تلميح خفي بأن السريالية تريد أن يعرّف عنها بأنها مذهب ثوري ايجابي ، وطموح يرفضه السرياليون منذ عام ١٩٢٥ . فطلبوا إليه اذن أن يعيد الأمور إلى نصابها ، انه يعرف أكثر من أي شخص ، ان السريالية ، كموقف ثوري للفكر ، تتخطى إلى أقصى حد الوصفات السياسية التي تهدف إلى الثورة (٢) .

(١) – « هناك بيير نافيل الذي يتطور ، دون مغامرة معروفة ، في أوساط الأفكار التي يريدها . ونحن بشكل عام نفقد كل شيء في هذا التهور . . . . ولاتزال تستولي علينا بعض المخاوف : من يأمرُ هنا وهناك ؟ ومن المسؤول في كل دقيقة ، عن جدارة ما يحاولون تنفيذه ؟ في مجلتكم « الثورة والمثقفون » كنت أول من طرح السؤال الذي نناقشه هنا . وبهذه المناسبة . قد وضعت على محك الرقابة وعدم التفهم . حتى أن العقول التي تنير ها ومضات ثورية لم تمتنع من لوْمك لأنك وافقت على القيام بالتضحية . . . . » .

(٢) – « من المؤسف أنك سمحت أن يحدث في كلارتيه أو بما يتعلق بكلارتيه التباس بما يخص السريالية التي لا التباس فيها بالنسبة لك . . . ويرمي هذا الالتباس إلى أن يظهر السريالية كتشويه قبلي للماركسية . . يجب علينا أيضاً أن نلاحظ بأي ثبات يصرون على تقديم السريالية كأنها نظرية سياسية ايجابية . . . » .

بعد — الأصدقاء المقربين ، يأتي دور الأصدقاء الأكثر بعداً : شيوعيي الحزب الشيوعي الفرنسي ، وقد انضموا إليهم ليشاركوهم آمالهم : يجب أن يشعروا بالاطمئنان لأنهم أصدقاء مرتابون : « لم نفكر قط ، ونؤكد على هذا بكل قوانا ، ان نظهر أمامكم بصفتنا سرياليين ». فلماذا اذن تحاك الدسائس ويذهب ضحيتها السرياليون داخل الحزب ؟ . ولماذا يهملونهم بينما تنشر **الأومانيتيه** أقاصيص للسيد بليز ساندراس ، مؤلف « **قتلت** » والذي اقل ما يقال عنه أنه ليس شيوعياً ، وحلقات لرواية متسلسلة للسيد جول رومانس نجد فيها « تمجيداً للجريمة والحماقة والجبن؟ » .

لم يتبلـــور الموقف بعـــد هـــذه الايضاحات والمعاتبـــات وطلب الاستيضاحات . وإذا ما استطاع **الخمسة** أن يجعلوا موقفهم مقبولاً إلا أنهم لم ينالوا الحظوة في عين الحزب الشيوعي الذي لم يغفر لهم انتقاداتهم والذي بالرغم من تنازلاتهم يصر على اعتبارهم أبطال هرطقة سياسية وثقافية لن يتوقف عن الطلب إليهم بأن يتخلوا عنها .

وعانى النشاط السريالي ، بصفته هذه ، ردة فعل هذه المناقشات . فخلال عام ١٩٢٧ ظهر عدد واحد من **الثورة السريالية** (الأول من تشرين الأول) وبيان بموضوع رامبو : **اسمحوا !** و**مقدمة لخطاب عن القليل من الواقع** لاندريه بروتون .

يبدو أننا نشاهد انكماش السريالية على نفسها . بما أنها ساهمت ، ودون اشكال في النشاط السياسي بصفته نشاطاً سياسياً ، تود الآن أن تتمسك بالكنز المستقل الذي اكتشفته والذي تزيد في تكريمه بمقدار

ما ترى الأصدقاء السياسيين الأكثر تقرباً منها يشكون في قيمته . يدّعي السرياليون أنهم لايهبطون من علو الصعيد الأخلاقي فيما لو درسوا المعضلات من منطلق اسمى .

وهذه أيضاً قضية أخلاقية طرحت في افتتاحية العدد ٩ــ ١٠ في الاول من تشرين الاول عــام ١٩٢٧ « أرفعوا أياديكم عن الحب » في سياق الحديث عن شارلي شابلن . هل يحق لهذا أن يفهم الحب ويمارسه على طريقته ؟ أم يجب أن يصبح عبداً لزوجته التي تقيم دعوى طلاق ضده لأنه « خائن » ولا يريد ولداً ؟ وتحيز السرياليون بشدة لشارلو ، وسحروا بحرية سلوكه وتفكيره . وعندما يشهّرون بزوجته فانما يهاجمون الحب البورجوازي رهين قوانين الزواج (١) .

واستمر البحث السريالي الصرف : فالى جانب « **رؤى في التهويم** » لماكس ارنيست « **وأحلام** » لأراغون ونافيل . يدون ديسنوس « **يوميات شبح** » كان يأتي لزيارته كل ليلة من السادس عشر من شهر تشرين الثاني عام ١٩٢٦ إلى السادس عشر من شهر كانون الثاني عام ١٩٢٧ . ويستمر السرياليون ، من ناحية أخرى في بعث الحياة في شعراء مجهولين مثل

---

(١) – « كانت تظن أنها تشهر بزوجها . هذه البلهاء ، هذه البقرة تقدم لنا ، بكل بساطة ، شهادة عن العظمة الانسانية لعقل يحلل بوضوح وسداد رأي ، أموراً كثيرة فانية في المجتمع حيث كل شيء يسجنه : حياته وعبقريته بالذات . وقد وجد هذا العقل وسيلة ليعطي لتفكيره تعبيراً كاملا وحياً دون أن يخون هذا التفكير ، تعبيراً يتميز بالسخرية اللاذعة والقوة . وبكلمة مختصرة . بالشعر الذي اتخذ تحت أنظارنا بعداً سحيقاً على ضوء القنديل البورجوازي الصغير الذي تحركه احدى هؤلاء النساء الشريرات اللواتي يجعل منهن في جميع البلاد الأمهات الصالحات والأخوات الصالحات والزوجات الصالحات هؤلاء المزعجات والمتطفلات على جميع أنواع العواطف وجميع أنواع الحب . . . . » .

كزافيير فورنوريه ، الذي انتشل بفضلهم من نسيان لا يستحقه (١) . ويحتوي الجزء السريالي المحض من العدد على قصائد لبول ايلوار : **دفاع عن المعرفة** ، ولريمون كونو : **برج العاج** ، ولجاك بارون ، ولغاني بزنوس التي اكتشفها بروتون في « سوق البالي » في سان أوان ، حيث كانت تقيم عرضاً للبضائع ، ونصاً لبنجمان بيريه . وتابعاً لاستطلاع بروتون « السريالية والفن التشكيلي » وتذكّر دراسة غير منشورة لفرويد « **قضية التحاليل من قبل غير الأطباء** » بالمبادىء الفلسفية للحركة . بينما يمتدح أراغون هيراكليت ابا الجدلية . ولئن قدم نافيل في هذا العدد « **الأحسن والأقل جودة** » فهذا ليس تنازلاً عن أفكار يعتبرها غابرة بالنسبة له ، بل دعوة يكررها دائماً وأبداً للسرياليين ليخرجوا من مجالهم الذي يبدو له ضيقاً ، بالرغم من احتوائه بعض الأفكار . ويشهّر مرة أخرى ، « بسحر السيكولوجية الفردية » ويتهم بروتون دون أن يسميه ، لأنه استطاع أن يعتقد بأنه يمكن أن يشغف بتجاربه الشخصية » وهو ينتظر » (٢) وبعد أن تأكد من أن « هذه الوثبة نحو الأساليب البولشيفية التي خضع لها السرياليون ، وبالرغم من جميع الأخطاء التي نسجها حولها ، قد لاقت استقبالاً سيئاً » فحاول أن يُدخل كقاسم مشترك بين النشاط السريالي والثوري « مفهوماً طبيعياً جداً : التشاؤم » .

---

(١) — « من هو فورنيريه ! لا ندري . هو الانسان الأسود . . . فورنوريه ، هو انسان التقيناه في الظلمات وقبلنا يديه » .

(٢) — « لم يراود رامبو ساحل سوماليس بطريقة قاسية وهو ينتظر » ولم يفكك لوترايامون المنطق بطريقة بارعة « وهو ينتظر » حتى أن بركلي أولوك أو هيغل لم يعملوا . على ترشيح هذا التوهج المأساوي حيث ينحل عالمهم « وهم ينتظرون ، هذا ما نعرفه . . . »

« ان نوعاً من اليأس هو في جميع العصور نصيب العقول الرصينة ، العقول التي لاتتعب ، وتصمم بعناد على البحث عن هدفها (غالباً عن ذاتها) . . . ولا نتكلم عن الكآبة وضعف المزاج والهوى والقرف . بل نتكلم عن الجانب الانساني ، وبمختصر القول عن الجانب الحياتي . وعن الهروب والهلاك . . . ان أساس فلسفة هيغل هو التشاؤم ومنه استقى ماركس نهجه الثوري . . . » .

وهذا ما اتساح له أن يجد في انتاج السيد دريولا روشيل وتأنيباته وصمة ملوثة « بالتفاؤل الجازم » (لأنه يأسف « لاجهاض حركة فنية جميلة » في السريالية) والأنسية بوجه عام ، و « ذكاء السيد بول فاليري بنوع خاص (١) » .

كان هذا هو المقال الأخير الذي قدمه بول نافيل **للثورة السريالية** . وهذه الجهود الرامية إلى توضيح مؤلفات ثورية مشتركة لم تساعد السرياليين على السير بأكثر سهولة على خطوط عمل سياسي منطقي . ومن هنا ، كان لابد من أنتفترق الطرق .

---

(١)—« الانسية دائماً ودائماً الحاجة المضحكة لاعادة قراءة فقراتنا ودائماً تصورنا عن أن نتجاوز بالفعل الحدود المرسومة لحاجتنا إلى « القياسات المثبطة الهمة » أعني أننا بالمختصر نحسب حساب هذه الحدود . . . فنظام التشاؤم هو حقاً أحد « الأوامر الأكثر غرابة الذي يستطيع انسان واع أن يخضع له . غير أن هذا هو الأمر الذي نطالبه بأن يتبعه . هذا الأسلوب إذا صح القول ، بل هذه النزعة من الأفضل تسميتها هكذا ، قد تسمح وستسمح لنا أيضاً بأن نحافظ على نسبة عالية من التحيز جعلتنا ننقطع دائماً عن العالم : يرد عنا هذا التحيز عن الاستقرار وتلف العقل في آن واحد ، أعني أننا قد نحافظ أيضاً وباستمرار على حقنا في الوجود في هذا العالم . . . » .

لم يستهن السرياليون ، في المجالات التي احتفظوا بها ، بتوجيه بعض الضربات العنيفة . يشهد على ذلك البيان : « **اسمحوا** » الذي حرره ريمزن كونو ووقعته المجموعة بكاملها بما فيها نافيل بمناسبة تشييد نصب تذكاري لأرتور رامبو في حديقة محطة شارلفيل الشهيرة . واعاد كونو إلى ذاكرة « السادة ممثلي الأردين ، والسيد عمدة شارلفيل . والسادة الوجهاء ، والسيد رئيس جمعية الشعراء الأردينين » التعريف برامبو ، ولهذا الغرض ، لم يكن عليه سوى الغرف في نتاج الشاعر الذي يعبر عن تشاؤمه ، وكراهيته لفرنسا و « للذوق الفرنسي » الشهير وغضبه الهدّام تجاه الكنيسة ، وسخريته بالعمل والثقافة ، وأخيراً عن الحيازه للكومون » مما اتاح له ان يختتم قائلاً :

« قد يكون مصير النصب الذي تدشنه اليوم مصير سابقه . هذا النصب الذي أزاله الألمان قد استخدم لصنع القذائف وقد توقع رامبو بابتهاج أن تهز احداها ساحة محطتكم .من الأساس إلى القمة أو أن تزيل من الوجود المتحف حيث يستعدون للتفاوض بسفالة على مجده .

وعلى صعيد البحث السريالي الصرف ، نشر بروتون ، في السنة ذاتها ، **المقدمة للخطاب عن القليل من الواقع** حيث يطرح أفكاراً مهيأة لتنال نصيبها من الاسهاب . انها ليست جديدة عنده اذ أن البحث قد كتب منذ عام ١٩٢٤ . غير أنه يطرح فيه مشكلة « الأشياء السريالية » .

في احدى الليالي المنصرمة ، **وأثناء النوم** كنت في سوق أقيم في الهواء الطلق في نواحي سان مالو ، فوجدت كتاباً مثيراً . كانت دفته مؤلفة من قزم خشبي ذي لحية بيضاء تهبط إلى القدمين ، محفورة على

الطريقة الآشورية . كانت سماكة التمثال الصغير عادية ولم تكوّن عائقاً ما في سبيل تقليب صفحات الكتاب المصنوعة من قماش الصوف الأسود السميك . أسرعت بالاستيلاء عليه ، وعند يقظتي ، أسفت لعدم وجوده إلى جانبي . ولعل من السهل نسبياً اعادة انشائه. وأحب أن أضع في التداول بعض أغراض من هذا النوع ، يبدو لي مصيرها مريباً ومثيراً إلى أقصى حد . . . » .

وبعد أن قدم بعض الأمثلة عن هذه المركبات الخيالية التي يستطاع تحقيقها ، أضاف : « أيكون مصير الابداعات الشعرية في أن تأخذ عاجلاً هذا الطابع الملموس وان تنقل ، بشكل فريد ، حدود الواقع المزعوم ؟ ومن المستحب إلاّ تظل مجهولة زمناً أطول القدرة الهلسية لبعض الصور ، والموهبة الحقة للايحاء التي يمتلكها بعض الناس ، بمعزل عن موهبة الذاكرة . . . . أعلن أن **هذا** يتساوى مع **ذلك** » أعني أن لا زيادة ولا نقصان عن الباقي .

« ما من شيء ، في نظري ، مرفوض . . . » .

* * *

٣ - عام الإنجازات

« عليك ضرب امك ما دامت صبية »

بول ايلوار — بانجمان بيريه

(مثل سريالي)

كان عام ١٩٢٨ عام هدوء في تطور السريالية ، فلا احتكاكات ظاهرة في المجموعة . وقد عاد التيار السريالي إلى مجراه ولازمه اذ ليس من أحداث بوسعها أن تثير من جديد قضايا سبق أن نوقشت خلال الأعوام الثلاثة الفائتة . فهذا هو عام الانجازات : فقد نشر بروتون **نادجا** ، **والسريالية والفن التشكيلي** ، وأقيم معرض عام للأعمال السريالية في ساكردي برانتان ، ومعرض ماكس ارنيست عند بيرنهايم جورج. ويبدو أن عهد المعارك الشديدة قد ولّى ، وحازت السريالية على حق المواطنية وقُبلت كحركة طليعية ، وأنجزت أعمالاً تشاهد وتقرأ ، فنالت حظوة واسعة ، ولوحظ تأثيرها على الشبيبة بنوع خاص كما ولم يكن اسهامها قليلاً في تغيير جو الفن التشكيلي والشعر ،فصدرت مجلات للمنتمين الشباب تكون فيها الأفكار السريالية الأساس المشترك ، مثل : « **اللعبة الكبرى** » التي يديرها ر . جيلبر — لوكونت ، ورينه دومال ، وروجيه فابان — وجوزيف سيمار ، والتي تستقي من الينابيع ذاتها وتنتمي أيضاً إلى رامبو « الصوفي والعرّاف ، والثوري ، والشاعر» وتعلن :

«المطلوب قبل كل شيء أن نجعل الناس ييأسون من أنفسهم ومن المجتمع . فمن مذبحة الآمال هذه سيولد رجاء دام ودون شفقة : أن نكون خالدين برفضنا ارادة الاستمرار . إن اكتشافاتنا هي اكتشافات تفجير وانحلال كل ما هو منظم ، الخ . . .

ويطرح جيلير لوكونت ، في عدد صيف عام ١٩٢٨ ، سؤالاً سبق للسرياليين أن صاغوه : « منذ رامبو ومروراً بجميع الكتاب والفنانين الذين لهم في نظرنا قيمة ما . .. هل من هدف لهم سوى تدمير « الأدب » و « الفن » ؟ وفي احدى المقدمات (١) يعلن :

« سنبذل جهودنا دائماً وبكل قوانا ، في سبيل جميع الثورات الجديدة. اننا لسنا فرديين . . . . » .

لم تنل « **اللعبة الكبرى** » حظوة عند السرياليين ، لأن هؤلاء الشباب ، كما يبدو ، ظلوا دون الموقف الذي توصل إليه السرياليون . فكانوا يكثرون الكلام عن « التصوف » ويغالون في التشبه بالمتصوفين العظماء وكبار المسارّين المشهورين ، ويخلطون أكثر من اللازم بين أفلاطون وهيغل ، وبوذا ، والمسيح ، وبلزاك ، ورامبو ، وسان بول روكس ، وبالمختصر انهم يلازمون الأدب عن كثب . ومن ناحية أخرى ماذا تعني رسالة رولان دي رينيفيل الموجهة إلى سان بول روكس .

« نعتقد أن جميع الطرق تقود إلى الله ، وأن مهمتنا أن نجد الوحدة المفقودة . . . لقد قلت ، يضيف رولان دي رينيفيل .« بما أن **الجمال**

---

(١) – « وقعها باجماع الرأي ، كل من كرامر ، ورونيه دومال ، وارتور هارفوكس ، وموريس هنري وبيير مينيه ، ورينان دي روينفيل ، وجوزيف سيما ، وروجيه فابان » .

هو صورة الله فانه يتضح أن البحث عن الجمال يحمل على البحث عن الله . وان الكشف عن الجمال هو الكشف عنه . . . » .

عقد السرياليون أملاً أخوياً على هؤلاء الشباب ثم تحولوا عنهم بعد فترة قصيرة . فالمشكلة أبعد من هذا ! وإذا ما رجع بروتون في « **البيان الثاني**» إلى علم الغيب والمسارّين فيبقى البعد شاسعاً بين نهجه ونهج هؤلاء الباحثين عن الله (١) » .

يفضل السرياليون أن يهاجموا مشاكل واقعية . فمخالطة الثوار السياسيين أكسبتهم ، على الاقل هذه الحاجة — كالحب مثلاً ، وان يحاولوا عبر نقاش واسع ، أن يعطوها حلا موقتاً . « هذه الدراسات عن الجنس ، والناحية الموضوعية فيه ، والبواعث الفردية ، ودرجة الوعي » نشرت بشكل محضر نقاش في العدد الوحيد **الثورة السريالية** من عام ١٩٢٨ .

كان الحب ، شأنه شأن الثورة ، أحد مصادر الالهام الأساسية للسرياليين. وكان سبب تهجماتهم المتكررة ضد المجتمع يكمن في أن هذا المجتمع لايسمح بتحقيق تام وحر ، لرغبة لاتقل عنفاً عن الجوع . وكان فرويد قد جعل من الليبيدو المحرك الرئيسي للسلوك ، وحكم بعد فحص مرضاه بأن التغييرات التي يفرضها المجتمع لاتنفع الفرد أبداً . ومن هذا المنطلق ، انزل الحب عن نصبه الأدبي ، ليس باحتقاره طبعاً ، بل على عكس ذلك ، باظهار مقدرته . كان طموح السرياليين الذين مجدوا اكثر من غيرهم ، الحب و (المرأة) ، أن يتجاوزوا المجال

(١) — لم يرض بالتعاون معهم سوى روبير ديسنوس ، وريمون ديساني الذي لم يكن سرياليأ ولا يوماً واحداً في رأي الدادية .

السيكولوجي حيث حجز عليه بشكل لاتعيه الذاكرة منذ الأزل ، وأن يثبتوه أيضاً على طاولة التشريح . فمن هذا المنطلق ينبغي أن نحكم على مشاداتهم القائمة على الموضوعية والصراحة الضروريتين من خلال أسئلة وأجوبة تنساب في جو يسوده الفرح. كانوا يتجاوزون مستوى الاعترافات المجردة . ويكشفون في عالم الوعي عن ثروات تتضاعف بالمقارنات الفردية (١) .

واحتفل السرياليون أيضاً بالعيد الخمسيني للهستيريا. هذا المرض الغريب الذي انتشر فجأة حوالي عام ١٨٧٨، والذي كان شاركوت نفسه يرعاه بكل سلامة نية ، استحق ما وصفه به بروتون وأراغون بأنه « أكبر اكتشاف شعري في القرن التاسع عشر » كيف كان هذا المرض يبدو فعلاً ؟ كان يظهر كموقف عقلي مرضي ، لايتعلق بأي خلل عضوي ، ينتج أكثر الأحيان عن قدرة الايحاء ، ويختفي للسبب ذاته ، كما سيبين فيما بعد بابنسكي . « عقدة نفسية متبدلة الأشكال » لايطالها تحديد حسب قول برنهايم . وكان هذا المرض نقطة انطلاق لاكتشافات حققها واحد من أكثر تلامذة شاركوت موهبة : هو فرويد. وأدخله السرياليون في حقلهم بصفته ظاهرة « لمواقف عاطفية » مثيرة للغاية ، وأبعدوه عن الحقل المرضي حيث كان سجيناً ليجعلوا منه وسيلة تعبير سامية (٢) .

---

(١) – أقيمت جلستان في السابع والعشرين والواحد والثلاثين من شهر كانون الثاني عام ١٩٢٨ كان كل بدوره يقوم بالاستجواب وادارة النقاش . من المواضيع التي نوقشت : درجة ادراك الرجل لنشوة المرأة . والحب بين النساء ، وبين الرجال (هذا النوع رفض بالاجماع تقريباً ، بروتون في المقدمة) والاستمناء ، والمعاشرة غير الشرعية ، والبغاء ، وأنواع الفساد ، الخ . . .

(٢) – حددت كما يلي : « الهستيريا هي حالة عقلية تتبدل درجة التحكم بها وتتميز بهدم العلاقات التي تحصل بين المصاب والعالم المعنوي الذي يظن عملياً أنه ينتمي إليه خارجاً عن كل نظام طليق » .

ويحتوي أيضاً عدد **الثورة السريالية** لعام ١٩٢٨ ، اضافة إلى المشاكل التي سبق أن تكلمنا عنها ، على مقتطفات من **دراسة الأسلوب** لأراغون. ومن **نادجا** لبروتون ، ومن نص آلي لكونو . ومن رواية حلم لموريس، ومن « قصة » لبيريه . وبعض قصائد لديسوس وأراغون ، ورسالة إلى بروتون كتبها جان جنباش وهو يعالج في مشفى عسكري بسبب هروبه أثناء الخدمة وارتباكه في المغامرات الغرامية والشيطانية . لنضف أيضاً نصاً من أنطونان آرتو (الذي نبذته المجموعة ، وبنوع خاص ، بروتون ، منذ بضع سنوات) مع هذه الملاحظة الغريبة :

« سيوجد أناس طيبون يعبرون عن استيائهم من رؤية اسمي أنطونان آرتو وروجيه فيتراك في خلاصة العدد الحاضر (١) . . . يجب اعتبار تناقضاتنا مؤشراً لهذا الألم الروحي الذي نرى فيه اسمى مظاهر كرامتنا . لنكرر : اننا نؤمن بقوة التناقض المطلقة » .

أهي عودة هجومية للدادية ؟ .

شهد عام ١٩٢٨ ظهور عملين أساسيين في السريالية : **دراسة الأسلوب** لأراغون ، **ونادجا** لبروتون . انهما يعبران أحسن تعبير عن شخصية كاتبيهما ويشهدان بما استطاعت السـريالية أن تقدمه، وليسـا عديمي المنفعة لتاريخ التصورات الأساسية في الحركة .

اعتمد أراغون المفارقة في عنوان كتابه . هل يهتم السرياليون بالأسلوب ؟ ألم يستخفوا به باثارة ضجة حوله ؟ غير أن محتوى الكتاب يتوافق مع عنوانه . انه ليس بالتأكيد كتاباً يرشد إلى « معرفة الكتابة » ،

---

(١) — مبعد أيضاً عن الحركة .

فالسطور الأولى منه تحمل الطمأنينة إلى المتشددين (١) انه أولاً وبعكس التعريف السائد : « ان السريالية تعرّف من قبل الذين تدافع عنهم والذين يهاجمونها بأنها تهجم مبرر على أدب العصر ومتملقيه وسحق للصيغ الفكرية لسنوات ١٩٢٥ ــ ١٩٢٨ :

« أذكر أسماء المهرجين الذين يخطرون ببالي : جوليان بندا ، وم تيبرس ، وغوتيه ، وبول فور ، والأب بريمون مؤلف كتاب : **لاشيء سوى الأرض** ، وريمون بوان كاريه ، وجيب ، والقس سوليه ، وأندريه مورا ، ورونسار ، وخاصة جوليان بندا » .

« ان البارون سيير سائس أكثر منه . . . »

« وليس أندريه جيد بسائس أو مهرج بل انه مزعج »

ينكب أراغون على اثارة قضية حقيقية ضد عصره : ويحاول أولاً أن يلوم النقد التقليدي لأنه يحمل مصباحاً خافتاً وينطلق باحثاً عن العجمنات ، ثم النقد الطليعي الذي ساهم هو ذاته في تأسيسه اذ قدم خلاصة عن الأعمال السريالية (٢) . ولكن كيف يتبع نظام في هذه اللعبة المدمرة الشاملة ؟ وما يجب أن نلاحظه مع ذلك ، عند أراغون هو انقلاب عنيف على كل ما أسهم في تأسيس السريالية وقد كنا نتوقع منه أن يوليه التقدير . لايبدي أية « عاطفة للدادية . لأنها مذنبة بتنازلها إلى مستوى العامة في

(١) ـــ « بالفرنسية ، عمل يعني غاط . مثلا : لا نحمل موهبتنا فوق طاقتها ، فلا نعمل شيئاً بأناقة » .

(٢) ـــ « ان مصابيح الزيت الحديثة في النقد أكثر شبهاً بالملائكة . فاذا ما تحدثوا إليك عن ايرناني قد تستطيع أن تبحث ـــ في جيوبك ـــ لتعرف اسم دونا سول . . . قد يظن مؤلفو التقارير الأدبية مشيناً لشرفهم ، إذا ما رووا ، كما يجب عليهم ، موضوع الكتاب . . ».

الأفكار المبتذلة (١) ، ويعبر عن اشمئزاز عميق من جميع خلفاء رامبو الذي يدعيه أناس لايستحقون أي تقدير . وإذا ما وجد شغف شامل لرامبو ، فهذا دليل « سوقية » عميقة لاغير (٢) . ثم يسخر ، دون شفقة ، من جميع القضايا الأدبية التي يعالجها عصره ، ويسحقها ويفرغها من مضمونها : السفر ، المغامرة ، الهروب ، واجهات مشتركة لتفاؤل شامل يؤمن « **بمكان آخر** » بعالم آت ، وفردوس تعذب الحياة فيه . حتى أن عبدة المأزق أنفسهم والمتشدقين بقضية الانتحار لم ينالوا حظوة في عينيه :

« انتحروا أو لاتنتحروا . لكن لاتجرّوا ، بزّاق احتضاركم وجثثكم فوق العالم . لاتبرزوا قبضة مسدسكم خارج جيبكم مدة طويلة ، فهذا يحملكم على الهرب لامحالة .

لاتسموا بلهاثكم المستمر الانتحار الحقيقي بوصمة العار . . . »

وما شأن الحل الديني الذي جعله ماريتان ، وكوكتو ، وماسيس

(١) – « وهكذا أخذ جميع الناس بالتفكير أن لاشيء ذو قيمة ، وان اثنين زائد اثنين لا تساوي حتماً أربعة . وليس للفن أي نوع من الأهمية . وانه لمن القباحة إلى درجة ما في أن يكون الانسان أديباً وان الصمت من ذهب . فمنذ الآن ، تزين القبعات بهذه الترهات بدلا من الأزهار . . . » .

(٢) – ليس من بورجوازي صغير قذر ، لايزال ينشق « مخاطه » في ثنايا ثياب السيدة والدته . إلا ويؤخذ بحب الرسوم ويصرخ : ثلاث فتيات عاريات ، بشرفي . هذا العنوان أمامي يثير المخاوف . وليس من صاحب دخل حقير ، ليس من ابن ضابط ، ليس من (بذرة) موظف بيروقراطي ، وليس واحد من هؤلاء الحمقى السعداء الذين قدمت لهم لتوه دراجة بخارية صغيرة بمناسبة رأس السنة ، وليس من اجهاض رفيع في ورق حريري لا يصبح لأجله رامبو انساناً اخر . . . تبدو لي الفرصة سانحة لأقول أن كل تلميح لهذه القصيدة (سفينة سكرى) هو أكبر دليل للسوقية . . . » .

رائجاً ؟ . يشهّر به أراغون كأنه احتيال بصفته « حلاً لمشكلة الوجود » ويتهمه بجعل الأبرياء تحت تصرف « زعماء ماخور الصلاة (١) » الذين يقدمون لهم جميع المخدرات الضرورية لاشباع الشهوات الانسانية الصرفة (٢) .

لايوجد فردوس من أي نوع كان ولا نأمل أبداً أن نصل إلى السعادة على هذه الأرض : ان الامل هو موقف فكري زائف ، يهدف إلى حالة لاوجود لها . فكيف الخروج من هذا ؟ بواسطة **الفكاهة** عدوة الحلول ، جميع الحلول ، الفكاهة التي ينفي وجودها جميع الحلول . بل ينقلب أراغون حتى على فرويد وانشتاين اللذين لولا تعليمها لها أبصر السرياليون النور :

« . . . ان فرويد اذن وهو مخصب بشكل مهين وزينة موحية ، يوسع الخطى في قارة المفاجأة ويرمم كتّاباً كادوا أن يقعوا في عالم النسيان . . . قد يبدو كتاب **بول وفرجيني** اليوم مثل تجديد مذهل شرط أن تقدم فيرجيني بعض الملاحظات عن الموز وأن ينزع بول بعض أضراسه

(١) — أراغون المرجع ذاته .

(٢) — « ان صور يسوع المختلفة ، من السروال الصغير (الذي يستر عريه) على الصليب ، إلى الجلد ، وحتى القلب الأقدس ، الوهمي ، وجميع الآلام المبرحة . . . يا للحصاد الوافر للساديين . للمازوحيين عذابات جهنم والتهديد والسوط المسلط . للتيامين ، الاوشحة والذخائر ومطاط جوارب مريم وأحذية القديسات وإلى جميع أنواع الشذوذ دون التفكير بهاكم هذاملائم لأصحاب الخزي والعار ! كم من العذارى لأجل ليسبوس ، وكم من مشابهين للقديس سيبستيان لسادوم ! ... وهكذا تجد جميع القوى الشاذة عملا في الكنيسة يجنب الشلكا للعالم. يجعل مهووسو عدم الاتمام من أنفسهم مقربين من الألوهة . ولكن إذا كنت ذا مزاج يساعدك وبعد أن تتم الهستيريا عملها، ستصبح قديساً ، وستلوث سراويلك أثناء انخطافك ، ستسمع أصواتاً ، حتى انك ستلمس ثوب الملائكة . . . » .

دون انتباه ومن وقت إلى آخر ، لايبقى اذن لعالم النفس النمساوي سوى التكريس البابوي والتوفيق على طريقة القديس توما ، بين التحليل النفساني والعبادة ، حتى يقع في الفخ . . . مثل عصفور صغير . . . » .

يتشدد هذا المهاجم في التشهير بالمبالغة في استعمال اكتشافاتهم وهبوط تعليمهم إلى مستوى العامية . أوليس مضمون الكتاب كله تهجماً على « الابتذال » وعلى الذين يحطون من قدر الأفكار إلى مستوى قاماتهم القصيرة إذ يحولونها إلى كليشهات ومفاهيم عامة ، وعلى الذين يتطفلون على الأدب ؟ .

وفي الجزء الثاني من كتابه ، يشرح أراغون السريالية ويبررها ، محاولاً ، هنا أيضاً ، أن ينتشلها من أيدي الداعين إلى الابتذال .

« تسود أسطورة تقول بأنه يكفي أن نتعلم المهارة فتتدفق لتوّها من ريشة أي شخص كان نصوص ذات أهمية شعرية كبرى مثل اسهال لاينضب . وبحجة أن الأمر يتعلق بالسريالية ، يظن كل كلب بأنه يتاح لأقواله البذيئة بأن تتساوى مع الشعر الحقيقي . . . » .

لأنه في الحقيقة « كل شيء بمنتهى الدقة في السريالية ، دقة لامفرّ منها » . دقة مؤسسة قبل كل شيء على اللغة ، ويعني ذلك بالنتيجة ، على الكلمات ، على معناها ، معناها الذي ليس في المعجم ، ولكنه المعنى الذي يبرر في كل مقطع وفي كل حرف (١) .

---

(١) – « نعلم ، أو علينا أن نعلم ، انها تحمل أنغاماً في كل مقطع ، وكل حرف ، انه لمن الواضح أن تهجئة الكلمات هذه التي تقود من الكلمة المسموعة إلى الكلمة المكتوبة هو أسلوب تفكير خاص قد يكون تحليله مثمراً . . . » .

وهنا تكمن المشكلة ومعنى نقد أراغون اللاذع : فهو لايريد أن تظهر السريالية خلافاً لما هي عليه ، أي تحرراً من القواعد الأدبية بينما وضعت نفسها خارج الأدب ، وقطعت معه كل علاقة . انه يعرف المكان الذي يستعد النقاد لتصنيفها بين مجموعاتهم الصغيرة: بعد البحر الاسكندري الكلاسيكي والرومنسية ، والشعر الرمزي ، وبيت الشعر الحر ، تبدو السريالية تتويجاً للتطور (١) . وضد هذا التصنيف للأدب ، يحاول أراغون أن يحدد السريالية بأنها ، في نظره تتضمن بعض الأفكار العامة ، ومفهوماً للعالم تتحدر منه أساليب تعطيها « موقفاً خاصاً في وسط القيم الفكرية » . ذلك لأن بعض الشعراء ، أمثال بوريل ، ورامبو ولوتر يامون كان لهم عن العالم تصور يجعل السريالية تدعي أنهم آباؤها .

لاجدوى من الاحتجاج على الادب إذا لم نخرج أنفسنا من حقل الكتابة فجميع الثورات التي تروق للسرياليين ، والرغبة التي يبجلون قوتها المطلقة وهذا العزم على تدمير شامل للعالم والروح بهدف بناءعالم جديد وفكر جديد أليس هذا أدباً أيضاً ؟ يجيب أخيراً أراغون على هذا الاعتراض الرئيسي ، لأنه يشكل النقطة الأساسية في النقاش (٢) .

فهو يلاحظ أولاً بوجه عام : « أنه ليس من توفيق إلا بين عبارات هادئة وأعمال لاأهمية لها (٣) » ولماذا التوقف هنا ؟ لماذا لانحاول التوفيق بين العبارات الحاضرة والأعمال السابقة ؟ وهكذا إلى أن يبدأ

(١) — « واني لا أريد ، أتسمعيني أيتها الجماهير ، ان يصبح النص السريالي ولا أريد أن يصبح الحلم في عداد متاهات الأشكال الثابتة ، وكأنها تتويج لحرية تدفع جزية لقبول التافهين الذين يرون في الشعر شيئاً مائعاً . لنسبق القصيدة الحرة ! هذا ما يحب هؤلاء أن يسمعوه عن السريالية » .

(٢) — « ان ما نلام عليه هو قولنا : اقتل ! وخداعنا لهم » .

(٣) — ذلك لا يعدو قولنا : إذا امطرت غداً . لن أخرج من غرفتي ! »

بنقاش فلسفي : إلى أي حد امتلك عباراتي وإلى أية درجة قد اخترت أعمالي ؟ مما لاشك فيه ، أن المشكلة تبدو أبسط بكثير في تفكير الجمهور ، ولو كان السرياليون بعضاً من الأدباء الساخرين لما اثير هذا السؤال (١) . حتى أنه توجد بعض أعمال لايطلب إليهم جعلها متناسبة مع أقوالهم ، شرط أن لاتخالف هذه الأقوال الأفكار الموروثة . فاذا كانوا من دعاة النزعة القومية ووعدوا مثلاً أن يبتروا أعناق جميع الألمان ، فهل يطالبون بحساب لتمنعهم إذا ما تمنعوا من وضع الكلام حيز التنفيذ ؟ . لانستطيع إذن أن نتصور دائماً العلاقة : فكر ــ أعمال (٢) ، أو بالأحرى ، اننا نقدّر أنه غير مجد أن تتجسم « الأفكار ــ الطيبة » في أعمال . بينما نرغم الذين يطالبون والذين يفكرون بأنه « ليس بالامكان أحسن مما كان . على أن يطبقوا فوراً حلولهم وأن يجسدوا أقوالهم المناهضة للأعراف تحت طائلة فقدان الثقة بهم إذا لم يستطيعوا ذلك. فبهذه الطريقة، نحقق أرباحاً على جميع الأصعدة . وسيكون النصر كاملاً إذا توصلنا إلى اقناع المتمردين أنفسهم بأن الصمت أفضل لهم وان انتفاضتهم غير جدية ما دامت لا تخرج عن نطاق الكلام . ويعلن أراغون أن الوقوع في الفخ هو التحول إلى عدم الاحتجاج ضد أي شيء كان والالتزام بالصمت .

---

(١) ــ « قد يستطيع السرياليون أنفسهم القبول بأن « يكونوا مغنين أوباريتون ينشدون كل شيء ، هذا ما يطلبه المجتمع ، ولكن المفهوم في أن ينشدوه حسناً ، ثم يصمتون ، ثم يدفع لهم ، حسناً قد يدفع لنا ، ولن يقال لنا ان حياتنا لا تشبه حياة مانون ليسكو . وداعاً يا طاولتنا الصغيرة . . . » .

(٢) ــ انه لمن المضحك أن نكون هذا التصور عن الفكرة بأنها تنفذ مباشرة ومهما كلف الأمر . تخيل من هذا المنطلق ، انساناً يغتاظ بعنف من كل ما يحيط به ولأتفه الأسباب . انه لعمل شاق فيما لو استطاع فقط طرد الحاجبة عن بابه » .

وهكذا يحصل التوفيق بين الأقوال والأعمال أو بالأحرى بين فقدان الأعمال وفقدان الأقوال . ولا يبتغي الملتزمون شيئاً سوى هذا الاحتمال الذي يطمئنهم (١) .

ويدهشنا ان يحتاج أراغون إلى سرد هذه السلسلة الطويلة من البراهين . ألا يكفيه التأكد من أن الكتابة هي احدى التجليات؟ مثل الكلمة والعمل ، ومثل جميع وسائل التعبير الانسانية الأخرى انها تلزم الانسان الذي ينصرف إليها ، بدرجات متفاوتة ؟ والحقيقة انالسرياليين كانوا يؤكدون أنهم لايريدون تحمل مسؤولية كتاباتهم ، ولكن هذا أمر آخر . . .

هذه **الدراسة للأسلوب** مرجع لتاريخ السريالية وفهمها . وتصحح الأحكام المغلوطة التي أطلقت ضدها إذا أرادوا ابرازها وكأنها استسلمت لتنفجات العصر وحين يراد النظر إليها كنوع من التنفج في عصر معين . والواقع أن السريالية لم تقاوم الأمور التي حاولوا تشبيهها بها : كمذهب فرويد والنسبية والمجانية في الفكر والتعبير ، وعبادة رامبو والميل إلى الانتحار ، والعرافة دون أهداف ودواع ، والكتابة الآلية ذاتها التي يعان لها أراغون حدوداً دقيقة . قد يكون من الواجب بالحقيقة تخطي مظهرها الخارجي الذي يتألف من كل هذا حتى نصل إلى النواة التي هي أكثر من هذا : إلى حالة حياتية متصبلة تتأسس على تصور للعالم والانسان ليس هو تصور العصر بل متقدم عليه .

هاك **نادجا** ، انه يقدم نقيض أسلوب أراغون الهجائي بدليل أن الرأي العام اعتبر عمل بروتون قصة لاقى نجاحاً بهذه الصفة . وكانت

(١) — « لهذا التصور الفائدة القيمة في أن يفرض الصمت على جميع الذين قد يستطيعون معارضة أي شيء كان . احتمال مهدىء . سيوفقون بلطف بين أقوالهم وأفعالهم . ولن نسمع فيما بعد هذه الشتائم والاهانات التي تتسبب ، مع الزمن ، بتلويث سمعتنا . . . . ».

الأحداث الواردة تبدو صعبة التصديق بحيث فضلوا القول بأنها مخترعة . والحال ، ليس من شيء نسجه الخيال في **نادجا** . فكل شيء حقيقي تماماً وقطعاً . ان نادجا قد وجدت وعرفها الكثيرون ولايصور بروتون سوى مصيرها المؤلم والمحزن .

انها امرأة التقى بها بروتون صدفة ، ذات يوم ، في شارع لافاييت والتي ، شأن الكثيرات من النساء اللواتي أغرم بهن ، جذبته بعينيها اللتين « لم يسبق أن رأى نظيرهما » . انها تدعى **نادجا** « لأن **نادجا** في اللغة الروسية ، تؤلف بداية كلمة رجاء ، ولأنها لم تكن سوى بداية » . سألها بروتون : « من أنت ؟ . « أنا الروح التائهة . » يبدو أنها كانت دائماً ، وبحالة طبيعية في « حالة الاستبصار » كما يسميها مناجو الأرواح ، وفي حالة استعداد تام ومستمر . إنها تسرد لنفسها حكايات وتعيشها : « بل اني أعيش على هذا النحو بالتمام » كان لقاء أول تبعته مغامرات متتالية : تضرب موعداً وتتخلف عنه ، ولكن نادجا وبروتون كانا يلتقيان دائماً ، في أماكن مجهولة وفي ساعات لم يسبق أن اتفقا عليها. يبدو أن القدر يقود أحدهما إلى الآخر بالرغم من استيائهما . وكانت الأحاديث تدور في جو لم يعد طبيعياً حيث يغلب بروتون على أمره أكثر الاحيان . وكانت أقوالها تبدو آتية دائماً من عالم آخر حيث تعيش بصورة طبيعية . وكانت لها رؤى وهلوسات تشرك رفيقها بها ، إنها تعيش بدقة مدهشة في عصور أخرى ، وأوساط أخرى ، وتستخدم بعض العبارات وتسلط الأضواء على صور ذات علاقة حميمة مع بروتون (كتاب أنهى قراءته لتوه ، عبارات استعملها ولا تستطيع هي معرفتها ، الخ . . .) ويبدو أنها تمتلك سطوة لاتفسر على أشخاص

تدخل الاضطراب إلى تحركاتهم العادية . وترسم مركبات غريبة تحمل سمات معان سرية وتكتب جملاً لارابط بينها « تسبب لها الهلع » : مثل : براثن الأسد تعانق أحشاء الكرمة » .

كتب بروتون يقول : « اعتبرت نادجا منذ اللحظة الأولى للقائنا وحتى فراقنا ، عبقرية حرة وكأنها احدى الأرواح التائهة في الفضاء تجعل الانسان بفضل بعض ممارسات السحر أن يشغف بها لزمن ولكن دون أن يخطر بباله أن يستعبد لها » .

لم يعد باستطاعة الشاعر أن يلحق بها : « ربما لم أكن على مستوى الأمر الذي كانت تعرضه عليّ . . . » فأخذ يبتعد تدريجياً ، فجنّت نادجا وأدخلت المأوى . . .

هذه قصة وجيزة ذات مغزى بالغ الأهمية ، هو دخول كائنات قادمة من حياة أخرى إلى حياتنا ، واقتحام الأشباح لعالم الأحياء بهدف مساعدتهم . جنون ؟ لاتسرع بالقول . فما هو الجنون ؟ وما التغيير الذي يحدثه الجنون في الأحداث المنقولة ؟ كيف يفسر الجنون المصادفات التي لاتحصى ويفهمنا كيفية تحقيق التنبؤات عن الأحداث التي لاتتعلق بأي من الأطراف المعنية ؟ هل جنّت نادجا من اللحظة التي احتجزت بها ؟ أم كانت مصابة من قبل ؟ أم أن بروتون قد أثقل حالتها كما وجه إليه اللوم ؟ . ماذا يهم ؟ ان نادجا كائن يعيش فينا منذ الآن ، بعيداً عن المظاهر .

علينا الآن أن نهبط إلى الأرض بحثاً عن أحداث الحياة اليومية وخلافاتها .

في هذه السنة بالذات ١٩٢٨ ، تفككت صداقات كانت تبدو ثابتة . وتقدم السن بالرجال واستولى عليهم طموحهم الفردي . وأصبح جو السريالية خانقاً بالنسبة لبعضهم . فأعلنوا موت السريالية أو احتضارها وأرادوا أن يستسلموا لمصيرهم الخاص ، المصير الذي يعتقدون أنهم مدعوون إليه ، وأبعد ارتو وسوبو وفيتراك : وابتعد ديسنوس بهدوء وقوطع نافيل . وانتهى التعاون مع **كلارتيه** وازدادت برودة الحزب الشيوعي في استقبال المنتمين الجدد إليه . وشهدنا نهاية مرحلة .

لم يعد بروتون والأصدقاء الملازمون له يتسلون بالمصالحة والتقارب ، بل على عكس ذلك . أخذت أنوار المسرح تجذب آرتو الذي كان ممثلاً بطبيعة مهنته . فجهز مع روبير آرون « مسرح ألفريد جارّي » وقدم عليه مسرحية **الحلم** لستريندبيرغ لأسباب لم تكن فنية بدقة ، في رأي بروتون . وقد كان بوسع بروتون أن يهمل مصير آرتو لأنه مبعد عن الحركة ، ولكن لم يكن شيء من ذلك. فقد احتج بروتون وأراد أن يمنع عرض المسرحية غير أنها عرضت رغم ذلك ، في السابع من حزيران عام ١٩٢٨ ، بفضل الشرطة التي أحضرها منظمو المسرحية لصد أصدقائهم القدامى . يا للنهايات التعيسة !

إلا أن السريالية اتخذت مركزها وأثبتت وجودها شئناً أم أبينا . وبرهنت على مقدرتها على الابداع باصدار كتب ولوحات وحتّى بانتاج فيلم « **كلب أندلسي** » ثم أخيراً باقامة معرض عام في الساكر دي برانتان الذي دل على تحقيق جهودها .

٤ - أزمة عام ١٩٢٩

« ماذا يتوقع من التجربة السريالية الذين يهتمون
– ولو قليلاً – بالمكانة التي سينعمون بها في العالم ؟ »
أندريه بروتون

انتقدوا افراط بروتون بممارسة حق « الفصل التام » عن المجموعة لبعض الأعضاء وبنوع خاص ابعاد فيتراك ، وسوبو ، وآرتو . فسرّ بذلك ، ولكي يتيح لكل فرد تكوين فكرة الموقف اللامساوم الذي يتقاضاه من كل عضو في المجموعة . نشر جدول أعمال الجلسة التي تم خلالها فصل آرتو ، وسوبو في الاجتماع الذي عقد في مقهى « النبي » في أواخر تشرين الثاني من عام ١٩٢٦ ، ومن بين النقاط التي كان الجدول يتضمنها نذكر :

« دراسة المواقف الفردية : آ) هل يمكن الدفاع عن جميع هذه المواقف من وجهة النظر الثورية ؟ . . . . وإلى أي حد يمكن قبولها ؟ »

ليست من خلافات شخصية مبدئياً . لكن الموضوع ينحصر فقط في وجهة النظر التي يتمسك بها السرياليون ويريدون الاستمرار بالتمسك بها : كيف يحصل التوفيق بين بعض الفعاليات والصيرورة الثورية التي تحرك المجموعة ؟ .

وفي عام ١٩٢٦ طرح السؤال نفسه طرحاً أشد . لأن السريالية قد مرت خلال هذه الفترة بتجربتها مع كلارتيه وانتمائها إلى الحزب

الشيوعي . وبهدف تطهير جديد ، أخذ بروتون يقتفي نهج الاحزاب الثورية : بعرض عمل مشترك على مجموعات أو شخصيات غالباً ما تكون متباعدة ايديولوجياً ، ولكنها تقبل ببرنامج عمل حسب نظام تلتزم به . وأسوة بمسلك الحزب الشيوعي يهدف إلى احراج بعض الأشخاص الذين فقد ثقته بهم ويريد ان يرفع القناع عن وجههم من جهة ، ومن جهة أخرى يريد أن يتثبت من درجة الثقة التي لايزال يستطيع أن يمنحها للآخرين .

في الثاني عشر من شهر شباط عام ١٩٢٩ ، أرسل كتاب إلى عدد من الشخصيات القريبة أو البعيدة عن السريالية أو **الثورة** ، يسألهم تحديد موقفهم الأيديولوجي في تلك الآونة ، بهدف عمل فردي أو جماعي ينبغي تحديده . غير أن بروتون ، بسؤاله مراسليه عن نوعية الناس الذين يودون الاشتراك معهم للقيام بعمل موحد (١) ، اوشك أن يثير أسئلة شخصية منهكة ، وبهذه الوسيلة بالذات ، أن يعطل العمل الموحد الذي يعرضه (٢) .

---

(١) — نص الكتاب المرسل : « ١) هل تظن ، بعد مراعاة كل الأمور ، (أهمية القضايا الشخصية ، نقص حقيقي في القرارات الخارجية . سلبية واضحة وعجز في تنظيم العناصر الفتية . تقصير في كل مساعدة جديدة ، ومن ثم تفاقم القمع الثقافي في جميع المجالات) انه يتوجب أم لا ، على نشاطك أن ينحصر قطعياً ، أم لا ، في شكل فردي؟ .

٢) إذا كان جوابك نعم . هل تريد أن تضحي بعرض قصير لحوافزك في سبيل ما استطاع أن يجمع الأكثرية الساحقة بيننا ؟ حدد موقفك .

« وإذا كان كلا ، لأي درجة تعتبر أن النشاط المشترك يستطيع أن يستمر أو يستأنف؟ ما هي طبيعته الحقيقية ؟ ومع من تبغي أوتقبل أن تقوم به ؟ . . . » .

(٢) — لنسجل أسماء الأشخاص الذين أرسل إليهم ، نجد بينهم ، بالطبع ، جميع سرياليي هذه الحقبة : الكسندر ، ارب ، بارون ، بروتون ، كاتريز ، كويان ، =

لم يجب على الكتاب عدد من الشخصيات التي استطلع استعدادها أو أنهم أجابوا « بطريقة تعفيهم من حضور جلسة لاحقة » هؤلاء هم سرياليون مفصولون مثل آرتو وفيتراك أو ذوو علاقة باردة آنياً مثل بوافار ، وجيرار ، وليريس ، ولامبوس ، وماسون ، وسوري ، وتويال ، أو محررون في كلارتيه مثل ألتمان ، وجيتار ، ومورهانج ، ونافيل ، وجميع محرري **الايسبري** (**فلسفات سابقاً**) وباتاي الذي أسس منذ زمن قريب ، مجلة **دوكومون** جران جو (حيث يكتب ديسنوس ، لبريس ، وبريفير) وبوبي محرر في **اللعبة الكبرى** . وب دي ماسو ، دادائي قديم ومربي أبناء بيكابيا وبيكابيا نفسه .

ودعي الآخرون إلى اجتماع سيعقد « يوم الاثنين في الحادي عشر من شهر آذار ، في تمام الساعة الثامنة والنصف ،في « باردي شاتو » ٥٣ ، شارع دي شاتو ، في زاوية شارع البورجواز » وأبلغوا في الوقت نفسه في رسالة موقعة من أراغون ، وفوربيه ، وبيريه ، وكونو ، وبونيك ، بأسماء المتخلفين وعرض عليهم « كموضوع للنقاش بحث المصير الحرج الذي وصل إليه ليون تروتسكي منذ مدة قصيرة » ، إذ

= كرافيل ، ديسنوس ، دوهاميل ، ايلوار ، ارنيست ، جينباش ، ماغريت ،مالكين ، ميزنس ، ميرو ، موريس ، نوجيه ، بريفر ، مان راي ، سادول ، تانجي ، تيريون ، ارتو (المبعد) بوافار ، جيرار ، ليربس ، لا مبور (برودة في العلاقات) : أصحاب كلارتيه برنيير ، كراستر ، فيجي ، نافيل ، التمان ، غيتار ، المحررون في (جران جو) اللعبة الكبرى : دومال ، دولونس ، جيلبر – لوكونت ، هارفوكس ، هنري ، سيما ، قابان ، بولي والمحررون في الايسبري : غوترمان ، لوفيبر مورهانج ، بوليتزر ، ودادائيون قدامى ، دوشان ، فرانكل ، ريبمون – ديساني ، تزازا ، بيكابيا ، محبذون وأصدقاء : اودار بالد ينسير جيه ، برنار ، بوسكيه ، كازياد ، ريستيش ، سافيتري ، فالنتان ، فيدال ، باتاي .

كان قد نفي بعد أن أقصاه ستالين عن السلطة. ولم يكن أحد يشك بعواطفه الثورية ، ومن واجب جميع الذين يدعون العمل من أجل الثورة ، أن يهتموا بمصير رفيق لينين . وقد وجهت رسالة إلى نافيل ــ الذي لم يجب هو أيضاً على الكتاب الاول ــ لأنه كان معروفاً بحبه العميق لشخص تروتسكي ــ يطلبون إليه المشاركة في المناقشة ، على الأقل بصفته مراقباً (١) . ولم يجب نافيل . وفي النهاية تم استبعاد سبع شخصيات فقطهم : بارون، ودوهاميل ، وفيجي،وبرفير ، ومان راي ، وتانجي ، وفيدال « بسبب اهتماماتهم أو طباعهم » . في اليوم والساعة المحددة ، عقد الاجتماع الذي ضم برئاسة ماكس موريس ، الكسندر ، وأراغون، وآرب ، وادوار ، وبرنار ، وبرتون ، وكوبين ، وكريفيل ، ودومال ، ودولونس ، ودوهاميل (بالرغم من رفضهم له) ، وفورييه، وجيلبر لوكونت ، وجيمانس ، وهارفوكس ، وهنري ، وكازياد ، وماجريت ، وميزنس ، وكونو ، ومان راي ، وتانجي (بالرغم من الظن بأنه يحسن « تصفية حساب » هذين الاخيرين أيضاً) وريمون ديساني ، وسادول ، وسافيتري ، وسيما ، وسيربون ، وبونيك ، وفابان وفالنتان .

---

(١) – « مهما يكن انهماكك بالنشاط الذي تمارسه في أطر أخرى ، لن يخفى عليك أن تمنعك عن الحضور في هذه المناسبة ، يعني لنا انفصالا يزداد أسفنا اتجاهه بمقدار ما يعبر عن الموقف الذي يتخذه أناس رأيناهم دائماً يكافحون . . . وبما أنه تبين لنا ، بنوع خاص ، أن نحمل كل احد على أن يقول رأيه في أمر لست قليل الاكثرات به (مصير ليون تروتسكي المقرر حديثاً) . ألا تظن أن مؤلف « الثورة والمثقفون » يجب أن يكون حاضراً حتى ولو كان بصفة مراقب ؟ . . . » .

قرئت في البدء الرسائل الواردة ، اختصر جورج باتاي رأي المعارضين بقوله :

« كثر المزعجون المثاليون » . وناهض العمل الموحد ايضاً : ليريس ، وماسون ، وجيتار ، وبيرنيه ، وجنباش ، وفرانكل ، وميرو ، وهورمان ، بينما أيّد آخرون متابعة النشاط السريالي بلا قيد أو شرط وهم : بوسكيه وكازياد ، ومالكين ، وسافيتري ، وارنيست . وفي رسالته يأسف بروتون ، لأن العنف « الوسيلة الوحيدة الوافية للتعبير تنتقل إلى خدمة المصالح الخاصة البخسة وتبذل في نقاشات عقيمة » ، بينما يلاحظ كونو خطر العمل الفردي وقلة جدواه لأنه يقود فقط إلى الشك والشعر ، في حين يبقى العمل الجماعي وحده ذا فعالية ، ولهـــذا الهـــدف ، عليه أن يكون عمل أفراد معروفين بنزاهتهم الأخلاقية (١) .

فشعر كل فرد بأنه المقصود بهذا القول وفي نهاية المطاف أثيرت القضايا الشخصية فارجىء النقاش حول مصير ليون تروتسكي . وقال بروتون : « ينبغي على المجموعة أولاً أن تعطي رأيها في درجة كفاءة كل واحد ولكن من الناحية الأخلاقية التي لاشك فيها .

وبوشر رأساً بمحاكمة مجلة (لوغران جو) « اللعبة الكبرى » ، ما الذي يؤخذ على محرريها؟يؤخذ عليهم أنهم فضلوا في مواضيع اعجابهم ،

---

(١) — « يراقب الأدب خاصة عند ملتقى الشك والشعر : ان العمل الجماعي وحده يستطيع أن يقوم الانحرافات الفردية . . . » يكمن الأمر اذن في أن نتغلب على التشويشية التي تغشي على أكثر الأذهان كما يبدو . . . لايجب أن نخون العمال الذين يبنون الثورة : تثار القضايا الشخصية عندما يتعلق الأمر بالخونة . . . » .

لأندرو على ساكو وفانيزيتي ، واستعملوا باستمرار لفظة « الله » وشاركوا في نشاطات مسرح ألفريد جاري ، وأخيراً لأنهم كانوا متخلفين ، إن لم نقل اكثر ، أثناء أحداث دار المعلمين العليا . وقد دارت هذه الأحداث حول عريضة وقعها ثلاثة وثمانون طالباً ، ضد التدريس العسكري ، والذين أنكروا توقيعهم أمام حملة صحفية منظمة . وقبل عشرة منهم فقط بتوقيع نص أكثر عنفاً قدمه أحدهم (بول بنيشو) ولكنهم رفضوا السماح بنشره . ووجهت الملامة إلى جيلبر — لوكونت لأنه على اتصال مع هؤلاء الطلبة ، ولم ينشر هذا النص ، بل أعاده إليهم دون أن يحتفظ بنسخة منه . فأخفقت هكذا فرصة سانحة لاثارة الفضيحة . وتذرع لوكونت بأن الطلاب رفضوا نشر احتجاجهم بعد أن قرروا ذلك ، فهل كان ينبغي أن يعاكسهم وينشره دون ارادتهم ؟ نعم يقول السرياليون ، كلا ، يقول محررو **الجران جو** .

والأمر الأقل اثارة للجدل هو النشاط الصحافي عند فايان ، وهو محرر آخر في **الجران جو** الذي امتدح مدير الشرطةجان شياب في **باري ميدي** . ونوقشت هذه القضية ، ويبدو أن فايان اعتذر جهاراً بينما شوهد ريبمون ديساني ينسحب أمام الجميع من الاجتماع ، لاشمئزازه من تحول النقاشات لهذا الاتجاه (١) . لم يتمادوا أكثر من ذلك في هذه

(١) — لتكوين فكرة تامة ، علينا أن نستشهد بالرسالة التي وجهها ريبسون **ديساني** إلى بروتون ، المؤرخة في اليوم التالي للاجتماع ، انها تأتي صدى لأصوات جميع المعارضين لبروتون : « هكذا رأينا إلى أي شيء توصلت كل ارادتك المشتركة : محاكمة ، محاكمة ، محاكمة وعلى أي شكل . والخلاصة ، هل قمت بشيء اخر؟ألم تكن كل محاولة جماعية سوى مشاكل شخصية متكررة ، وبشكل عام ، تذكرنا بصغار الطلبة ! . . . أناهض ، بكل قواي ، العادات التي تريد أن تحافظ عليها ، وسوء النية التي هيمنت على اجتماع شارع شاتو ، والكمين الذي أسأت تدبيره (أوأحسنت فعله إذا اعتبر من وجهه نظر « مفوضية الشرطة ») الذي كان يتستر بحجة تروتسكي . . . » .

الأمسية ، ودفن مشروع العمل الموحد قبل أن يبصر النور . لم يرفض محررو **الجران جو** وحدهم أن يكونوا ضحية محاكمة حقيقية . ولم يطالب ديسانيي وحده بالتوقف عن « سبر القلوب والكلى » بل ان جميع الذين لاينتمون إلى السريالية فضلوا اخلاء أماكنهم لرفضهم الخضوع لمطالب بروتون .

حاول بروتون وأراغون الخروج بخلاصة ما من هذا النقاش المجهض فشددا على أهمية الحرص على نزع القناع دائماً وأبداً عن وجه « الصبية الصغار المسالمين (أو الذين كانوا يبدون هكذا في ذلك الحين ، والذين يتدربون في مهنة المفكرين حيث تنقصهم الدقة بشكل يثير القلق . وبامكان كل شخص أن يضع نصب عينيه هذه المهنة التي تأتي بنتائج ضئيلة ، وتمارس دون عقاب ويخضع أخيراً للنظام القائم وينتقل إلى خدمة العدو . وهذا ما لا يرضى به السرياليون وما يجعلهم « متشددين » جداً بشأن درجة الكفاءة الأخلاقية « عند أصدقائهم حتى اقربهم إليهم ، لأنهم يجازفون بمصير **الثورة** الضرورية حسب اعتقادهم .

يحمل فشل اجتماع شارع الشاتو« عبرة أوسع من ذلك : فقد أجبر بروتون على أن يوضح من جديد موقفه وموقف السريالية . ويحملها بالنتيجة على أن تقوم « بانطلاقة جديدة » وهذا ما كان يرمي إليه من نشر « البيان الثاني (١) » .

يبدأ بروتون مرة أخرى بتحديد مفهوم « فوق الواقعية » (السريالية) إذ أن ايضاحه يبرر وجود الحركة وفعاليتها : كل شيء يجعلنا نعتقد

---

(١) — في العدد الوحيد من الثورة السريالية لعام ١٩٢٩ (١٥ كانون الاول) .

أن في العقل نقطة ما يبطل فيها الادراك على شكل متناقضات : الحياة والموت ، الحقيقة والخيال ، الماضي والمستقبل، الشيء الذي نستطيع الافصاح عنه والشيء الذي لايعبر عنه، الأعلى والاسفل ، والحال ان من العبث أن يبحث في النشاط السريالي عن دافع آخر سوى دافع الأمل لتحديد هذه النقطة . . . » .

فهذا المطلب يقضي على كل محاولة تصنيف بين الحركات السابقة والحاضرة والآتية . كما تبدو سخيفة جميع المحاولات الفنية والفلسفية التي تظن أنها تعطي حلاً لهذه الحركة . كذلك المحاولات التي تتنافى مع الفن والفلسفة بحجة عدم امكان وجود حلول في هذين المضمارين. فالسريالية تحتوي هذين المفهومين وتتخطاهما : لاتهتم أبداً بالوجه الذي تبدو فيه لأنها مستغرقة في البحث عن النقطة حيث يزول التناقض تماماً (١) .

يكرر بروتون أن هذا النشاط يفترض أولاً انقطاعاً تاماً عن العالم كما أعطي لنا وذلك بالتمرس على عنف مستمر وشامل . فاذا ما كانت السريالية ترتكز على عقيدة ما ، فعلى عقيدة « الثورة المطلقة والتمرد التام والعزقلة حسب الأصول (٢) » .

(١) – ليس من شأن السريالية أن تبالي كثيراً بكل ما يحدث قربها بحجة الفن وحتى بحجة المضاد للفن ، بحجة الفلسفة أو المخالف للفلسفة ، وبعبارة موجزة ، بكل ما لا يهدف إلى انعدام الكائن في طوية براقة وعمياء شرط ألا تكون روح الصقيع ولا روح النار .».

(٢) – « يكمن أبسط عمل سريالي في النزول إلى الشارع بمسدسات مشهرة واطلاق النار عشوائياً قدر المستطاع فوق الجمع فمن لم تحدثه نفسه مرة واحدة على الأقل في أن يقضي على هذا المنوال على نظام الخزي وافساد العقل السائد ، له مكانه المميز في هذا الجمع ، البطن على مستوى المدفع . . . » .

وفي آن واحد يرفض بروتون جميع الوصايات وجميع الأموات الذين طاب للسرياليين أن يعترفوا بهم روادا لهم فيما مضى : رامبو، وبودلير ، وبو (« لنشتم ادغار بو في سياق حديثنا ») ، وراب ، وساد ، « وفيما يتعلق بالثورة ، لاينبغي أن يحتاج أحدنا إلى أجداد » كل شيء يدعو إلى العمل، يجب أن تكون جميع الوسائل صالحة للاستعمال بغية تدمير مفاهيم الأسرة ، والوطن والدين . . . » لايتحمل الموقف السريالي أية تسويات ، فالسريالية تتطلب درجة من النزاهة عند الذين ينتمون إليها ، يستحيل معها ، دون شك ، أن يستمروا فيها . ماذا يهم ! ان ارتداد آخر سريالي لن يمنع السريالية من البقاء سينهض شباب مغرمون بالحزم والنزاهة ، يودون أن يستأنفوا التجربة ويتابعوها . فمن أجلهم ، وبالنظر إلى عملهم المستقبلي ، يهمنا أن نظهر تمسكنا بموقفنا فيما يتعلق بنوعية الأشخاص الذين تتألف منهم الحركة اليوم : فليبتعد غير المرغوب بهم أمثال الادباء الذين لايقبلون الاصلاح ، والمنغمسون في ملذات الحياة ، والباحثون عن الانفعالات العنيفة ، والنفاجون ، والمدللون ، (أبناء العائلات) والمهرجون ، وجميع الذين ظنوا أو أرادوا « قضاء الوقت » ، دون أن يهاجموا الوقت ذاته ، والحياة ، والانسان بما هو عليه (١) . ويطرح بروتون بعيداً ودون

---

(١) — « لماذا نستمر في التظاهر بالاشمئزاز ! الا يكفي شرطي وبعض المنغمسين في ملذات الحياة واثنان أو ثلاثة من المتطفلين على الادب ، وعدد كبير من المختلين ، مع غبي (واحد) ولا يعترض احد على أن ينضم إليهم عدد قليل من المتزنين . من الاشخاص القساة والنزهاء ، الذين قد نصفهم ممسوسين ، الا ترى من أي شيء نؤلف فرقة مسلية وغير مؤذية . تأتي صورة طبق الاصل للحياة ، فئة من اشخاص يتقاضون بالمقاولة ويربحون حسب الانتاج ! يا للقذارة ! فيردا !

أي تمييز أرتو ، ودلتي ، وجيرار ، ولامبور ، وماسون ، وسوبو وفيتراك ، ويلصق باسمائهم صفات مخزية .

وهناك آخرون من ذوي الضمير الحي يتطلعون إليك من فوق : يقولون : المهم هو العمل المباشر ضد النظام : كفانا خطابات باطلة حول وضع الانسان ومصيره . اننا نحتاج إلى مناضلين ، إلى جنود للثورة لم يسبق لهم أن تأملوا في « العجيب اليومي » هؤلاء يعرفون ماذا يريدون ويريدونه . ويود بروتون أن يكون بينهم ، ولكنه لايستطيع ذلك لأن السريالية تعترف بوجود قضية اجتماعية وتنادي بها ، وترفض بازدراء وكراهية نظاماً مؤسساً على استغلال العدد الأكبر من الناس ، وتقف إلى جانب أو مع الثوار الذين يطالبون اسقاط هذا النظام . لقد أبعدت من داخلها جميع الذين كانوا يرفضون اتخاذ هذا الموقف . ويضيف بروتون ، غير أن للمادية الجدلية ، الفلسفة التي يعترف بها الثوار بعد أن اختبروها ، حقلاً أوسع بكثير مما يظن السياسيون . فلماذا الامتناع عن استخدام هذه الآلة لحـــل المشاكل الفوق سياسية ؟ (١) . ألا يحتمل أن يكون الثائر مغرماً أو أن يحلم مثل غيره ؟ أينبغي الاكتفاء بحجز المجانين ، وقتل المؤمنين من جميع الأديان ، وترك الفنانين يسترسلون للثرثرة في المقاهي الخاصة بهم؟ يا له من قصر نظر فريد عند من يرفض مواجهة هذه المشاكل! وإذا ما كان السرياليون قد رأوها بفصل احساسهم

(١) – « كيف نسلم بأنه ليس بامكان الاسلوب الجدلي أن يطبق فعلا الا في حل المشاكل الاجتماعية ؟ فطموح السريالية كله يكمن في أن يقدم له امكانيات تطبيق لا تنافس مطلقاً في المجال الواعي المباشر . بالحقيقة ، ودون أن أزعج بعض الثوار ذوي الفكر المحدود ، لا أرى لماذا نمتنع عن اثارة مشاكل الحب ، والحلم ، والجنون ، والفن ، والدين . شرط أن ننظر إليها كما ينظرون هم – ونحن أيضاً – الى الثورة . . . » .

العميق واختيارها ، فبأي حق يمنعونهم من ارادة ايجاد حلول لها؟. أيكون ذلك باسم الثورة ؟ يالها من ثورة فريدة ، ثورة تضع حدوداً لذاتها !
وبما أن بروتون يدعي الانتماء إلى الثورة وإلى المادية ويمارس نشاطه في مجال خاص ، فانــه يهاجم مــن جديد الحزب الشيوعي وأصــدقاءه القدامى الذين ارتدوا إلى النشاط السياسي بمن فيهم مجموعة الايسبري التي يقضي على اعضائها (مورهانج ، وبوليتزر ، ولوفيفر (والتي انضمت إلى الشيوعية ولا يريد أن يتلقى منها دروساً . وهذه المرة . لم ينل نافيل حظوة في عين بروتون .

وبعد الرفض ، والتحطيم ، والتحذير ، يصل بروتون إلى السريالية بحصر المعنى ، لا يهنىء نفسه ومجموعته على ما هم عليه ، بل يأسف بالفعل للأخطاء ونقاط الضعف ، والنقص في الحــزم التي تظهر في المجال الذي اختاره . لم يصل البحث إلى هدفه فحسب ، بل لم يستخلص كل شيء مما تقدمه الكتابة الآلية ورواية الأحلام وأحياناً خلت التجارب حتى من أدنى عنصر تشويق ، ويرى سبب ذلك في الاهمال الفادح الذي أبداه أغلبية السرياليين الذين دهشوا من اكتشافاتهم واكتفوا بها . وتراجعت لسوء الحظ الناحية العلمية والاختبارية ، أمام المظهر الفني للتجربة . انهم يشهدون بطريقة سلبية تدفق العقل الباطن ويهملون مراقبة ما يحدث في داخلهم أثناء هذه اللحظة . فكيف يتقنون هذا التدفق وينظمونه ؟ وكيف يجعلون منه آلة للاكتشاف ؟ أليس من تمييز بين الآلية والسلبية ؟ هل نعود ونستسلم إلى روتين جديد ؟ في رأي بروتون ، تكمن صوابية السريالية دائماً في تجلي العالم الباطن ، واخضاع الالهام الذي يقول لنا عنه : ينبغي الكف عن اعتباره « شيئاً مقدساً » و « سياتي يوم » يبدو فيه هذا النهج طبيعياً جداً ، ويعترف فيه بأن السرياليين شقوا الطريق

وانهم أوشكوا على الامساك بالحقيقة . في ذلك اليوم ، يضيف بروتون ، سيدهش الناس من خجلنا ومن حاجتنا إلى البحث عن عذر فني . فبدلاً من بذل جهدنا في سبيل الأمر الذي لم يكن ولن يكون سوى وسيلة ، لتكن لدينا الشجاعة لنعلن أن المقصود . قبل كل شيء هي الوسيلة ، ولنعرف أن نستغني عنها إذا ما دعت الحاجة .

بعد أن يأسف على نقص الحزم في النشاط الماضي ، والتقصير في النشاط الذي يمارسونه في مجال مجهول تماماً يطلق هذا النداء بعيداً عن الأوهام ومليئاً بالشجاعة والثقة بأقدار السريالية :

« سيكون من شأن براءة وغضب أشخاص سيأتون فيما بعد . أن ينشلوا ما تبقى على قيد الحياة من السريالية ، وأن يعيدوه إلى هدفها الأصيل ، بمقابل تهديم جميل . . . »

استطاع بروتون أيضاً ، بقوة هذا الايمان ، أن يستأذن » واحداً من الذين كان يحبهم أكثر من الجميع والذي عمل بالحقيقة أكثر من الجميع : روبير ديسنوس (١) . فقد اندفع ديسنوس اكثر من اي شخص آخر في تقدمه على الطريق التي تقود إلى المجهول وظن أنهذه المغامرة تحل مكان أي شيء وتكفي لكل شيء . فتمشياً معها ، أهمل الاجابة على بعض الأسئلة الفظة التي تثير السريالية وقدشاهدوه يعلن أنه لايمكن « للثورة أن تكون **إلا** سياسية واجتماعية » ، ثم ينسحب راضياً لرؤيته الأمور بوضوح ويصرح برزتون أن هذا نقص مجحف في الحزم ، والأفظع من ذلك ، هو اعتقاده أنه ذو مواهب أدبية وارادته في

(١) — « قام ديسنوس في السريالية بدور ضروري لا ينسى ، وليست المناسبة صالحة الآن ، دون شك ، لنعترض عليه . . » .

تحقيق مصيره كشاعر . وأخيراً ، و (لكي يعيش) تفرغ للنشاط الصحافي ، أعني أنه قبل ، حسب رأي بروتون ، بانتحاره المعنوي .

وماذا كان مصير المحرضين أنفسهم على السريالية ؟ فها هو مارسيل دوشان ، الذي لم تقل فعاليته عن فعالية جاك فاشيه الا قليلاً ، يتورط في لعبة شطرنج لانهاية لها (بالمعنى الحقيقي) وقد لايكون المخرج منها الاسخيفاً ، برأي بروتون . وهاهو ريبمون — ديسانيي يعود إلى الأدب بكتابة مسلسلات سينمائية ، وبيكابيا « يهتم بعمله » ويفتخر بضميره الحي . فهل يجب اعتبار هؤلاء الرجال كأنهم أموات ؟ وفي معسكر الداديين القدامى ، يبدو تزارا وحـــده وكأنه لم يهمل « الظل لأجـــل الفريسة » ، واستمر موقفه الفكري واضحاً منذ أحداث القلب على الغاز التي وجدها بروتون في غير وقتها فقط . يسعد بروتون أن يؤكد له احترامه ويرجوه أن يأخذ المكانة التي تحق له شرعاً في الحركة السريالية .

وفي تعمقه في تحليل أقدار الحركة إلى أبعد مما فعله حتى الآن ، يبدو له فجأة ان السريالية لاتستطيع أن تهمل بعض الأبحاث الباطنية : بل يجدها وكأنها المتمم لنيكولا فلاميل وخيماويي القرن الرابع عشر. يفكر بروتون بأن السريالية ، على مثالهم ، تبحث عن « الحجر الفلسفي » الذي يتيح لمخيلة الانسان أن « تثأر من كل شيء بشكل صاخب ومن هذا المنطلق ، يستطيع أن يكتب بأن السريالية لاتزال في « مرحلة التأهب » ويأسف لأن هذا التأهب لايزال أيضاً على المستوى الفني المحض ، بعيداً جداً عن المطلب الذي يجب علينا متابعته منذ الآن ، والذي نعلق عليه آمالنا . والخلاصة ، ان الحركة السريالية لن تنتج بعد

الآن إلا للمطلعين على الأسرار والمختارين الذين تعينهم النجوم لاتمام هذا العمل السري (١) .

ولذلك فان بروتون استطاع واثقاً ، بعد هجوم على جورج باتاي الذي كان نشاطه يحاذي السريالية أن يقدم خاتمته التالية :

« ان السريالية ، أقل استعداداً منها في أي وقت مضى لتستغني عن هذه النزاهة ولتكتفي بما يتركه لها هؤلاء وأولئك بين خيانتين طفيفتين يجدون المبرر لارتكابهما في ذريعة شنيعة هي أنه يجب أن يعيشوا جيداً . فلسنا بحاجة إلى هذه الصدقة من المواهب . نعتقد أن ما نطلبه هو ذو طبيعة تحمل الرضى والرفض التام وليست مجرد أقوال أو عيش على آمال ضئيلة . هل نريد : نعم أم لا ، أن نجاذف بكل شيء في سبيل الفرح

---

(١) – « ينبغي حتماً منع الجمهور من الدخول إذا أردنا تجنب الفوضى . . . اطلب الباطنية العميقة والحقيقية للسريالية . . . » .

وفي الحاشية : « ان برج ولادة بودلير الذي يظهر القران الفريد بين أورانوس ونبتون يبقى إذا صح القول ، غير مفسر بالنسبة لهذا الحدث ، فعن قران أورانوس بساتورن الذي تم خلال الاعوام ١٨٩٦ – ١٨٩٨ ، والذي لا يحصل الا كل خمسة وأربعين عاماً ، عن هذا القران الذي يميز أبراج ولادة أراغون وايلوار وبرجي أنا ، نعلم فقط من شوازنار ، أن علم الفلك بحث في هذا القران قليلا ، وانه قد « يعني حسب كل احتمال : حب عميق للعلوم . سعى وراء الغموض ، حاجة مرتفعة للتثقف : (من المفهوم أن تعبير شوازنار مشبوه به) » ويضيف من يدري ، ربما ولدت من قران ساتورن باورانوس مدرسة جديدة في حقل العلم ؟ هذا المظهر الفلكي ، إذا ما وضع في المكان المناسب من الطالع الفكلي (الاوروسكوب) قد يوافق شخصية انسان وهب التفكير والفطنة وحب الاستقلال ، بوسعه أن يكون باحثاً من الدرجة الاولى . « هذه السطور ، المأخوذة من « تأثير النجوم» تعود إلى عام ١٨٩٣ ، وفي عام ١٩٢٥ لاحظ شوازنار أن نبؤته تتحقق على ما يبدو » .

أندريه بروتون ، حاشية في البيان الثاني .

ألا يشير بروتون إلى نفسه وكأنه الانسان المنتظر ؟ .

الوحيد في أن نلمح من بعيد ، في أسفل البوتقة حيث نقترح أن نلقي أسباب راحتنا الوضيعة ، وما تبقى لنا من سمعة طيبة ، وشكوكنا الممزوجة بالزجاج **الحساس** الجميل ، وبالفكرة الجذرية عن عجزنا وتفاهة ما ندعيه من واجبات ، **في سبيل النور الذي لن يخبو بعدا لآن ؟** »

يعتبر بروتون **البيان الثاني كأنه عودة إلى المبادىء** ، والمهمة التي قام بها كأنها « تنقية للسريالية». ومما لايقبل الجدل أن أحداً لم يكوّن أكثر منه عن السريالية هذه الفكرة الرفيعة التي أوصلها إلينا أو دافع عنها بصلابة اكثر . وقلما يهمنا ان تكون ضربات قد وجهت بدرجات متفاوتة من الشدة والتمييز . ان السريالية اوشكت ، وهذا واقع على– الانزلاق نحو الفن بفعل أفراد تعبوا من الاستمرار في البقاء فوق هذه القمم التي أرادها دار سكن لهم ، وهذا منذ اللحظة التي رفض فيها سلوك الطريق التي أنارها له بيير نافيل لأن رفض الالتزام هذا لايعني أبداً قلة اكتراث وتأملاً . لم يضع أحد موضع الشك الاستلطاف الفعال الذي يكنه بروتون للثورة ، وإذا ما كان بعضهم قد تشتتوا إلى هنا وهناك ، فهذا يعود إلى أنهم رفضوا الالتحاق به في مسيرته نحو النقطة التي توصل إليها . فاذا ما حارب أيضاً الذين كانوا يضحون بالسريالية في سبيل العمل الثوري ، ومهما تكن البراهين التي يستخدمها ضدهم ، فاننا نفهمه بسهولة إذا أردنا أن لاننسى أن السريالية بالنسبة له ، تشمل أيضاً الثورة الاجتماعية . فليس الأمر في أن نغفر أو نحاكم ، بل أن نفهم : ولماذا يدهشنا أن كثيرين لم يشعروا بالقوة لاعتناق القرار البطولي الذي كان يطلب إلى كل أحد أن يتخذه ؟ وكيف لايظهرون تعبين من هذه المسيرة الشاقة التي يقودهم فيها بروتون ! ان بعض المراهقين

أصبحوا رجالاً ويتحملون بصعوبة كلية النير المتصلف الذي يفرضه الزعيم عليهم حتى ولو كانت بعض الدقائق التي لاتنسى تخفف من شدته . لأن لهذا الزعيم ميولاً لاتفسر غالباً ، وتغيرات في مواقفه تثير الدهشة ، وكراهيات واستلطافات مفاجئة ينبغي اعتناقها ، ومن جهة أخرى ، كان جميع هؤلاء الشباب تقريباً يشعرون بمواهبهم ، وقد انصرفوا بحماس شديد لهذه الثورة ، لأنهم ذوو مواهب غير عادية وكانوا يتحملون بصعوبة ارجاءها وتأخيرها المتجدد . فبعد أن استنفذوا أفراح الكتابة الآلية ورواية الأحلام ، شعروا في ذواتهم بقدرات على الابداع لم يكن جو المجموعة يسمح بتحريرها ، لنجرؤ على القول : لم يعودوا يشعرون بأنهم أحرار ، لذا أرادوا الآن أن يجربوا حظهم وحيدين ولأجل أنفسهم . كان هذا الميل أشد قوة عند « الأدباء » منه عند الفنانين التشكيليين الذين لم يتعرضوا لثورات غضب بروتون بنفس الدرجة . فكانوا يبيعون لوحاتهم ويعيشون من ريعها إلى حد ما ، وكان بروتون يجد ذلك أمراً عادياً ، « ويجب أن نعيش جيداً » هو باعث سخيف يرفضه بروتون باحتقار ، غير أنه إذا ما حل المشكلة فيما يتعلق به ، ولا يستطيع سواه أن يكتفي بالتماس العيش بجميع الوسائل إلى أجل غير مسمى . لم يصل بالفعل إلى درجة الجحود سوى العدد القليل من الذين وجه إليهم بروتون الاهانة: ولانستطيع لوم الآخرين المترفعين عن كل شبهة ، إلا أنهم لعبوا لعبة الحياة العادية . فمن يشعر أنه يحق له رميهم بالحجر الأول ؟ .

غير أن قوات جديدة أتت لتحل مكان القديمة . وفي مساء هذه المرحلة يظهر نجم سلفادور دالي الذي ساهم بتحقيق خطوة جديدة في الحركة جمعاء بفضل شخصيته ونشاطه .

٥ - في خدمة الثورة

« الربيع في الخارج ، الحيوانات والأزهار ، يسمع في الغابة صخب الأولاد الذين يتلوون من الضحك . إنه الربيع ، تجن الابرة في البوصلة ، و . . . .

جاك بريفر

سجل عام ١٩٣٠ نهاية النزاع القائم مع الأصدقاء القدامى الذين فضحهم بروتون ، في **البيان الثاني** ، والذين استاؤوا من المعاملة التي قابلهم بها فنشروا ضده **الجثة** ، وهي رسالة هجاء عنيف إلى أقصى حد ، كما سجل أيضاً قدوم قوات جديدة : سلفادور دالي ، ولويس بونويل ، وجورج هونييه ، ورونيه شار ، وجورج سادول ، وألبير فالنتان ، وأندريه تيريون ، بينما استعاد ايف تانجي ، ومان راي ، الثقة بعد أن كان مشتبهاً بأمرهما. ولكننا نستطيع ، منذ الآن ، أن نلمح بذور انقسامات مقبلة ، حسب المبدأ الذي يدعو للاقلال من الضغوط في الاتجاهين المتناقضين في السريالية ، اتجاهين قد سبق لنافيل أن اكتشفهما . وفي هذه الأثناء ، كان بروتون وايلوار يحرثان الأرض السريالية حراثة عميقة بنشرهما **الحبل بلا دنس** ، وقام جورج سادول وأراغون بجولة في روسيا ، متعددة النتائج ، بينما يبتعد بروتون تدريجياً عن الحزب الشيوعي لأنه لم يستطع متابعة عمله النضالي في خلية « الغاز » حيث وضعته

ثقة (؟) الحزب (١) . ومن ناحية أخرى ، وضع لسان حال الحركة الجديد تحت تصرف الأممية الثالثة . وقد أدت هذه المتناقضات فيما بعد إلى أزمة جديدة في السنين التالية . وفي هذه اللحظة بالذات ، احدث انتهاء أزمة عام ١٩٢٩ ضجة كبيرة ، وعلى مثال أزمة عام ١٩٢٦ — ١٩٢٧ ، قد نجد لها نفس الأسباب التي يمكن ارجاعها من الآن ، إلى سبب واحد : هل ينبغي وضع الحركة تحت تصرف الحزب الشيوعي الذي يتطلب هجرها التام، أم ينبغي ترك الحركة تسير في طريقها المستقل؟ كان بروتون يدعو إلى حل وسط يخفي التناقضات بدلاً من تركها تظهر : وهو متابعة العمل في طريق مستقل مــع التصريح بأنهم يناضلون في سبيل الثورة ، ويهدفون إلى مهماتها بالذات ولكن بطرق موازية لم يرض نافيل بهذا الحل سابقاً ، كما أنه لم يرض به كذلك ولأسباب مناقضة ، كل الذين « صرفهم » بروتون . فبما أنهم هوجموا بالشكل الذي نعرفه، ردوا عليه علناً متخطين شخصيته ذاتها ، وتوصلوا إلى دفن السريالية معه ، ولم تنشأ فيما بعد مدرسة منشقة ، لانعدام وجود حد أدنى من التفاهم بين المعارضين أنفسهم ، وبعد هذا الاتحاد العابر بهدف القدح والذم ، عادوا إلى مهماتهم الفردية الغريبة عن الحركة .

ان المشاركين في الجثة لعام ١٩٣٠ متنوعون حقاً : دادي قديم هو ريبمون ديسّايني ، وسرياليون قدامى : فيتّراك المنبوذ منذ زمن بعيد ، لامبور الذي ابتعد عن السريالية بسبب مزاجه الذي لم يتحمل الفضائح والاضطراب السريالي ، موريس المؤمن القديم ، التابع لبروتون والمنفذ

(١) — يخبر بروتون نفسه كيف أنه أرغم على تقديم تقرير يتركز فقط على احصائيات عن الوضع في ايطاليا . فلم يستطع أن يتمم العمل الذي يفوق قدرته .

وصيته ، جاك بارون ، وميشيل ليريس ، وريمون كونو ، وج . آ . بوافار ، وروبير ديسنوس ، وجاك بريفير ، وجورج باتاي ، الشخص الذي لم ينتسب قط إلى المجموعة ، ولكن بروتون أهانه بوجه خاص ، ولم ير بيير نافيل ، الذي دعي بالحاح ، فائدة بالانضمام إلى المعارضين .

كانت هجماتهم شخصية قبل كل شيء إذ كثر استعمال عبارات **شرطي وخوري** . شرطي : « فالبيانات التي تستهدف مثلاً نافيل وماسون ، لها طابع الابتزازات اليومية التي تمارسها الصحف المباعة إلى الشرطة » (ريبمون – ديسّايني) . خوري : « الأخ بروتون الذي يحضر (يمزج بنسبة معروفة) الكاهن مع صلصة الكمون ، لايتكلم إلا من أعلى المنبر » (ريبمون ديسايني) : « ذات يوم ، كان يوبخ الكهنة ، وفي الغد ظن نفسه مطراناً أو بابا في أفينيون » (جاك بريفير) . وهو أيضاً « عضو خائن » : « كان يبصق في كل مكان ، على الأرض ، على أصدقائه ، على نساء أصدقائه » (جاك بريفير) . « كان لي صديق مخلص » (يفترض أنه كلام بروتون) هو روبير ديسنوس : وقد خنته ، كذبت عليه ، أعطيته وعد شرف كاذباً (روبير ديسنوس) . « مارس على نطاق واسع الاحتيال في الصداقة » (فيتراك) ، فهو ثوري زائف ، وشيوعي زائف . « إذا اتفق أن أحب بروتون كراعب الحروف في صلصة الفروج ، سترون مباشرة هذه الأطعمة مكرسة ثورية » (موريس) . « هو الذي كان يرسل الرفاق إلى الباليه الروسي ليهتفوا » ليعش السوفيات ! « والذي كان في الغد يفتح ذراعيه لاستقبال سيرج دياغيلو في المعرض السريالي ، حيث يأتي لشراء بعض اللوحات » (بارون) . يتهمه ليريس وديسنوس بأنه « عاش دائماً فوق جثث » :

فاشيه ، وريغو ، ونادجا ، بينما يدفن فيتراك وباتاي السريالية : « الدكان السريالية » (فيتراك) ، مشروعه الديني » (باتاي) والخلاصة هي نفس الخلاصة التي كتبها بروتون عن أناطول فرانس : « لايجوز لهذا الانسان مطلقاً ، أن يتحول بعد موته إلى تراب ! » كتبت في عدد فوق صورة ضخمة تمثل بروتون مطبق العينين ، ودمعة من الدم في زاوية جفنيه ، واكليل من شوك على جبينه .

كان بوسع « المصلوب » أن يرد ، فأتى رده في نشره مجلد « **البيان الثاني للسريالية** » مكتفياً بمقارنة بين المقارنات القديمة والحديثة التي قدمها أصدقاؤه القدامى حول شخصيته ونشاطه من المؤكد أنهم أعطوه المثل . لم تؤثر هذه الأزمة كثيراً في الحركة السريالية بالرغم من أنها كانت أعنف من جميع الأزمات التي هزتها قبل ذلك . انها تدل دون شك على نهاية أجمل مرحلة وأكثرها غزارة وحماساً ، غير أننا إذا ما عدنا إلى تلك الحقبة نجد أن مصير السريالية لايختلف عن سواه من التيارات الفكرية آنذاك .

سجل عام ١٩٣٠ بالحقيقة نهاية حقبة ما بعد الحرب . فأخذت اجهزة جديدة اقتصادية (أزمة في الولايات المتحدة ، تلتها أزمة في أوروبا : ألمانيا وانكلترا) وسياسية واجتماعية تتحرك سراً ولم تظهر نتائجها الا بعد عشر سنوات ، ففي فرنسا كان لفشل بريان والدعوة إلى السلام الرسمي اكثر من الرمز ، انه دلالة مرض : لقد انتهت حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ — وعادت الرأسمالية إلى تناقضاتها الأساسية ولا تستطيع حلها إلا بالتحضير إلى مجزرة جديدة .

وبما أن محبي السلام الحقيقيين كانوا عبر العصور ثواراً ، فقد عاد كل إلى المكان المعدّله ، والتحق بمعسكره الطبيعي ؛ لذا ازداد بروتون في التقرب من الحركة الثورية . وهي هنا الشيوعية ، بالرغم من خيبات الأمل الشخصية التي تلقاها منها ، وأطلق اسم « **السريالية في خدمة الثورة** » على الناطق الجديد بلسان الحركة ، مظهراً هكذا أنه أقل من أي وقت مضى ، لايقصد « الثورة السريالية » وبدأ باتصال تلغرافي مع موسكو للاعلان عن ارادتهم بوضع أنفسهم مباشرة في خدمة الثورة (١) . وظن بروتون أن عهد « الانتهازية » قد ولّى . بينما ذهب أراغون وسادول أبعد من ذلك إذ قاما برحلة حج إلى موسكو . وسنرى فيما بعد ماذا فعلا هناك وكيف عادا ؟ .

غير أن الحرارة تزداد ارتفاعاً : ويكتب بروتون مقالاً عن انتحار الشاعر البولشيفيكي ماياكوفسكي نجد فيه عبارات مثل هذه :

« ان الجميل الذي أكنه لماياكوفسكي ينبع من أنه فضل وضع « الموهبة العظمى » التي منحه اياها تروتسكي ، في خدمة الثورة بدلاً من أن

(١) — « سؤال : المكتب العالمي للادب الثوري : الرجاء الاجابة سؤال تالي : ماذا سيكون موقفكم إذا أعلنت الامبريالية الحرب على السوفيات . توقف . عنوان . صندوق بريد ٦٥٠ موسكو .

جواب : الرفاق ، إذا أعلنت الامبريالية الحرب على السوفيات سيكون موقفنا مطابقاً لارشادات التكتل العمالي الثالث ، موقف أعضاء الحزب الشيوعي الفرنسي .

« إذا اعتبرتم في حالة مماثلة توظيفاً أفضل لمواهبنا ، نحن تحت تصرفكم لرسالة معينة تتطلب منا عملا آخر بصفتنا مثقفين . توقف . قد يكون عرضنا عليكم للاقتراحات تأكيداً لدورنا وللظروف فعلا .

« في الحالة الراهنة للصراع غير المسلح ، نظن الانتظار غير مجد لوضع الوسائل .وسائلنا بنوع خاص في خدمة الثورة » .

يستخدمها لمنفعته الشخصية في سبيل تحريض الاعجاب بواسطة الصور البراقة في « الغيم في سرواله » .

انه ، بالفعل لايزال يناقش وسيستمر في النقاش يوازن وسيوازن دائماً بين قوى الحب وقوى الثورة في قلب فرد معين يهاجم كما سيهاجم دائماً « أدب الدعاية » (الذي لم يتقيد به ماياكوفسكي (لينتهي بتصريح يعبر على احسن وجه عن الدور التوحيدي الذي يتوخى أن تقوم به السريالية .

« انه لمن العبث المفرط من قبلنا في أن نريد جعل مأساة واحدة من اثنتين متميزتين : مأساة حياة البروليتاريا التي تثير الحماس في صراعها، ومأساة الحياة المخاسرة والمحطمة للفكر المستسلم لاعداد نفسه . لاتنتظروا منا ، في هذا المجال ، أي تنازل (١) » .

هذا الدفاع عن ماياكوفسكي أمام محرري الأومانيتية الذين لم يفهموه جيداً والذين يجدون من غير المعقول أن ينتحر انسان في « بلد الاشتراكية » يمارس أيضاً جسدياً ضد الرجعيين : يضرب أراغون السيد أندريه ليفينسون ، المحرر في **الأخبار الأدبية** (٢) لأنـــه أذنب بالافتراء على روسيا السوفياتية .

---

(١) – أندريه بروتون : « تحطم قارب الحب باصطدامه بالحياة العادية » جمع في ديوان دوجور (١٩٣٤) .

(٢) – « قصد أراغون منزل ليفينسون ، فخاف الأخير على عظامه واختبأ خلف وزجته مدعياً أنه لا يقوى على الدفاع عن نفسه « بسبب كسر في ذراعه منذ فترة وجيزة » رداً على هذه النزالة ، هاجم أراغون الأواني المطبخية التي أخذت تتطاير من النافذة متراقصة . استدعيت الشرطة . وحدث أن أراغون صوب قبضة يده إلى وجه الناقد وصفعه بحضور رجال الشرطة . . . » . (الأومانيتية ٣ حزيران ١٩٢٠) .

وللذكرى فقط ، لنتكلم عن مغامرة جورج سادول وجان كوبال اللذين ثملا في احدى الامسيات وأرسلا كتاب تهديد لشخص يدعى كيلر تخرج من الكلية الحربية في سان سير ، بالرتبة الأولى يدعوانه به إلى الاستقالة وإلا سيصبح عرضة لتلقي « ردفة أمام الجمهور » وعندما تحرك جهاز العدالة ، فضل جان كوبال أن يعتذر إلى السيد كيلر المتقدم على الجنود في كلية السان سير بينما قدم جورج سادول ، للدفاع عن نفسه ، براهين كان يفضل أن تكون أكثر « سريالية » غير أن هذا لم يمنع صدور الحكم عليه بالسجن ثلاثة أشهر . يجوز أن يكون السرياليون فهموا خطورة التهجم « الواقعي » على البورجوازية في هذه المناسبة واذا كان عام ١٩٣٠ قد سجل بالنسبة للسرياليين أكثر من أي وقت مضى ، « الخضوع لأوامر » الثورة الاجتماعية والسياسية ، فهو يسجل كذلك غوصاً في أعماق حياة السريالية ، في ما كانت تعتقد أنه مجالها الخاص . وبالفعل فان بروتون وايلوار اصدرا « **الحبل بلا دنس** » خلال هذه السنة وهو يتألف من قصائد نثرية متتالية مدهشة ، أكثر بهاء من القصائد التي نظمها كل من بروتون وايلوار مستقلين عن بعضهما ، وإذا ما صدف أن اكتشفت صورة خاصة باحدهما ، فان هذا التعاون لم يتوصل على الاقل إلى ابداعات تفوق الاثنتين معاً ، والقسم الاول : **الانسان**: محاولة لاعادة ابداع اللحظات الأساسية في الحياة ، من الحبل حتى الموت . الحب : « يجب أن يبقى على حاله دائماً وبمظهر الجمبازي المحير وهيئة الرأس المضحكة ولكن ، ها هو التمثال يتفتت ويرفض أن يحتفظ باسمه . . فهنا جدران لن تجتازها ، جدران سأغطيها بالتهديدات والشتائم ، جدران ستحتفظ دائماً بلون الدم العجوز ، الدم المهراق ...» .

حياة الجنين النباتية .

« بين جميع الاشكال التي يعبر فيها دوار الشمس عن حبه للضوء يبقى الأسف أجمل ظل على المزولة . عظام متشابكة ، كلمات متقاطعة ، مجلدات ومجلدات من الجهل والمعرفة : تحب الظبية أن تنظر إليّ بين قفزتين . أقيم معها في فرجة الغابة . أقع من الأعالي ببطء ، ليس وزني إلى الآن سوى الوزن الذي يعطيه أقل من مائة ألف متر .

يلمح أيضاً إلى « عاقبة الولادة » وعجز الحياة :

« تستولي عليه قوى اليأس مع ورودها الهشة (فقاقيع صابون) ومداعباتها التي لاتصيب الهدف ، ووقارها ذي الثياب الرثة ، وأجوبتها المنسابة فوق الأسئلة الغرانيتية توصله إلىمدرسة لاثاث الحديد بعد أن تلبسه مريولاً من النار . . . » .

العودة إلى العدم .

«ها هي الساحة الكبرى حيث تهبط الخراف من داخل القطار فوق عكاكيز البهلوان « ترافق هذه المحاولة الجديدة لخلق العالم تجربة ما لبثت أن أثارت اعجاب علماء النفس وهزت تاريخ الأمراض العقلية. هاكم رجلين يتكيفان بدرجات متفاوتة مع مجتمع يعيشان فيه، مجتمع أساسه الاعتراف بوجود حالات طبيعية عند الانسان (لأن هذه الحالات وقف على العدد الأكبر) ويستطيعان، دون أي غش وبقدرة الشعر فقط ، شعرهما ، أن يقلدا الحالات الجنونية ، تخلف عقلي ، عادة مستملكة ، شكل عام ، هلوسة التفسير الكيفي ، تخلف عقلي مبكر ، ثم من جهة أخرى ، يعودان إلى حالتهما العادية من الاتزان الموصوفة بطبيعية .

عن أي شيء يريدان أن يبرهنا ان لم يكن عن عدم وجود هوة بين الانسان الطبيعي والانسان الذي يقال عنه « غير طبيعي » وعن عدم وجود حالات تكون منطلقاً للقول : هذا انسان مجنون وهذا الآخر عاقل وان كل حكم على هذه الحالات تنقصه القاعدة العلمية . وانها قضية زي ورأي (١) ؟ فان استطاعا ، بفضل التجربة ، أن يحققا هذه الحالات بواسطة الآلة الشعرية فهذا يظهر في نفس الوقت قيمة هذه الآلة ومقدرة العقل القادر على ابداع أشياء يعرف أن لا قدرة له عليها في الزمن العادي ، عندما لايكون مهيئاً شعرياً » .

هل يبقى فقط من الحركة هذه الصفحات من **الحبل بلا دنس** التي تشير إلى أن الانسان المتيقظ ، لايستطيع أن ينفصل عن لغز مصيره ولا يتمنى شيئاً آخر سوى اختبار قدرته حتى نهاية المطاف .



(١) – « . . . إذن قد انتهى أمر الطبقات المتعجرفة التي يتسلون بالادخال إليها جميع الذين كان لهم تصفية حساب مع الفكر الانساني ، هذا الفكر بالذات ، الذي ينكر علينا يومياً حق التعبير عن أنفسنا بوسائلنا الغريزية . . . » .

قضية أراغون

« إلي لاأنوي شيئاً : لاعملاً شاملاً من نوع الملهاة الانسانية كما يود الذين يتابعونني كمن يسعى إلى تكوين مجموعة ، ولا مصيراً بطولياً مثالياً كما يريد الذين يلمسونني بأنامل الطبيعيين » . .

أراغون (١٩٤٢)

منذ الآن ، تتابع السريالية مسيرتها على طريقين متوازيين : طريق الثورة السياسة ، وطريق الكشف المستمر عن القوى المجهولة الكامنة في قلب الانسان ، يقودها على التوالي أراغون الذي اشترك مع سادول في المؤتمر الدولي الثاني للكتاب الثوريين في كارخوف ، ودالي الذي يعرض نظريته التأويلية المنتقدة ويطبقها على صنع أشياء تدعى « سريالية » وكان دور بروتون تقريب وجهات النظر والحكم فيها ، بالرغم من أنه بقي هو الوحيد القادر على دمج المحاولتين دمجاً يريده تاماً . فمن هذه الناحية ، يستمر بممارسة سلطته في التحكم بالحركة .

بدأ التمهيد لما سيصبح « قضية أراغون » في العدد الثالث من **«السريالية في خدمة الثورة»** ففي مقال بعنوان «السريالية وصيرورة الثورة» يقدم أراغون ، بعد عودته من كارخوف ، تقريره عن حالة المؤتمر التي يتمنى أن تتبناها المجموعة . وإلى الآن . ولا نعلم شيئاً عن الدور الذي قام به في المؤتمر سوى أنه ذهب بنوايا سريالية على أحسن وجه ، وعاد منه

معتنقاً الشيوعية بعد أن أعرب عن توبته عدة مرات أمام أعضاء المؤتمر. ولم يفكر في الوقت الحاضر بأن يقاطع المجموعة ، بل ظل يصرح بأنه سريالي . ولنقتطف من مقالته العبارات التي يعرب بها عن الاتجاه الذي يود أن تتبناه الحركة في تطورها :

« الاعتراف بمذهب المادية الجدلية كفلسفة ثورية وحيدة ، وعلى المثقفين الذين انطلقوا من معارضة مثالية حتى ولو كانت منطقية — للمشاكل الواقعية للثورة أن يفهموا ويتقبلوا دون تحفظ هذه المادية ... « تلك هي السمات الاساسية لتطور السرياليين . . . » كان يريد أن يعطي لهذا التطور مدىً لم يرد السرياليون قط (بروتون وهو بالذات احياناً) الوصول إليه: « الاعتراف في مجال الممارسة بنشاط الأممية الثالثة بوصفه وحده نشاطاً ثورياً » (١) . ما هي حدود مجال لممارسة هذا ؟ ألا يجد فيها امكانية التمدد إلى ما لانهاية له فأن من شأنها أن تشمل هكذا النشاط السريالي كله ؟ .

يعود أراغون إلى الأزمة التي انتهت برحيل الأصدقاء القدامى ويضيف :

« ان انضمام بعض العناصر إلى المجموعة (شار ، دالي ، بونويل) الذين يمتلكون وسائل تعبير قيّمة لحياة المجموعة ولانتشار تأثيرها عوض أكثر بكثير مما كنا نتوقع عن مقاطعة بعض المتذبذبين والأدباء المتصلبين .

---

(١) — يفرض هذا التطور أكثر من أي وقت مضى حزماً يتضاعف بالحزم الذي توفره قاعدة فلسفية مثل هذه ، على الاعتراف في المجال العملي ، بنشاط المؤتمر العمالي الثالث كأنه النشاط الثوري الوحيد ، ويفرض ضرورة مساندة نشاط الحزب الشيوعي الفرنسي في فرنسا . الفرع الفرنسي لهذا المؤتمر العمالي الثالث ، بشتى الوسائل المختلفة التي يمكن أن تكون وسائل المثقفين المشار إليهم . . . » .

وأسست المجموعة التي دعمها الأعضاء الجدد مجلة S · A · S· D · L ·R معلنة بهذا التعديل لاسم المجلة القديم S . R عن معنى تطورها ، الشامل ذي الطابع اللافردي والمادي » .

ويبين أيضاً أن السريالية برفضها أكثر من أي وقت مضى الاعتراف بالفن كغاية ، تتعرض لتبكيت مكشوف أو سري من قبل البورجوازية : يعرف بروتون « في حياته الخاصة جميع الاضطهادات التي يستطيع الجهاز الشرعي أن يساندها » . وحكم على جورج سادول بالسجن ثلاثة أشهر (وقد رأينا السبب) وحرمت الشرطة ايلوار من حق مغادرة فرنسا . « لن **نستطيع** أنا وكرافيل نشر ما نكتب . . . وقد سحب **الحبل بلا دنس** من الأماكن المعروض فيها » . . . وبعد أن حطم « الأسطورة التي تجعل منا كتاباً **للنفاجين** » يضيف : « فاذا حصرونا (بوسائل قمعية في المجال المالي) بهذا الجمهور الذي لم ننظر إليه قط إلا بازدراء ، فان هذا الحصر بالذات هو شكل متقن من اشكال القمع . . . » .

بالحقيقة ، لم يكن طبع عدد محدود من الكتب الفاخرة موجهاً إلى الذين كان السرياليون يبغون الاقتراب منهم بنوع خاص. وهنا يجب أن نفهم الحذر الذي ينظر به الثوريون السياسيون إلى بروتون وأصدقائه إذ أخذوا يجمعون حول السريالية جماعة أدبية من النفاجين ذوي الألقاب والثروات ونفهم أيضاً العقبة التي كان عليهم أن يتخطوها قبل أن يجدوا جمهورهم الحقيقي .

ويعلن أراغون في معرض كلامه عن السفر إلى موسكو : « من المعروف أني ذهبت إلى روسيا بصحبة جورج سادول في أواخر عام

١٩٣٠ . ذهبنا إلى روسيا بسرور يفوق ذهابنا إلى أي مكان آخر ، سرور أكثر بكثير . . . هذا كل ما أملك من الكلام عن أسباب هذه الرحلة ! » .

من الواضح أنها حجة واهية !

غير أنه كتب من هناك إلى بروتون يقول : « إذا أتيح لي الاشتراك في مؤتمر كارخوف سأدافع عن « النهج السريالي ».وكان عليه بخاصة أن يهاجم مجلة الثقافة البروليتارية **موند** ، منبر باربوس الجديد غير أنه ، ولو فهم الشيوعيون الابهام والغموض فيما يخص النواحي الانسانية والعاطفية في موند ، فانهم لايودون لذلك فقدان باربوس الذي يخططون لاستخدامه فيما بعد (مؤتمر امستردام بلايل ضد الحرب) حتى أنهم انتخبوه في مجلس رئاسة مؤتمر كارخوف : هل سيثور أراغون ؟ أبداً ، بل أعلن موافقته وذهب إلى أبعد من ذلك إذ أرسل وجورج سادول كتاباً أو وقّع على الاقل كتاباً موجهاً إلى اتحاد الكتاب الدولي يتنكر فيه للمثالية ولمذهب فرويد بصفته شكلاً من هذه المثالية ، والتروتسكية. ويعلن أخيراً التزامه « بالنهج العام » . ولكي يقدم الدليل على ولائه ، يؤلف قصيدة « الجبهة الحمراء » التي نشرتها مجلة **أدب الثورةالعالمية** لسان حال اتحاد الكتاب الدولي . ثم عاد إلى باريس .

ومنذ عودته ، شكا من أن التوقيع الذي مهرت به الرسالة الموجهة إلى اتحاد الكتاب الدولي قد ابتزّ منه غير أنه امتنع عن طلب التصحيح. وفي الوقت نفسه ، أكد أن اتفاقه مع بروتون وسائر أعضاء المجموعة هو بالنسبة له « قضية حياة أو موت » واصدر بياناً : **إلي المثقفين الثوريين**

يدافع فيه عن أسلوب التحليل النفسي الذي نقضه بصفته « مثالياً » في كارخوف (١) .

أحدثت « الجبهة الحمراء » ضجة في فرنسا . فهذه قصيدة ثورية ... « حسب النهج » لايدعو فيها أراغون إلى اغتيال قادة الحكم فحسب ، بل الى اغتيال « الانعزاليين (الدببة) العلماء في الديمقراطية الاجتماعية» . واضطربت الحكومة ولاحقت أراغون بسبب التحريض على الاغتيال واوشك ان يتعرض للسجن مدة خمس سنوات. فدافع السرياليون عن رفيقهم ، وبروتون في مقدمتهم ، ووجهوا عريضة جاء فيها :

« نعترض على كل محاولة لتفسير نص شعري لأهداف قضائية ونطالب بالتوقف الفوري عن الملاحقات » .

وخلال بضعة أيام ذيلت العريضة بأكثر من ثلاثمائة توقيع . ولم تتوقف القضية هنا . ولئن بدت الحكومة تتراجع أمام مهزلة الملاحقة — غير أنه بدأت المشادة بين برتوون وبعض المثقفين أمثال رولان وجيد الناطقين بلسان حال تيار واسع يمتد إلى الثوريين ويلوم السرياليين على تهربهم من مسؤولياتهم . ان تحمل مسؤولية الكتابة بالنسبة لرجل ثوري ينم عن موقف أخلاقي يضاهي الموقف الأخلاقي في تحمل مسؤولية أعماله.

(١) — « ان بعض المثقفين الثوريين وبخاصة السرياليين ، توصلوا إلى استعمال أسلوب التحليل النفساني كسلاح ضد البورجوازية . فهذا السلاح الموضوع في أيدي أناس ينتمون إلى المادية التاريخية ويسعون إلى تطبيقها قد يسمح بالهجوم على الأسرة دون شك بالرغم من وسائل الدفاع التي تتفنن البورجوازية باحاطتها بها . قد خدم التحليل النفساني السرياليين في درس الية الوحي واخضاع هذا الوحي لهم ، وساعدهم على التخلي عن كل موقف فردي . قد لانقوى على جعل التحليل النفساني مسؤولا عن التطبيقات التي قامت بها عقول مختلفة تنتمي إليه . . . » .

غير أن السرياليين ، كما رأينا في معرض الكلام عن« دراسة للأسلوب » أعلنوا أنهم لايرون أنفسهم مضطرين إلى أن يجعلوا أعمالهم تتماشى مع أقوالهم ، ولن تقوى هذه الأقوال – وهذا هو مبدأ بروتون– على أن تلزم قائلها . إذا ما وجدت في قصيدة ما هي التعبير الأسمى للفكر غير الموجه . ألا نرى اذن الملامة التي يمكن أن توجه إليهم ؟ انها تكمن في المشاركة في النضال الثوري دون ارادة تحمل أخطاره ، والأختباء خلف ستار «الفن الذي يبرر كل شيء». فعبثاً يقدم بروتون الحجج: فلو تحملت المجموعة بأكملها مسؤولياتها لكانت ظهرت على غير حال .

. ما هي حججه ؟ يناهض اولاً الاتهام لأنه يخلق سابقة شائنة وتطعن في مادة الشعر كجنحة ضد الرأي . كان يكتفي حتماً الآن بملاحقة المقالات النثرية لأنها تعبر عن الفكر المحض والمنطقي . وقد لوحق بودلير بسبب الفسق والفجور اللذين نمت عنهما بعض قصائده ، غير أن القضاء دان المجموعة بكاملها دون أن تتعرض لسخرية عزل بعض العبارات أو الأبيات من النص . فهل يجب أن نعزل من قصائد أراغون عبارات مثل : « لنقتل الشرطة يا رفاق ! » أو « اطلقوا النار على الانعزاليين (الدببة) العلماء في الديمقراطية الاجتماعية ! » لأنهم يرون فيها تحريضاً واعياً ومدبراً على الاغتيال ؟ فالمشكلة أوسع من ذلك .

ويصل بروتون إلى القيمة التي يجب أن نمنحها للقصيدة . فيقول : « لاينبغي ان نحكم على القصيدة من خلال الصور المتتالية التي تحملها ، بل على قدرة تجسيد فكرة ما ، لاتصلح جميع هذه الصور المتحررة من كل حاجة لتسلسل منطقي الا كنقطة استناد لها. فمعنى القصيدة ومغزاها هما **شيء آخر** يختلف عن محصلة كل ما يضعه تحليل العناصر

المعلومة الموظفة في القصيدة والتي تسمح باكتشافها.لاتستطيع هذه العناصر المعلومة وحدها ، أن تحدد القصيدة قيمة وصيرورة .

وبعبارة أخرى ، ان القصيدة هي وحدة نستطيع أن نحكم عليها بهذه الصفة ولكننا لانستطيع أن نفصل عنها بعض الأفكار أو الصور دون أن نفقدها معناها .

وعندما وصل إلى القيمة الخاصة بقصيدة أراغون ، اعترف بروتون بأنه لايحبها . فهو يرى فيها بالحقيقة قصيدة مناسبة لاغير . انه رفض دائماً ، بصفته الشخصية أن يكتب قصائد مناسبات : فهو لايحبها . ويبدو له نوع هذا الشعر رجعياً . ويعلن مستنداً إلى هيغل **وعلم الجمال** عنده :

« عليّ أن أعلن أن **الجبهة الحمراء** لاتفتح على الشعر نافذة جديدة . وأن لمن العبث أن نقدمها لشعراء عصرنا مثالاً يحتذى به للسبب الوجيه انه في ميدان مثل هذا لايمكن لنقطة انطلاق موضوعية ان تكون نقطة وصول موضوعية ، وفي هذه القصيدة ، **وأن العودة إلى الموضوع الخارجي** في هذه القصيدة وبخاصة إلى **الموضوع المثير** تقطع كل علاقة مع الدرس التاريخي الذي يستخلص اليوم من الأشكال الشعرية الأكثر تطوراً . فمنذ قرن ، وفي هذه الأشكال (هيغل) لم يكن الموضوع ذات أهمية تذكر ، حتى أنه لم يعد يطرح سلفاً . . . » .

فلنحذر اذن من أن نتأثر بظروف التاريخ « المثيرة » لأنه . . . « إذا ما وجدت المأساة الاجتماعية ، فلا بد من أن توجد المأساة الشعرية أيضاً مثلها تماماً . »

يرى بروتون أن أراغون قد استسلم لتجربة التعبير عن الاولى فخسر الثانية » .

وأيد أراغون انتفاضة المثقفين لصالح قصيدته حتى انه أيد ما تحتويه الكراسة التي نشرها بروتون دفاعاً عنه (١) ، ولكنه ، بسبب المهاجمات المبطنة التي تخبئها ضد الحزب الشيوعي وسياسته الأدبية يصرح بأن نشرها غير مناسب ويحتفظ بموقفه الشخصي .

كانت الأمور عند هذا الحد عندما نشرت مقالة صغيرة في الأومانيته بينت أن أراغون يتخلى عن كراسة بروتون ولا « يؤيد محتواها بجملته » بسبب التهجمات التي تحتويها ضد الحزب الشيوعي ، لقد طعن أراغون مرة أخرى أصدقاءه في الظهر ، وهذا ما جعل هؤلاء يتساءلون : متى يكون أراغون صادقاً ؟ مع أصدقائه السرياليين أم مع أصدقائه الشيوعيين ؟ وفضلاً عن ذلك ، علم السرياليون من هذه المقالة . بالتأسيس الفعلي لمجلة. A . E . A . R (القسم الفرنسي لمجلة . U . I . R . E) ولم تقبل مساهمتهم فيها . وسبق أن قدموا طلب انتساب ولم يتلقوا اجابة عنه .

بعد أن جمعت هذه الأحداث ، درست المجموعة السريالية الوضع من جميع نواحيه وأعلنت بما أن التطور الصعب على الصعيد المادي الجدلي يحثها ، فهي تفكر بالالتزام به والمشاركة الفعالة في جميع أنواع النضال البروليتاري الثوري : « بما أننا سرياليون لن نرتد عن النشاط السياسي بحجة الشعر » . هل علينا أن نأمل بأن يسكت هذا الاعلان

(١) — تعاسة الشعر (قضية أراغون أمام الرأي العام) .

الصريح ادعاءات الحزب الشيوعي ضدهم ؟ لن يكون لهذه المحاولة نجاح أكثر من سابقاتها .

وهل هناك درس يستخلص من « قضية أراغون » هذه ؟ نستطيع الآن وقد عرفنا الأحداث أن نتساءل عن معناها . لقد انتهت بانفصال أراغون عن المجموعة التي ساهم بتأليفها والتي كان أحد المدافعين المعروفين عنها إلى جانب بروتون وايلوار . فهل يحمل رحيله معنى عاماً بالنسبة للسريالية؟ أم يجب النظر إليه كمجرد ظاهرة خاصة بفرد معين ؟ في المقالات التي تبحث في السريالية – والتي لا تفعل هنا سوى تكرار فكرة اطلقها بروتون – ربما يكون أراغون سلك نفس الطريق التي (سلكها نافيل) باتجاه « الانتهازية السياسية » . فالاثنان ، بالفعل ، قاطعا السريالية لينضما إلى الحزب الشيوعي ، ولكن بطرق وفترات مختلفة جداً . لقد طرح نافيل القضية علناً ، لا مسألة الانضمام دون شرط إلى الحزب الشيوعي مما قد لايكون له سوى مدلول شكلي ، بل مسألة السير على طرق نضال ثوري قد تقود **الحركة كلها** نحو السياسة الماركسية التي كانت تمثلها عندئذ الأممية الثالثة. وفي هذه البرهة بالذات كان أراغون خصمه اللدود الذي وصف النضال السياسي بالعمل « المشين » .

وانفرد أراغون باجتياز الخطوة التي كانت تفصل دائماً السريالية عن النضال السياسي والماركسية . أعني أنه **أنكر** السريالية ليصبح شيوعياً . وبما أن موقفه لم يتوضح خلال عدة شهور فقد رأى السرياليون فيه مناورة تهديد تهدف إلى أن يحملهم على تأييد السياسة الأدبية في الحزب

الشيوعي . ولم يريدوا أن يروا في متطلبات الحزب الشيوعي تجاههم شيئاً آخر سوى : النكران والانخراط في خدمة أدب الدعاية .

ومن ناحية أخرى ، لم يحدث تطور نافيل وأراغون في حقبة زمنية واحدة . لم يفعل سوى السير في التيار الذي يدفع المثقفين التقدميين في جميع أنحاء العالم اكثر فأكثر نحو الاتحاد السوفييتي ، في زمن لم يعد هذا الانضمام يسبب للذين يقومون به أي ازعاج ، بل على العكس . لم يرد السرياليون أن يروا في محاولة أراغون تطوراً بل تراجعاً و « خيانة » ظلوا يلومونه عليها بمرارة خلال سنوات كثيرة .

كان انسحاب أراغون خسارة ملموسة للمجموعة بأكملها . فقدت السريالية معه ، لا أحد مؤسسيها فحسب بل شاعراً ذا مواهب فذة وشهرة واسعة كان قد اسهم بعطائه الشخصي في إعطاء الحركة هذا الوجه الذي عرفناها به .

* * *

٣- دالي والبرانويا- النقديّة

« أثناء الرقص وفي أوج الاثارة ، يعترض فجأة الستار الخلفي ما يقارب الاثنتي عشرة دراجة ، يدور محركها وتهتز على أطراف حبال خصصت لهذا الغرض . بينما تقع من سقف المسرح بعض ماكنات خياطة ومكانس كهربائية وتصل إلى الخشبة حيث تتحطم بينما يسدل الستار ببطء » « سلفادور دالي »

غيّوم تيل : باليه برتغالية

لم يؤد رحيل اراغون إلى أي رحيل جديد . ووجدت المجموعة قوة جديدة في العناصر التي ذكرناها (فقد انتج دالي وبونييل معاً الفيلم السريالي الكبير **العصر الذهبي** الذي أثار بعرضه على الشاشة غضب « الشبيبة الوطنية » (١)) ، فاستمرت في التعبير عن ذاتها في — SASDLR . التي صدر منها عددان عام ١٩٣١ وعدد ان آخران عام ١٩٣٣ . بل أن دالي منح الحركة شباباً جديداً بجعلهاتأخذ بطريقته في التحليل « البرانويا التأويلي — النقدي » .

نعرف ما هي البارانويا أو الذهان التأويلي : فهو يقوم عند الانسان المصاب به بتأويل هذياني ، هذياني للعالم ولنفسه

(١) — الذين خربوا صالة العرض . ولطخوا الشاشة .

(الأنا) التي يعطيها أهمية مفرطة . ولكن ما يميز هذا المرض عن سائر أنواع الهذيان هو المنهجة التامة والمتماسكة والوصول إلى حالة من القدرة الفائقة التي تقود المريض من ناحية أخرى إلى جنون العظمة أو هذيان الاضطهاد . وله بطبيعة الحال صور متعددة متماسكة عند نقطة انطلاقها ، وترافقه هلوسات وتآويل هذيانية لظواهر حقيقية . يتمتع المصاب بهذا المرض بصحة عادية ولا يشكو من أي أضطراب عضوي ، ومع ذلك فهو يعيش ويعمل في عالم غريب . وبالعكس ، فبدلاً من الخضوع لهذا العالم كما يفعل أكثر الناس « الأسوياء » ، يسيطر عليه ويكيفه حسب رغبته . وقد اهتم السرياليون كثيراً بقضية الدكتور لاكان (١) التي ظهرت في هذه الفترة وأتت تضيف إلى موقف دالي تأييداً جدياً .

وقد سبق لدالي أن أعلن ، في « **المرأة المنظورة** » التي يعود تاريخها إلى عام ١٩٣٠ ، عن اقتراب اللحظة التي يصبح ممكناً فيها « تنسيق الغموض والوصول إلى زوال نفوذ شامل لعالم الحقيقة » .

ويضيف « ان البارانويا تستخدم العالم الخارجي ليقنع الآخرين بصحة هاجسه ويحملهم على الاعتراف بميزة هذه الفكرة الواقعية المقلقة . ان حقيقة العالم الخارجي تستخدم لتكون استشهاداً موضحاً وبرهاناً ، وهي في خدمة حقيقة عقلنا » .

ولكن ماذا سيكون « البارانويا النقدي » ؟ انه ، في نظر دالي ، أسلوب تلقائي للمعرفة غير المنطقية « أساسها جعل الأفكار والأحاسيس المتداعية والتآويل الهذيانية ذات موضوعية قابلة للانتقاد والتنسيق » ، أعني ، وهذا تعليق بروتون :

(١) — عن الذهان البارانويي في علاقاته مع الشخصية .

يعني أنه يجب الاعتماد بقوة على هذه الميزة للصيرورة **المستمرة** لكل غرض يجري عليه نشاط البارانويا التأويلي وبعبارة أخرى النشاط ذوق – الغموضي الذي ينبع في الهاجس ، هذه الصيرورة المستمرة تسمح للناقد التأويلي الذي يراقبها أن ينظر حتى إلى صور العالم الخارجي وكأنها متقلبة أو عابرة بل مشبوهة ، والأمر المثير ، انه باستطاعته أن يجعل الآخرين يدققون في حقيقة انطباعه . . . ونجد أنفسنا هنا أمام تأكيد جديد ومع براهين جازمة على **القدرة الكلية للرغبة** التي تبقى فعل الايمان الوحيد الذي اعترفت به السريالية منذ نشأتها . . . » .

أين وكيف يمارس هذا النشاط ؟ في كل مكان ، في القصيدة حيث يجد مرتعاً له ، في الرسم الذي لن يكون سوى « صورة يدوية وملونة للامعقولية المحسوسة وللعالم الخيالي بشكل عام » ، وفي النحت الذي لن يكون سوى » قولبة يدوية للامعقولية المحسوسة . . . الخ . وينطبق هذا النشاط أيضاً على السينما وعلى تاريخ الفن ، « وحتى أن اقتضى الأمر ، على جميع أنواع التفسير » . ان التفسير الهذياني الذي قدمه دالي نفسه لأنجيلوس ميلليه ، وامتداحه « الفن الحديث » (١)هما اشهر من ان تلحّ عليهما .

لنقل فقط ، ان الالية والحلم ذاته ، بالنسبة له ، هما حالتان سلبيتان . تزيد سلبيتهما بمقدار عزلهما عن العالم الخارجي حيث يجب أن تتمتعا بحرية كاملة ، فتصبحان ملجأ « ومجالات هروب مثالية » بينما يكون

---

(١) – ان أجمل ما تحقق منه يوجد في برشلونة . ولكن هناك أيضاً مداخل ميترو باريس ١٩٠٠ وبشكل عام أسلوب ١٩٠٠ حيثما طبق .

الذهان التأويلي نشاطاً منسقاً يهدف إلى تدخل فاضح في العالم وفي رغبات الانسان ، ورغبات جميع الناس . (١) .

وهكذا شقت الطريق لمفهوم « الأشياء السريالية » ما هو الشيء السريالي ؟ . يمكن القول بشكل عام : أنه كل شيء غريب ، أعني خارج عن اطاره العادي ، ومستعمل لأهداف تختلف عن الأهداف التي صنع لأجلها ، أو التي تجهل طريقة استخدامها . ثم أن كل شيء يبدو مصنوعاً تلقائياً — ولا هدف منه سوى إرضاء صانعه ، ثم أيضاً كل شيء مصنع حسب رغبات العقل الباطن والحلم . قد جسدت « **الأشياء الجاهزة** »لمرسيل دوشان هذه الشروط قبل التعريف بها . وما السر الذي تخبئه« **حاملة القوارير** » أو المسننات المتداخلة في «**طاحونة الشوكولاته**» الا تجسيد لرغبات المبدع ، واجابة تزداد قيمتها بمقدار ما اعتدنا أن نتطلب من العمل الفني أن يحمل المشاهد على المشاركة في الرغبات ذاتها ؟ انظر إلى — حاملة القوارير — ، انها لغرض تافه إذا ما اعتبر هكذا ، أضف عليه من تلقاء نفسك قيمة فنية بعزله عن اطاره العادي ، ثم اطلب إلى الجميع أن ينظروا إليه بعقلهم الباطني ، في عزلته ، وأن ينسوا طريقة استعماله ، وهكذا تبدع شيئاً غريباً حافزاً لكمية من الرغبات والنزوات والغرائز .

---

(١) — « يأخذ الذهان طابع المحسوس الذي يستحيل نقضه والذي يجعل منه نقيضاً تاماً للتكريس الآلي (لحركات معينة والكلام ذاته) في نطاق اللا ارادية والحلم . وبدلا من أن يشكل عنصراً مطاوعاً يناسب التأويل ويصلح للتدخل مثل هذه ، فالذهان البارانويي يشكل بحد ذاته نوعاً من التأويل : وعلى وجه التدقيق ، فهذا العنصر الفعال المولود من « الحضور المنظم » الذي يتخطى الاعتبارات العامة السابقة ويتدخل ، مثل مبدأ لهذا التناقض حيث تكمن ، بالنسبة لي ، مأساة السريالية الشعرية . . . » .

ألم يعتبر بيكاسو منذ زمن بعيد قيمة الشيء بحد ذاته ؟ وهل هناك من سبب آخر للأوراق « الملصقة » وقسائم الصحف وأطراف الحيطان والمواد المتنوعة التي وضعها في لوحاته ؟ .

وتقنية « التلصيق » ذاتها التي مارسها ماكس ارنست وجورج هونييه ، كانت تعني من قبل اقتحاماً منتصراً للشيء في أماكن لم يتوقع رؤيته فيها ، وضغطاً على الضمير الذي يضطر إلى أن يتحرك على مستوى علاقات غير متوقعة .

وإذا اعتبرنا أن بامكان كل شيء أن يلعب هذا الدور ، حسب ارادة الذي اختاره فيصبح سلم الاثارات المتسببة عنه متسعاً بنسبة عدد الحاجات التي لاتحصى عداً . يمكن أن يكون هذا نيزكاً و« تزييفاً » لدالي ، وحاجة موجودة تلبي بطريقة فضلى رغبة الباحث بمقدار ما تكون ظروف اكتشاف هذه الحاجة الثمينة غير متوقعة ، أو انها تجسد بحثاً لاشعورياً عن شيء ما . بهذا المعنى كان سوق الارتزاق ينبوعاً متجدداً بكنوزه ينهل منه بروتون وأصدقاؤه . ومن استطاع رؤية الأشياء العديدة التي وجدها هناك ، من جذر اللفّاح إلى المعلقة ذات القاعدة التي تشبه القبقاب ، يستطيع وحده أن يكوّن فكرة عن هذا. لنتابع بروتون وهو يبحث عن الغرائب ، انظر إليه واقفاً أمام شيء :

« ان أول شيء بينها اجتذبنا فعلاً ، ومارس علينا جاذبية الشيء الذي لم نره بعد ، كان نصف قناع من المعدن ، يلفت النظر بقسوته الممزوجة مع مقدرته على التكيف حسب حالة نجهلها نحن . فأول ما خطر ببالنا كانت فكرة خيالية هي وجودنا أمام حفيد متطور جداً لخوذة

قد استسلم لمغازلة ذئب من المخمل . وأثناء تجربته استطعنا أن نقتنع بأن غمامات العينين المثلمة بشفرات أفقية من المادة ذاتها كانت منحنية بطريقة أخرى لتسمح برؤية تامة . . . وان تسطيح الوجه بالذات فوق الأنف الذي كان يزيد بمساحته الانحسار السريع والناعم معاً باتجاه الصدغين . . . » .

ان خواطر بروتون هذه أتت نتيجة عدم رؤيته الشيء الموصوف قبل ذلك وعدم تبينه طريقة استعماله . لم يكن سوى قناع استخدمته الجيوش الفرنسية في بدء حرب ١٩١٤ – ١٩١٨ .

يلفت جويل بوسكيه النظر إلى : أنه عند زوال السر ، يصبح الشيء تافهاً .

غير أنه ، في هذا اليوم بالذات ، كان النحات جياكوميتي يرافق بروتون . وبعد تردد متكرر غريب استحوذ النحات على القناع . وبدا بعدئذ ، دون أن يدري ، أنه كان يبحث عن هذا القناع ليأخذ مكاناً في تمثال لم يضع فيه سوى خطوط الوجه لسبب يجهله . فبهذا المعنى ، يتكلم بروتون عن الدور **الحافز** للاكتشاف :

« يقوم الاكتشاف هنا ، وبكل دقة ، بنفس الوظيفة التي يقوم بها الحلم ، بمعنى أنه يحرر الفرد من الأوهام العاطفية التي تشله ويشدد من عزيمته ، ويجعله يفهم أنه تجاوز العقبة التي كان يظنها **لاتذلل** .

والذين يريدون شرحاً أوفر يجدون في توضيح ظروف اكتشاف ملعقة خشبية تافهة في نفس المكان ونفس النهار في حلم له سابق كان يسعى هو أيضاً ، بشكل غامض ، إلى تحقيقه .

فلسنا بحاجة مطلقاً لاظهار ملاءمة تفسير بزوتون . وليس على أي امرىء إلاّ أن يرجع إلى ذاته ويتأمل الأشياء التي يحب أن تحيط به ، وأن يتساءل عن السبب الذي جعله يمتلك هذا الشيء ، ولماذا تعرض شيء آخر لكسوف من الولع والاهمال ، وان يشرح إذا أمكنه أسباب حالاته العاطفية بالنسبة لها .

فبدلاً من الاستسلام للمصادفة التي لاتظهر دائماً السخاء والكرم ، ألم يكن بالامكان تصنيع « أشياء سريالية » قد تعبر أفضل تعبير عن القوى المجهولة وعن رغبات الحلم وتجسد حالات وأشكالاً لانكاد نلمحها ؟ لقد مهد بروتون لهذا الابداع :

كان يريد أن يضع في التداول أغراضاً رآها الناس في الحلم وكان تصنيعها يحقق تصميماً مدروساً ، حتى في أدق التفاصيل ، خطوة تلو الأخرى (١) . وكثيراً ما وجه اللوم إلى السريالية على مخيلتها المتدفقة والمتقلبة ، بالإضافة إلى اتهامها بالمرض . والحال ، بما ان الصانع يتعلق بالأغراض السريالية ، لم يقم إلا بمحاولة التعبير ، من خلال المادة ، عن شكل حلم به ، وأن يستخرج من الغلاف العقلاني الاكتشاف الذي كان ينشد رؤية النور . هل يكون الأمر اختراعاً ، وارادة — ونية ، وانتباهاً ولباقة ؟ انه بالأحرى ترجمة آلية لنص سبق وقرىء حرفاً حرفاً ، وذلك خضوعاً لأوامر العقل الباطن .

وقد خطا دالي خطوة أخرى في هذا المجال بواسطة « الأغراض ذات التسيير الرمزي » : فقد انطلق من مجسم محفور لجياكوميتي : **ساعة الاثار** الذي نستطيع وصفه على التقريب كأنه مركب من مجسمين :

(١) — أندريه بروتون ، مقدمة لمقال عن قليل من الواقعية (ذكر سابقاً) .

احدهما بشكل حز من البرتقالة مع سطحين علويين يتقاطعان بحرف حاد ، والآخر يشبه كتلة ذات شق في قاعدتها وتتعلق فوق الجسم الاول بواسطة خيط . فهذه الكتلة اذن متحركة، وتتنقل فوق الجسم الأدنى بحيث يكون حرفه على اتصال بالقاعدة المشقوقة للمجسم الثاني . وليس هذا التماس اختراقاً . وكل من رأى هذا المجسم وهو يتحرك شعر بانفعال عنيف لايعبر عنه ، ذي علاقة ، دون شك. مع الرغبات الجنسية غير الواعية . ليس من شبه بين هذا الانفعال والاكتفاء بل أنه يشبه الانزعاج الذي يسببه الشعور بالنقص المثير . ومنذ ذلك الحين فتح الطريق لتصنيع عدد كبير من الأغراض من هذا النوع . وقد صنع دالي منها أكثر من سواه ، وكذلك بروتون ومان راي وأوسكار دومينيغز .

لن نستطيع الاقلال من شأن هذا التقدم في مجال الآلية . فالآلية المكتوبة والملونة والمحفورة (بيكاسو . جياكوميتي) والمصورة (ماي راي) كان لها مكانها أيضاً . فها هي في مجال الحياة العادية : أو بالاحرى ها هي الحياة في خدمة اللاشعور . ألم توضع دائماً في خدمته ؟ ويكفي بهذا الخصوص أن نتأمل الموضة ، النسائية بنوع خاص ، التي تكشف عن بعض الأذواق وبعض الرغبات ، غير أنها كانت هناك بشكل عرضي ، مضطرب وغير كامل . وعندما وعى السرياليون مواهبهم الجديدة ظنوا أنفسهم قادرين — وقدطرحوا في العالم كمية ضخمة من هذه الاشياء— على أن يسخروها كلها لخدمة العقل الباطن ، وأن يخلقوا عالماً عملياً وعادياً يمنح لرغبات الانسان ، وبهذا المعنى ، يجب فهم ما تحدث عنه بروتون من العزم على إضفاء الموضوعية على السريالية .

فالمجال الـــذي يمارس فيه هذا العزم وسيمارســـن يمكن أن يبدو بلا حدود .

ومن جهة ثانية إلا تشبه الحياة الحلم في غالب الاحيان؟ ومن ذا الذي يضع حداً فاصلاً بين هاتين الحالتين ؟ . فأحداها تبدو منتمية إلى عالم صنعناه نحن ، والأخرى إلى عالم مادي في أقصى حد . وإذا لم يكن هذا التمييز إلا ظاهرياً ؟ يبقى عالم أحلامنا واقعياً في لحظة شعورنا به بمقدار واقعية العالم الواعي ، وفي الحياة النهارية ألسنا نعيش أحداثاً « كأنها في الحلم » ؟ من غياب المنطق والحزم ذاته . وكذلك حضور أشخاص لم نبحث عنهم وبلبلة الأعمال التي تفرض علينا وتمليها تشابهات طارئة ومصادفات لم يسبق أن اخترناها . وسبق للسرياليين أن قالوا : « اننا ننتحر مثلما نحلم » . ولكننا » نعيش أيضاً مثلما نحلم » .

هذا ما حاول بروتون اظهاره في « **الأواني المستطرقة** » فبعد ان رسم احدى مراحل حياته لاحظ في الأحلام التي تراءت له في تلك الحقبة والتي فسرها على طريقة التحليل النفساني تغييراً بسيطاً لأحداث حياته اليومية ، وبينما تدور احداث هذه الحياة كما في الحلم حول اهتماماته ، وعواطفه ، ورغباته ، فانها مجرد لقاءات وتوارد أفكار ، وتلاعب كلمات . وتداخلات مضحكة أو مؤثرة لأحداث لم تتم بعد . ان ما يوجهه في الحياة النهارية ، هو ميل يمنح للرغبة ليس أكثر معقولية منه في الحلم . وليس للالتزامات المادية الصرفة ولاشباع حاجاتنا العضوية أهمية تفوق أهمية حاجتنا إلى التنفس أثناء النوم . أهذا ما يهم النائم ؟ ان ما ينبغي شرحه هو : عندما أكون مستيقظاً ، لماذا أجد نفسي هنا أو هناك ، تجذبني عينا امرأة . وأجد لون هاتين العينين بالذات

عند امرأة أخرى ، فاعلق بها **لهذا السبب وحده** ، لماذا أقرر القيام بهذا النشاط الذي لست بحاجة إليه ولا يعني لي شيئاً أكثر من غيره ، لماذا تصل إليّ اليوم رسالة ما من صديق ما ،لا من صديق آخر ، ولماذا يكون لاسمه علاقة بأفكار أخرى هي فضلا عن ذلك غريبة عنه ،الخ . .(١) .

بالحقيقة ، ان الحلم واليقظة اناءان متصلان تتجلى فيهما قوة واحدة : الرغبة . ومما له دلالته أن نلاحظ أن تطلب الرغبة التي تبحث عن غرض تتحقق فيه يستخدم معطيات خارجية بشكل مدهش ويسعى بأنانية ليحتفظ فقط بما يخدم هدفها . وكادت حركة الشارع العادية ان تصبح أكثر ازعاجاً من حفيف الشراشف . ان الرغبة هنا تعبث كما يطيب لها ، وتنساب عبر طيات الوجود بثقة ورقة مثل خيط رفيع بين قطع القماش ولن تخضع لأي منظم موضوعي في المسلك الانساني . . . » .

لنتوقف اذن عن الكلام في المجالات المتغايرة بل المتعاكسة . « الحلم والعمل » هو أيضاً تناقض مخطىء . ويبدو أن المنطق لايرتاح إلا وسط هذه التحاليل ، وهذه الانقسامات ، والمضادات : العادي والجنون ، العقل الباطن والوعي ، الكلمة والأعمال ، خاصتك وخاصتي ، بينما لايوجد في الواقع لتحقيق الرغبة سوى حقول تختلف ولا تتناقض مطلقاً : ويجعل بروتون من هذه الرغبة المحرك الأكبر والموحد الاكبر

---

(١) — « ما هذه الدعوى التي نقيمها على الحياة الحقيقية ، بحجة أن النوم يعطينا فكرة وهمية عن هذه الحياة ، وهما نكتشفه عند اليقظة ، بينما لا يوجه أي انتقاد إلى الحياة الحقيقية أثناء النوم ، لانها تفترض وهما ، وتعتبر وهمية ؟ وبما أن للسكارى رؤية مزدوجة ، ألسنا على صواب في أن نعلن بالنسبة لعين الانسان الزاهد ، ان تكرار شيء ما هو نتيجة سكر « يختلف قليلا » .

ايضاً ، وفي نهاية المطاف : فهي التي تعبر في النهاية أحسن تعبير عن الانسان والتي تؤلف جوهره . ومهما تكن متضايقة ، ومعاكسة ، ومبعدة عن أهدافها ، فانها تتوصل **بالرغم من كل شيء** إلى أن تجد مكاناً لها . ولم تبغ السريالية شيئاً أكثر من رغبتها في اعتاقها من سلاسلها وبهارجها التي تضطر أحياناً إلى التنكر وراءها . ولا يكفي الاعلان عن قوتها الخارقة . بل ينبغي أن نحررها من العقبات التي تحول دون تحقيقها ، العقبات التي يخلقها المجتمع والمتصلة بالمصير الانساني. فالثورة الحقيقية ، في نظر السرياليين ، هي انتصار الرغبة .

قد يكون هذا وهماً أدبياً ، لو لم يكونوا ينوون في نفس الوقت أن يضعوا ثقلهم كله في تحقيق أولى الثورات: الثورة التي تحدد التغيرات في الحياة والعادات والعواطف : الثورة الاجتماعية التي ستهدم الحالة التي لاتطاق حيث يوجدون وحيث توجد غالبية الناس . فنراهم اذن . إلى جانب نشاطهم الخاص . ينظرون إلى عوالم جديدة ومع هذا النشاط اراةد التغلغل تغلغلاً أعمق في الحياة السياسية ، وذلك طوال الأعوام التالية ، فمنذ الآن وابتداء من عام ١٩٣٣ — « توجد » سياسة سريالية ستشعر بالضيق اكثر فأكثر داخل الأطر الشيوعية فتنتهي بكسرها والتخلص منها . هذه السياسة السريالية هي ما نود بحثه الآن .

٣- السياسة السريالية

« قد أعلنا منذ زمن طويل انتماءنا إلى المادية الجدلية التي نعتنق جميع قضاياها »

أندريه بروتون

تميزت السياسة عام ١٩٣١ بثلاثة مناشير ضد **المعرض الاستعماري** ، وبمساهمة نشيطة في معرض الشيوعيين المقاوم للاستعمار . وقد عهد إلى أراغون وايلوار بتزيين بعض المنصات فكانا موفقين جداً في ذلك . وبعد مقاطعة أراغون للمجموعة أصبحت العلاقات مع الحزب الشيوعي الفرنسي أكثر توتراً . ونذكر بنوع خاص التعبئة الكثيفة لمؤتمرات « امستردام — بلايل » التي قادها باربوس ورومان رولان والتي كانت تهدف إلى « تأخير الحرب » . ولم يثق السرياليون بحب السلام الانساني الذي نادى به هذان الرجلان . وادعوا بأنهم كتلاميذ للينين أفضل من الشيوعيين أنفسهم . وأطلقوا شعارهم الشهير : « إذا كنتم تريدون السلام ، فحضروا الحرب الأهلية (١) » .

في هذه الحقبة (نهاية عام ١٩٣٣) فصل بروتون وايلوار وكرافيل من الحزب الشيوعي لأنهم يهاجمون المبادرة الشيوعية الجديدة ولأنهم

(١) — في منشور بعنوان : ليس السلام في التعبئة ضد الحرب وقعه بروتون ، كيواي ، شار كرافيل ، ايلوار ، موزو ، بيريه ، روزي ، تانغي ، وتيربون .

اتهموا بالمساهمة وهم بالفعل مساهمون في مقال لفرديناند ألكيه نشر في S . A . S . D . L . R فهذا المقال يفضح « الريح التي تفسد العقل والتي تهب من الاتحاد السوفياتي وذلك من خلال بعض الأفلام مثال « **طريق الحياة** » حيث تمجد قيم ملتزمة بالتقاليد ، (على سبيل المثال هذا الحب الشهير للعمل ، وحش السرياليين المخيف) ، ووجد كرافيل سطوة لدى الشيوعيين بعد بضعة أشهر بحيث ساهم في كومون لسان حال A . E . A R . وتزايد ابتعاد بروتون وايلوار (هذا الاخير لبضع سنوات) عن الشيوعية الرسمية وتوصلا إلى محاربتها .

وبدأت في الحال أولى أعمالهم الباهرة بصفتهم سياسيين متحررين من تأثير الأممية الثالثة .

وشهد عام ١٩٣٤ ، كما نذكر ، اقتحام الجماهير للشارع والتدمير المؤقت للنظام البرلماني فهذا النظام ، قد قلّ اعتباره بسبب مشاكل ستافيسكي وبرانس ، التي أضيفت إليها فضائح كبرى في داخل الحكم، غير أنه استمر حتّى اعلان الحرب التي وافق عليها. ويبدو أن المعسكرات القائمة تريد أن تتصارع ، منذ الآن وصاعداً ، خارج حلبتها المصطنعة، وجهاً لوجه ودون أقنعة ، وسيكون النظام البرلماني أولى ضحايا الانقلاب الفاشل في السادس من شهر شباط ولئن لم ينجح الفاشيون والرجعية الاجتماعية باسقاط الحكم فعلاً ، فقد بينوا بوضوح أن الحل يوجد خارج البرلمان الذي لم تدافع عنه الجماهير العمالية المحتشدة أثناء الاضراب العام الذي تبع المحاولة . . . كان « السادس من شباط » انذاراً جدياً للثوريين . هل سيتركون قادة الرجعية السياسية والاجتماعية يظهرون وكأنهم القادرون وحدهم على احداث تغيير في النظام مثل ما حدث

في ايطاليا ، وألمانيا ؟ ألا يجب عليهم أن يتمالكوا أنفسهم بتوحيد قواهم أولاً ثم بالتأكيد على الضرورة الفورية في احداث تغيير جذري طالما طالبوا به ؟ .

في غمرة هذه الاضطرابات ، اسمع السرياليون صوتهم. من المفهوم أنهم يساندون الثوريين ومنذ العاشر من شهر شباط وجهوا **تحريضاً على النضال** وطالبوا بأن تتألف سريعاً وحدة عمل تشمل جميع المنظمات العمالية ، وبانشاء مؤسسة « تستطيع أن تجعل منها حقيقة واقعية وسلاحاً » . انه لمن المستبعد بأن يكونوا الموقعين الوحيدين على التحريض (يبدو أن البادرة اتخذت بالقرب منهم) وضموا إليهم عدداً كبيراً من المثقفين الذين تضخمت بهم فيما بعد صفوف « جمعية التيقظ للمثقفين (١) » . وفي الثامن عشر من شهر شباط ، أرسل منشور جديد إلى المنظمات ذاتها ، يدور حول الموضوع ذاته ، ويحتوي على بحث دقيق للوسائل التي تحقق « وحدة عمل البروليتاريا هذه » . وصار السرياليون هذه المرة في غمرة الصراع ،وقد صدق بروتون عندما كان يؤكد بأن السرياليين سينضوون تحت الراية عندما يحين الأوان (٢) ، والتحقوا بعد قليل

(١) — لنذكر منها ، غير أسمز السرياليين ، أسماء ج . ر . بلوش ، فيليسيان شالاي ، لوي شافانس ، ايلي فور ، رامون فرنانديز ، جان جيهينو ، هنري جانسون ، فيرنان ليجير ، أندريه لوهت ، ماكسيميليان لوس ، أندريه مارلو ، مارسيل مارتينه ، بول سينياك الخ . . . .

(٢) — وفي هذه البرهة بالذات ، وجدوا حافزاً في حدث لا يبدو ذا أهمية إذ وجهت الحكومة الفرنسية أمراً إلى ليون تروتسكي بمغادرة البلاد وكان قد طلب اللجوء إليها بعد ابعاده من روسيا ثم مغادرته لتركيا . فثار السرياليون احتجاجاً على هذا الاجراء ، ووضعوا ثقل نخوتهم ليرحبوا ، بنوع خاص،بواضع هذه الصيغة التي تبقى لنا سبباً مستمراً =

« بجمعية التيقظ للمثقفين » بتوقيعهم على بيان الخامس والعشرين من شهر آذار عام ١٩٣٥ الذي يدين كل عودة إلى « الاتحاد المقدس » لأن أمراً هاماً قد حدث أثناء ذلك : هو التوقيع على ميثاق تعاون فرنسي — سوفييتي في حالة الحرب ، تجسّد في سفر بيير لافال إلى موسكو مع ما صاحبه من انضمام الشيوعيين الفرنسيين إلى سياسة بلادهم الخارجية . والظاهر أن « مؤتمر الكتّاب لحماية الثقافة » قد نظم على نفس المستوى من التقارب الفرنسي — السوفييتي . ومثلما سبق للسرياليين أن شهّروا بمؤتمر « امستردام بلايل « الداعي إلى السلام ، طالبوا بأن يشاركوا في هذا المؤتمر الذي ينبغي أن يضم المثقفين التقدميين من جميع البلاد ، وعبروا عن رغبتهم في التصريح بأفكارهم أثناءه . ولفتوا انتباه المنظمين إلى أمرين : الاول : أنهم لا يستطيعون أن يقفوا إلى جانب » حماية الثقافة » دون شرط ولاقيد ، لأن هذه الثقافة ليست سوى الثقافة التي خصت بها البرجوازية نفسها ، ولا يريدون أيضاً أن يحضروا اجتماعاً يشبه عرضاً مسرحياً حيث يكتفي كل فرد بأن يعلن ايمانه المناوىء للفاشية والداعي إلى السلام ، ولا يجب أن نتخلى عن طرح ومناقشة القضايا المتنازع عليها ، وهي ذات أهمية كبرى ، ارضاء لوحدة (في) الكلام . ولم يؤخذ طلبهم بعين الاعتبار وابعدوا عن أعمال الاستعداد لتنظيم المؤتمر ، ولم يشر إليهم على الاعلانات ولا على البرامج كمشاركين في المؤتمر كما أنه سمح لواحد منهم بأن يتكلم باسم الجميع . وألح رونيه كرافيل باصرار على أصدقائه الشيوعيين بأن

= في الحياة والعمل « تعني الاشتراكية قفزة من مملكة الحاجة إلى مملكة الحرية .وأيضاً بهذا المعنى ، ان انسان العصر الحاضر المليء بالتناقضات ودون انسجام سيشق الطريق أمام سلالة جديدة أكثر سعادة » .

(نص المنشور الذي طبع لهذه المناسبة) .

يحترم هذا البند الأخير على الأقل . وقد استطاع ايلوار أن يقرأ أمام المؤتمر نصاً كتبه بروتون ، لسبب يعود إلى انتحار كرافيل في اليوم ذاته على ما يبدو ، ولأسباب لاتزال غامضة (ولكنه بررها بما فيه الكفاية ، كما رأينا) ولم يسمح لبروتون أن يقرأه بنفسه لسبب أحداث وقعت قبل بضعة أيام لعضو من الوفد السوفييتي (١) . وحدثت قراءة ايلوار في الضوضاء لأن ذكرى هذه الأحداث والخوف من أن يعرقل السرياليون سير الاجتماع ، اثارا أعصاب الجمهور . وفي اليوم التالي كتب باربوس في **الاومانيته** . ان « ايلوار أعلن موقفه المناوىء للميثاق الفرنسي — السوفييتي وللتعاون الثقافي بين فرنسا والاتحاد السوفييتي » متعمداً تشويه العبارات التي أدلي بها .

غير أن بروتون لم يقم إلا بتحذير أصدقائه الثوريين من سياسة البورجوازية الفرنسية : فقال : « إذا فرض التقارب الفرنسي ـ السوفييتي فلا يجوز لنا الآن بنوع خاص أن نتنازل اطلاقاً عن فكرنا النقدي : وعلينا أن نراقب عن كثب **شروط** هذا التقارب » ، وبالرغم من أن الحضور كانوا من المثقفين غير أنهم لم يشعروا بهذه الفروق الدقيقة ولم يريدوا أن يروا فيها إلا تهجماً على الاتحاد السوفييتي . وقوبلت اقوال بروتون ببرودة ، حين انتقد مرة أخرى وهو الوفي لتقاليد السريالية مفهوم الوطن الذي يتبناه الشيوعيون ، ورفض السير وراءهم على طريق تفكيرهم الجديد :

« أما نحن فاننا نرفض أن نعكس في الادب كما في الفن التغيير المفاجىء الايديولوجي الذي طرأ على المعسكر الثوري الحالي والذي عبّر

---

(١) — كان ايليا ايرانبورغ قد وصف النشاط السريالي مثل كلوديل ، بأنه « لواط » . ألتقى به صدفة بروتون ، في أحد الشوارع ، ووجه له تأنيباً .

عنه حديثاً بالتخلي عن شعار : « تحويل الحرب الامبريالية إلى حرب أهلية » . . . ولن نعمل على خنق الفكر الألماني . . . ذي الفعالية القوية بالأمس ، وقد يتكون منه الفكر الألماني الثوري المستقبلي . . . » .

لم يقتصر التدخل على اعتبارات سياسية بل امتد إلى الفن . ولنلاحظ منذ الآن هذا التطور في السريالية : إنها تنظر إلى نفسها كحركة ثقافية تتألف من فنانين متضامنين مع الثورة ، وقد أصبحوا « رفاق طريق » لها . تاركين للسياسيين شؤون الادارة . والحال أن بروتون يقول :

« يعيش العمل الفني بمقدار استمراره بابداع الانفعال ومقدار اتساع شمولية الاحساس الذي ينهل منه يوماً بعد يوم غذاء تتفاقم ضرورته . . . » .

وهذا العمل الفني لاتنال منه الاضطرابات الاجتماعية في حدود ما يحقق « توازناً » تاماً بين الخارج (الشكل) والداخل (المضمون الواضح) . ففي هذه الحالة الوحيدة ، يعلن بروتون استعداده « لحماية الثقافة » . ولن يُحتفظ بالأعمال « الكلاسيكية » التي اختارها المجتمع البورجوازي ، بل يحافظ فقط على أعمال نرفال ، وبودلير ، ولوتر يامون وجارّي « المبشرّة » وتوغل في التحليل ، فاراد أن يبين الفرق بين كوربيه مقوض العمود وكوربيه الرسام ، والفرق بين رامبو الذي لم يعرفه الخلف بصفته « شاباً قناصاً في الثورة » ولكن لأنه قبل كل شيء ثوري في الشعر (١) . ومرة أخرى يناوىء بروتون مفهوم فن الدعاية والمناسبة ، لصالح فن يحمل في ذاته قوته الثورية ، لنتاج أناس يشعرون ويفكرون بصفتهم ثوريين .

---

(١) – نادى ماركس « بتغيير العالم » ونادى رامبو « بتغيير الحياة » هذان الأمر ان يشكلان أمراً واحداً بالنسبة لنا . (بروتون) .

ثم حصار المؤتمرين ولم تؤخذ بعين الاعتبار تصريحات بروتون التي نطق بها ايلوار . ولذلك لخص السرياليون في كتيّب (١) توصيات المؤتمر ، فكتبوا في صدد إنشاء « الرابطة الدولية لحماية الثقافة » وبصدد مجلس ادارتها المؤلف من مائة واثني عشر عضواً (يعينهم الشيوعيون خفية) ، يقولون : « لايسعنا إلا أن نعبر صراحة عن عدم ثقتنا بهذا المكتب وبهذه الرابطة . ويصرحون في الوقت ذاته برفضهم « قبول الشعارات الراهنة للشيوعية الدولية دون أن يدققوا بها ، والموافقة على شكليات تطبيقها دون تجربة سابقة » .

وأخيراً ، بعد أن أوردوا أمثلة مختلفة أخذت من الصحافة السوفيتية ، اعربوا عن ريبتهم تجاه نظام الحكم الراهن في روسيا وتجاه زعيمها (٢) .

وهذه المرة ، كانت القطيعة النهائية مع الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي وفرعه الفرنسي . ولكن هذا لا يعد مقاطعة الثورة .

وقدم بروتون الدليل على ذلك بنشره ، في العام ذاته ، « **موقف السريالية السياسي** » يثور في البدء على الدور المحتم الذي اضطر على

(١) — عندما كان السرياليون على حق (آب ١٩٣٥) .

(٢) — « لنكتف بتسجيل ميكانيكية التراجع السريع الذي قضى بأن تسلم الاسرة بعد الوطن من الثورة الروسية المحتضرة .لا يبقى هناك سوى اعادة الدين — ولم لا ؟والملكية الخاصة لكي يقضى على أجمل مكاسب الاشتراكية . ومع احتمال اثارة سخط المتملقين للنظام وزعيمه نتساءل إذا ما كانت هناك حاجة لملف اخر لنحكم على نظام وعلى زعيمه الكلي القدرة من خلال أعمالهما . في هذه الحالة نعني النظام الحالي في روسيا السوفياتية والزعيم الكلي القدرة ، الذي في ظله يتحول هذا النظام ، إلى نفي ما كان يجب أن يكون أو حتى ما كان عليه .

« لهذا النظام ولهذا الزعيم ، لا نستطيع إلا أن نعبر صراحة عن حجب ثقتنا عنهما » .

القيام به ، وفي كل مكان ، هؤلاء الذين قاموا بالثورة في روسيا ثم على موقف المتعجب الذي ينبغي أن يكون في رأي الشيوعيين ، السلوك الوحيد للثوريين الغربيين ، تجاه ما حدث ويحدث في روسيا .

يقول بروتون : انهم يخلقون منطقة حرام حقيقية من جهة ، ومن جهة ثانية ينكرون مقدرة الرفض ، المحرك الحقيقي الوحيد للنشاط الثوري . ولا يريد بروتون اللجوء إلى هذا الموقف الذي يجده رجعياً ، بل على العكس . يتحول عنه ليعود إلى **العمل** الضروري والمباشر (١) ويعلن بتأسيس **الحملة المعاكسة** « اتحاد صراع المثقفين الثوريين » (٢) .

يقاوم المساهمون في هذه الحركة مفاهيم الأمة والوطن ، والرأسمالية « ومؤسساتها التي تحترف السياسة » . ويشهرون بالجبهة الشعبية التي كانت في مرحلة التأسيس والتي يتنبأون بفشلها مسبقاً للسبب الوحيد في أنها تريد الوصول إلى السلطة في اطار المؤسسات البورجوازية . وخارجاً عن هذه السلبيات ، ينادون بأن قضيتهم هي قضية « العمال والفلاحين » دون أن يعترفوا ، تضليلاً ، بأن حياة هؤلاء « هي وحدها جيدة وانسانية حقاً » . والمنظمة مفتوحة لجميع الثوار ، ماركسيين كانوا أم لا ، الذين يعترفون بالفرضيات الأولية التالية :

---

(١) — بعيداً عن الاعتبارات التالية التي أوصلني إليها ذاتها الاهتمام ، الذي هو اهتمامي ، منذ عشرة أعوام في توفيق السريالية ، بصفتها شكلا لابداع أسطورة جماعية ، مع الحركة الأكثر شمولا لتحرير الانسان التي تسعى أولا للتطوير الأساسي لشكل الملكية البورجوازي فمشكلة العمل ، العمل المباشر الذي نقوم به ، تبقى كاملة » .

(٢) — وقع على بيانه ، بتاريخ ٧ تشرين الاول ١٩٣٥ ، ودون علم بروتون وايلوار ، وباستورو وبيريه ، سرياليون قدامى مثل بوافار ، وموالون للسريالية أمثال كلود كاهون ، موريس هاين ، ومثقفون أمثال الممثل روجيه بلين ، وب . ايمير ى الخ . . . وعدو بروتون القديم : جورج باتاي المحرك العمالي للحركة .

« تطور الرأسمالية باتجاه تناقض هدام ، وجعل وسائل الانتاج مشتركة كهدف للسيرورة التاريخية الراهنة ، وصراع الطبقات كعنصر تاريخي ومصدر قيم أخلاقية أساسية » .

وكشف اتخاذ هذه المواقف عن وضوح في التفكير افتقر إليه فيما بعد كثيرون من المساهمين في **الجبهة الشعبية** ، وقد لازمت السرياليين وأصدقاءهم رؤية السهولة التي نجح بها الفاشيون في مختلف البلدان ، بتفكيك القوى الثورية وقهرها واستلام السلطة ، ولذلك نادوا بضرورة التخلي عن النهج التقليدي للاحزاب العمالية وتطبيق « خطة محددة » في مهاجمة الحكم الراهن ، ترتكز على اثبات أن الأنظمة الفاشية استطاعت أن تستعمل الأسلحة السياسية « التي أوجدتها الحركة العمالية» وأنه لا يوجد أي مانع بل – على عكس ذلك – في أن تستعمل الحركات الثورية البروليتارية بدورها الأسلحة التي أوجدتها الأنظمة الفاشية : ولاسيما ، تطلّع الناس الاساسي إلى الاثارة العاطفية والتعصب (١) . وينتج عن ذلك : « ان الثورة ، يجب أن تكون تهجمية كلها دون تحفظ ولا يمكن أن تكون إلاّ تهجمية تماماً . . .

بالرغم من أن برنامج **الحملة المعاكسة** ، لم يأت على ذكر عدد من القضايا التي لاتجد لها حلولاً في صيغ معينة فقط ، فقد كان يعارض تيار الاستسلام الذي كان يبدو أنه يدفع بالجماهير إلى الاستعباد الفاشي .

ان تجربة الجبهة الشعبية التي اجريت ، كما نلاحظ من أقوال مديرها ليون بلوم ، بهدف « تجنب الثورة » لم يكن من شأنها إلاّ تأكيد

---

(١) – « لن تستولي ثورة مسلحة مشوهة على السلطة . فاليوم ، ان ما يقرر المصير الاجتماعي هو ايجاد تشكيلة واسعة من القوى ، تشكيلة منظمة ومتعصبة تستطيع أن تمارس السلطة دون شفقة ، عندما يحين الزمن . . . » .

الموقف السياسي لهؤلاء المثقفين . وستجهض حركتهم فيما بعد لأنهم مثقفون بالضبط ولا جذور لهم في البروليتاريا ولا تربطهم علاقة بقوى التاريخ الحية المتلاشية الآن والتي يبهرها اقتراب نشوب الحرب . وبعد حياة خاملة استمرت بضعة شهور ، انضمت **الحملة المعاكسة إلى** ما سبقها من العديد من برامج أعمال سليمة القصد رصفت بها طريق **التحرر** الثوري .

*　*　*

٤ - نحو «فن سريالي»

« خفيف ويقظ مثل شرطي يصرع عاملاً »

بانجمان بيريه

واكب هذا النشاط السياسي نشاط فني . في هذه الفترة بالذات غادرت السريالية فرنسا ، بالفعل وأخضعت خارج الحدود مجموعات من المثقفين يتزايد عددهم ويتحلقون حول أفكار بروتون النظرية . وعدا المجموعة البلجيكية التي بلغت الآن سن الرشد . والمجموعة التشيكوسلوفاكية التي تأسست عام ١٩٣٣ ، تألفت مجموعة في كل من سويسرا وانكلترا ، واليابان . وتوالت المعارض في هذه البلدان دون أن تشهد دائماً نجاحاً صاعقاً (لندن عام ١٩٣٦) . وأصبح بروتون وكيل الحركة المتجول الذي لايعرف الكلل ، يلقي محاضرات في براغ ، وزوريخ ، وجزر الكناري ويجري مقابلات مع الصحافة الأجنبية حيث يوضح الأمور ، ويحطم الأساطير ، ويعرض الحلول ويثير الهزء أو الحماس . يطالبون به في لندن ، وكوبنهاغن ، وبرشلونة ، ونيويورك ، وبوناسيرس حيث يوجد أشخاص يودون المساهمة في الحركة وغالباً ما ساهموا بها فعــلاً . وفي باريس بالذات افتتحت « دورة منظمة

للمحاضرات عن أحدث مواقف السريالية (١) : وعرضها بروتون بهذه العبارات :

« قد تتنكر السريالية لنفسها لو ادعت أنها قد أعطت حلاً نهائياً لأية مشكلة كانت ، فبتنكرها حتى لصيرورتها ، لصيرورتها وحدها ، نظن أننا نساندها في كل لحظة ونخلق من جديد الثقة التي منحت لنا « يشبه هذا التصريح حرفياً وعلى وجه التقريب التصريح الذي نشر في

---

(١) – لننقل البرنامج الجذاب للمحاضرات الأربع لدورة حزيران هذه (١٩٣٥)

« ١ – لماذا أنا سريالي . لثلاث مجهولين علق بروتون على بعض الصور المرتعشة الوامضة (للوترايامون ، جاري ، بيريه ، بيكاسو ، شيريكو ، دوشان) عرضت صور لمان راي . وقرأ دالي قصيدته : « آكل غالا » وهو يرتدي زياً يتماشى مع الموضوع وقدم أرنست : نصائح صديق .

« ٢ – هل ستختفي السريالية باضمحلال المجتمع البورجوازي قدم بروتون بمحاضرة عن الانقاض : وماليه عرض مظهر شارع سريالي (مع اعلانات ممزقة) تكلم دالي عن النشاط البارانويي متخذاً لغز « البشارة » لميللي ، مثالا لذلك . وضح هذه المحاضرة ثلاثون صورة عرضت ورافقتها ايمائية – مأساوية – بيئية بين شخصية الذكر وشخصية الانثى في « البشارة »

«٣ – عن البداهة الشعرية لايلوار . رافقت هذه المحاضرة ثلاثون صورة ، الامرأة السريالية لآرب . عرض لهونييه ، محاضرة عن الحب لبيريه (مع تقديم الشيء المحبوب) . عن الصدفة الموضوعية كمحور للفكرة السريالية للحياة لبروتون . تلت هذه المحاضرة اعادة تمثيل بعض احداث الصدفة الموضوعية التي حصلت بعد نشر نادجا (اخراج ماكس ارنست) .

٤ – بحث بروتون في الموقف السريالي تجاه الشيء الموضوعي بحد ذاته وما يوازيه وما يتلازم معه من موقف الشيء السريالي . وتكلم هونييه عن السريالية والحياة العادية : الشيء المستعمل (أشياء يمكن أن تصبح صالحة للاستعمال لتانغي) قدم دالي الاشياء السريالية الاخيرة والكائنات ، الأشياء الاخيرة ، وجعلها تعمل أمام الجمهور وشرح الفظاظة الرمزية في طريقة عمل آلاتها . وعرف بروتون بأولى قصائده الموضوعية .

العدد الاول من **الثورة السريالية** . فمن ذا الذي يتهمهم اذن فيما بعد بأنهم تحجروا داخل أحد التقاليد ؟ .

منذ عشرة أعوام ، لم يطرأ تغير على السريالية : كان بروتون يشير في تقديمه لبرنامج المحاضرات هذا إلى « عدم امكانية متابعة نشاطنا على صعيد الاستقلال الذاتي الدقيق الذي نهجنا عليه في الماضي ونجحنا في المحافظة عليه خلال عشر سنوات » أوضح الفكرة : ليس لنا لسان حال ، ينطق باسمنا . هذا صحيح لأن آخر عدد لمجلة S . A . S . D . L . R . يعود إلى تاريخ ١٥ ايار ١٩٣٣ . ولم تخلفه أية مجلة سريالية . غير أن السرياليين يساهمون منذ أمد قصير ، في كراس فني « المينوتور » الواسع الانتشار باشراف سكيرا وادارة تيرياد : وبعد ابعاد المدير نجح السرياليون في أن يجعلوا منه ، مع ذلك ، لسان حال السريالية ، في السنوات الأخيرة لظهوره . كانت الرسوم تشغل القسم الأهم منه وتفسح المجال للرسامين السرياليين العديدين : آرب ، بيللمر ، برونير ، دالي ، ديلفو ، دومينغيز ، ارنست ، جياكوميتي ، ماغريت . ميرو ، بالن ، بانروز ، مان راي ، ريميديوس ، سيليغمان ، تانغي الخ . . . بينما كان كل من بيكاسو ، ماسون ، وشريكو ، ودوشان ، يزخرف الغلاف دورياً .

وهنا أيضاً يؤلف الاستقصاء الوسيلة المفضلة عند السرياليين لاجتذاب الزبائن . وافتتح ايلوار وبروتون استقصاء جديداً : « هل تستطيع أن تقول ما هو اللقاء الرئيسي في حياتك ؟ وإلى أية درجة ، منحك هذا اللقاء ولايزال يمنحك الشعور بشيء عرضي أو شيء ضروري ؟ » وسنشرح الاجابات فيما بعد . ويقدم بروتون الآثار

الشعرية السريالية التي ظهرت أخيراً (١) ، وبنوع خاص أعمال جيزيل براسينوس ، وهي فتاة في عامها الرابع عشر ، كانت تنسق باستمرار وبكل نجاح حسب أساليب الكتابة الآلية الدقيقة ، أكثر الصور سخافة واثارة للحيرة . تعيش « أليس الجديدة » هذه ، في غمرة من السحر ، وقد سنحت الفرصة لبروتون ، لكي يوضح هذا المفهوم الأخير : « الذي يشكل وحده ينبوع الاتصال الابدي بين الناس » ان السحر هو الاستسلام المطلق لشرائع العقل الباطن ، هو موهبة عفوية لايمكن ان تختلط بالبحث عن الغموض المصطنع والزائف والطوعي ، مثلما يظن الرمزيون . السحر مزود بشباب أبدي . بينما أسلمت الرمزية إلى موت النسيان ، الآثار التي تحمل قسطاً وافراً من الغموض . فليس الغموض سوى وسيلة زائفة وتافهة ، بينما يشكل السحر شريعة الحياة بالذات . ونستطيع استخلاص قانون عام من هذا التناقض يلتقي مع الاكتشاف الأساسي الذي قامت به السريالية . فاذا ما كان الشعراء ، منذ بودلير بالفعل ، قد لاحظوا أن للغة حياة مستقلة ، وان الكلمات تتعرض للملايين التنسيقات ، فالذين أرادوا أن يسيطروا على هذه التنسيقات — من كبار المفكرين في مدرسة مالارميه — قد فشلوا اجمالاً ، بينما نرى أن الذين قد استسلموا كلياً للمسخ — لوتريامون ، كروس ، رامبو ، كوربيير ، جارّي ميترلينك — قد تلقوا الأناقة الشعرية لقاء استسلامهم . وبعبارة أخرى ، أن الآلية تحرر قوى العقل الباطن ، مصدر الشعر وحده ، بينما يعمل العقل على ابادتها ويبتعد عن الشعر بصيغه المعقدة .

---

(١) — مينوتور ، العدد السادس (كانون الاول ١٩٣١) .

واستمرت المجموعة السريالية في حماسها للقضايا الشعرية التي لا تقوى على فصلها عن القضايا الثورية . وقد نرى في القضايا الشعرية مهارة غير مجدية وبيزنطية ؟ ولا يعتذر عنها بروتون ، ويلاحظ وجود طلاق اكيد بين الفنان والعامل ، وكلاهما مناضل في الجيش الثوري نفسه، ولا يستطيع بجهوده وحدها أن يمنع وجود هذا الطلاق . ويقول : ان الفنان يستفيد من الثقافة التي قدمتها البورجوازية ويجد نفسه متورطاً ، **شاء أم أبى** ، في مغامرة غامضة مليئة بالسحر والاكتشافات . ويكمن الخطر بكل وضوح في أن هذا الصوت الداخلي يمكن أن يخرس جميع الأصوات الأخرى ويصبح وحده مسموعاً . فكيف يستطيع البروليتاري الذي لم تتحقق له الاستفادة من المغانم الثقافية ذاتها ، أن يفهم هذا الانطواء الذي يرى الفنان مقيداً فيه ؟ وبنوع خاص ، كيف لايتهمه بأنه تخلى عنه في صراعه ، وانه تخلى عن الصراع لأجل هدف أناني ؟ يرى بروتون هذا الطلاق ويأسف له . ويعترف ضمناً بأنه غير قادر على التغلب عليه .

ربما كا تاريخ اجهاض الحركة السريالية يعود إلى هذه اللحظة التي اتخذ فيها بروتون شاء أم أبى ، مكاناً في صفوف **الفنانين** .

لقد انطلقت السريالية بالفعل من محاولة جماعية ، لم يسبق لها مثيل ، في الثورة على الصعيد الفكري . فلكي تقوم بخطواتها الأولى ، اضطرت إلى اهمال هذا الصعيد ، والزج بنفسها في العراك السياسي . وكان الانضمام إلى الثورة السياسية يتطلب أن تستخدم جميع قواها ، ثم التخلي عن الفلسفة الخاصة التي طبعت وجود الحركة منذ نشأتها .

فهل أوشكت السريالية على القبول بانتحارها ؟ وأملت أن تتخلص منـــه بتظاهرة : هـــو الانضمام إلى الحـــزب الشـــيوعي ، غير أن

السرياليين هنا ايضاً ، لم يسهموا في الصراع بصفتهم شيوعيين بل بصفتهم سرياليين إلى حين وجدوا أنفسهم مرغمين على الانفصال ، فأرادوا أن يخفوا على أنفسهم تناقض موقفهم بالدفاع عن مصالح الفكر ومصالح الطبقة العاملة في آن واحد ، فأوجدوا اختصاصاً لهم كان يترك للسياسيين مهمة القيام بالثورة التي لابد مـــن حدوثهـــا . وكانت كل أزمة تبين الاصطدام ، داخل الحركة ، بين القوى السريالية والقوى الشيوعية أو فقدان التوازن بين صعيد الفكر وصعيد الأحداث : فالسريالي ديسنوس لايريد أن يصبح شيوعياً ، الشيوعي أراغون لايستطيع أن يكون سريالياً . فاذا كان الطريقان متوازيين فلا يمكن أن يصبحا واحداً . ولن تستمر السريالية في الحياة إلا بمقدار ما يغذيها بروتون بمتناقضاته عندما يستطيع العمل على الصعيدين . ومن هذه الناحية ، يعبر **البيان الثاني** عن التقدم الشديد على هذين الصعيدين : فعلى الصعيد الفكري ، البحث حتى ممارسة علوم السحر والتنجيم والتمرس بالمذاهب الباطنية . وعلى الصعيد العملي ، الطاعة للموقف النضالي الشيوعي .

منح دالي بعودته إلى الحركة دفقاً من الشباب إذ اعادها إلى مكانها في خطوطها السابقة : إلى الفكر الفائق القوة القادر بفضل هذيانه أن يكيف عالم الأحداث الشديد في ماديته . فقد توصل السرياليون إلى الظن بأن المشكلة قد حلت منذ شعورهم بقدرة التأثير في الأشياء وتكيفها حسب رغبات يجهلونها هم أنفسهم . فكيف استطاعوا أن يحملوا عالما بأكمله على مشاركتهم هذيانهم ؟ انهم لايستطيعون أن يمارسوا أي تأثير على هذا العالم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي . واكثر ما كانوا يستطيعون هو التأثير في طبقة ضئيلة من المثقفين . وما السبيل لهذه الغاية سوى

الفن ؟ الفن الذي تخطاه الزمن ، دون شك ، وتنكر له ، إذ لاشبه بينه وبين ما كان يصاغ قبلهم ، ولكنهم أحسوا بحدوده تماماً . وكان هذا سقوطاً جديداً في الفردية (مهما كثرت) التي حاولوا التخلص منها بجهد كبير . وشعر بروتون بذلك شعوراً مبهماً. وانضمامه إلى صفوف الفنانين حوّل ، السريالية بأكملها إلى حركة فنية ثورية كبرى ، تؤثر في الحياة بنفس التأثير المحدود الذي يمارسه الفن عليها . ولم يستطع أن يؤدي الرسالة الأساسية التي أخذها على عاتقه : « التدمير الجذري لعالم بأكمله » .

ولذلك شهدنا ومنذ هذه اللحظة أيضاً ، تجليات فنية وسياسية صرفة تشبه ازدهار الحركة وكأنها باقة من الألعاب النارية سرعان ما تذوي لعدم وجود البارود . فبسرعة كلية انتمى إلى الفن أو الثورة السرياليون القدامى ، المبعدون منهم أوالمهاجرون . ولم يكن منهم سوى أنهم سبقوا الحركة كلها فلم تلبث أن تفجرت بأكملها ضمن هذين الاتجاهين ناسفة نقطة الاتصال بين القوى المتناقضة . يكمن فضل بروتون في أنه حافظ على وحدة لحمة الحركة عبر تاريخها كله ، وعلى الصعيد السياسي ، ظل السرياليون دوماً في ساحة المعركة . وساندوا الذين لم يستسلموا بعد (وكانوا لايزالون بضعة أفراد في عام ١٩٣٧ ـــ ١٩٣٨) . يا للأسف ! انه عالم كامل ينهار . فقد ذهب بانجمان بيريه إلى اسبانيا لينضم إلى المتطوعين القادمين من عشر دول توحدهم أعظم انتفاضة ثورية ، ويؤنب ايلوار في احدى أجمل قصائده ، جزاري غرنيكا ، ويدعو بروتون إلى نجدة الثورة الروسية المهددة بالخطر . ولكن كانت صرخة في واد ! . لأن الأحداث العمياء أقوى من الأشخاص ذوي الرؤية الواضحة . . . .

ويناضلون أيضاً على الصعيد الفني : يفاخرون بالحقائق التي فازوا بها . ويقدم ايلوار في اطار معرض عام ١٩٣٧ (١) ، محاضرة عن « مستقبل الشعر » حيث يرسل أقواله المأثورة الشهيرة :

« يقولون ان الانطلاق من الكلمات وعلاقاتها لدراسة العالم بطريقة علمية ليس حقاً لنا بل هو واجب علينا . لكن ينبغي أن يضاف إلى ذلك ان هذا الواجب هو واجب الحياة ذاته لا على طريقة الذين يحملون موتهم في داخلهم والذين أصبحوا جدراناً أو فراغاً ، بل بالاتحاد مع الكون ، مع الكون في حركته وصيرورته .

« ولن يصبح الشعر لحماً ودماً إلا في اللحظة التي يصبح فيها مشاركة . وهذه المشاركة تابعة كلياً للمساواة في السعادة بين الناس. والمساواة في السعادة تسمو بها إلى علو لا نستطيع أن نكون عنه الا أفكاراً ضئيلة حتى الآن .

« هذه السعادة ليست بمستحيلة » .

وفي اطار المعرض دائماً ، يتحدث بروتون في مسرح الشانزيليزيه عن السخرية السوداء انه يرى نبعها المتدفق عند جاك فاشيه الذي يضفي على هذه السخرية طابعاً « مسارياً وعقائدياً » . ونشر في العام ذاته « **الحب المجنون** » حيث تنتظم قيمة سريالية ليست جديدة : **الصدفة الموضوعية** .

(١) – وفي اطار المعرض دائماً : يتلو ميشيل ألفا ، مارسيل هيران ، جان مرشا . ج . ل . بارولا ، سيلفان ابتكين ، وبول ايلوار ، قصائد لبوديل ، بودلير ، نرفال ، لوترابامون ، رامبو ، نوفو ، كروس ، جاري ، ميترلينك ، سان بول روكس ، ابولينير ، ريفيردي ، جوف ، بروتون ، تزازا ، ايلوار ، ميشو ، بيريه ، شار ، بيكاسو ، وهكذا ضموا في عناق واحد جميع الذين لم ييأسوا من الانسان ومصيره .

وكان منذ **نادجا والأواني المستطرقة** ، قد اندفع بذكر كمية من الاحداث الخارجية : لقاءات ، صدف أحداث غير متوقعة ، تزامن أحداث ، لاتخضع لمجموعة علاقة منطقية ، ولكنها تحمل الحل لصراعات داخلية ، وتجسد رغبات لاشعورية أو واعية ، وسبق أن بيّن أن الحياة والحلم اناءان متصلان تتماثل فيها الأحداث ولا نستطيع أن نثبت ، بالنسبة للشخص ذاته ، أن أحداث الحياة أصدق من أحداث الحلم . ويذهب هذه المرة أبعد من ذلك ، فيزيل جميع الحدود بين الأمر الموضوعي والشخصي ، إذ يوجد ، حسب قوله ، تواصل مستمر وفي جميع اللحظات بين العالم والانسان . وتوجد ، بنوع خاص استمرارية في احداث العالم يمكن رؤيتها مسبقاً وتبقى وجهات التواصل بينها غير منظورة التحليل الذاتي يسمح بكشفها . ويقدم بروتون توضيحاً شخصياً عنها في **ليلة دوّار الشمس** .

ويعود إلى عام ١٩٢٣ حين كتب قصيدة ذات قيمة شعرية ضئيلة ، كما يعترف هو نفسه ، وقد نسيها تماماً نتيجة لذلك ، وبعد أحد عشر عاماً . يجد نفسه في صراع مع أحداث تتبع حرفياً نهج القصيدة . فالمرأة التي التقاهاهي ذاتها التي سبق له أن وصفها في قصيدته دون أن يتعرف إليها ، والأماكن التي ارتادها كلاهما هي نفسها التي وصفها من قبل ، كما أن الاثارات والمشاعر وحتى « لون الزمن » قد توقعها فرسمها بأدق تفاصيلها ، والابلغ من هذا ، ان لوجود بعض الهفوات علاقة مع اللمسات الارادية اذن السيئة التي قام بها الشاعر بعدئذ .

فهل بوسعنا أن نفسر الأحداث بشكل مختلف ؟ وهل يكون الشاعر عرضة لوهم يشبه الانطباع الذي يحدثه شيء سبقت رؤيته ؟ انه لمن

الصعب أن نفكر هكذا عندما نقارن بين قصيدة مكتوبة ومنشورة والتي استطاع الجميع قراءتها ، وبين أحداث لا نظن أن الشاعر استطاع أن ينسقها . ويقدم بروتون حله : هذا لتثبيت الوقائع بواسطة أحداث وهمية يتعلق « بقاسم مشترك ، مقره في فكر الانسان ، وليس هو سوى رغبته » . وكما أن الرغبة تدأب على البحث في الحياة الواعية عن الاجابة على أسئلة الحلم والعكس بالعكس فانه يبدو أن هذه الرغبة بالذات تبحث عن الأحداث التي تبررها : فلا تكون المصادفة إلا « التقاء سببية خارجية ما مع قصدية داخلية كشكل من التعبير عن ضرورة خارجية تشق طريقها في اللاشعور الإنساني » . قد نستطيع القول بطريقة فظة : ان الانسان يختار طبعاً في متاهة احداث حياته ، الأحداث التي تناسبه ، والتي تناسب « اناه » ، العميقة ، بما في ذلك المصائب والأمراض والكوارث الفردية .

قد يقال : ان هذا استهتار بالظروف الاجتماعية التي تفرض قيودها على تغيرات حياتنا أكثر من جميع الظروف ، وبهذا المعنى ، وجهت الملامة إلى بروتون لأنه لم يوصد الباب تماماً في وجه « الصوفية ». لكن بروتون يتكلم عن انسان محرر إلى درجة كافية من الظروف الاجتماعية (ولكن هل يوجد انسان مثل هـذا ؟) ليطيع لنزواته فقط ولا يتقبل الأوامر إلا من عقله الباطن . لكن من المستبعد وجود شخص كهذا . فهنالك على الأقل ظروف في الحياة يمكن ان تنفذ فيها هذه الشروط النادرة وان نسلك « فيها سلوكاً غنائياً » ونتخلص إلى درجة ما ، من الضروريات الاجتماعية القاسرة ، يتلاشى فيها العقل والمنطق واللياقات الاجتماعية لصالح غير المألوف ، والمفاجأة و « الحب من أول نظرة » : هذه الشروط

تتحقق في الحب : حب الغرام ، والحب الفريد ، والحب المجنون ، تسميات ثلاث لحالة واحدة ، حالة نعمة توحد بين المستحيل والممكن ، « بين الحاجة الطبيعية والحاجة الانسانية أو المنطقية » .

ففي البحث عن هذا الهوى تتجلى على أحسن وجه هذه المصادفة الموضوعية التي تخضع الاحداث للرغبة ذات القوة المطلقة (لأن الهوى يميل إلى التخلص من القيود الاجتماعية) . وقد سبق للسرياليين أن سألوا : « ما هو اللقاء الرئيسي في حياتك ؟ » ان ماكانوا يريدون رؤيته بوضوح في الاجابات هو جانب المصادفة والعرضي والحدثي الذي يقرر عند أغلبية الناس الحياة التي يعيشونها ثم « بأية طريقة حصل بعدئذ توحيد هذه المعطيات » . وهكذا يستطيعون أن يظهروا أن اجتماع الظروف « غير المتوقعة ، حتى غير الواقعية أكثر الأحيان ، « ليس معقداً تعقيداً مطلقاً » . فعلاقات التبعية التي تجمع بين المجموعتين السببيتين (الطبيعية والانسانية) ، هي علاقات دقيقة ومتبدلة ومثيرة للقلق ، تضيء أحياناً بأضواء ساطعة خطوات الانسان المتعثرة .

في الحب المجنون ، تلازم الكاتب ارادة البحث عن الواقع والتعمق فيه ، ارادة اتخذها السرياليون هدفاً لهم . ومن جهة أخرى ، ان « الحب المجنون » هو أحد أعمال بروتون الذي تجلت فيه بكل بهائها مجموعة « ألوان السحر » السريالي كاملة .

* * *

٥ - عودة إلى الحرب

« نحن الذين نضع حقوق الفنان فوق المصالح القبلية التي ينسقها آخرون ، وبمنتهى اللباقة ، مع نشاطاتهم المهنية ، لانظن أنه من التهور أن نؤكد بأنه يجب على الوسائل التي نستخدمها للتعبير ، ان تبقى بعيدة في جميع الظروف عن مصادرة الأدمغة » .

موريس هاين . كليه . العدد ١ كانون الثاني ١٩٣٩ .

تبدو السريالية في عام ١٩٣٨ مستعجلة في تقديم ملفها على الصعيدين الفني والسياسي معاً . فأقامت أولاً في مطلع العام « المعرض السريالي العالمي » ، الذي ضم في غاليري الفنون الجميلة ، أعمال سبعين فناناً يمثلون أربعة عشر بلداً (١) ، عرضت أمام أعين وايدي جمهور غفير في اطار مناسب لهذا الغرض لوحات ، ونحت ، وأشياء (سريالية » وكتب ، ورسوم ، وحفر ، وصور فوتوغرافية وتماثيل . ألم يكن البرنامج يعلن : « السقف مجهز بألف ومائتي كيس من الفحم ، وحاملات « مسدس » وقناديل مازدا ، واصداء ، وروائح من البرازيل والباقي كذلك » ؟ كان النجاح هائلاً : فقد زار المعرض ، خلال شهرين ، جمهور فضولي ، وساخر ولكنه قلق ومضطرب أكثر الأحيان ، أتى

(١) – المانيا ، انكلترا ، النمسا ، بلجيكا ، الدانمارك ، اسبانيا ، الولايات المتحدة ، فرنسا ، ايطاليا ، رومانيا ، السويد ، سويسرا ، تشيكوسلوفاكيا ، اليابان .

ليتعرف على الانتاج السريالي . وأكثر من أي وقت مضى ، ظهرت السريالية تحدياً في الجو الذي أخذت قرقعة الأسلحة تملأ جوانبه . انه تحد « لباريس ، وفرنسا والذوق الفرنسي ، والفن الفرنسي ، والفن لاأكثر . » فتفجر غضب النقاد مرة أخرى . وصرخوا في وجه الفضيحة إذ كانت هناك فضيحة بالفعل صممت لها السريالية وارادتها ونظمتها باهتمام ، فضيحة تشير في الوقت ذاته إلى الانتصار الذي أحرزته السريالية على الصعيد الفني .

وعلى الصعيد السياسي ، أخذت السريالية على عاتقها أن تجمع المثقفين من الثائرين المتمردين على كل تعبئة عسكرية . ففي المكسيك حيث ذهب بروتون في ذلك العام ، التقى بالرسام المكسيكي دياغو ريفيرا وليون تروتسكي المنفي . كما التقى باشخاص مطلعين على نشاطه ومؤيدين له . واكتشف ، بنوع خاص ، عند ليون تروتسكي ، عقلاً منفتحاً ومتفهماً يعتقد بأنه يجب على الفن في عام ١٩٣٨ ، إذا ما أراد أن يحافظ على طابعه الثوري ، أن يستقل عن جميع أشكال الحكم ويرفض جميع التوجيهات ، ويعمل ضمن خطه وصيرورته الذاتية . وتكفي هذهالشروط ليصبح هو أيضاً سلاحاً في خدمة التحرر البروليتاري : ويرى تروتسكي : أن « الصراع لأجل الحقيقة الفنية « بمعنى » اخلاص الفنان الذي لايتزعزع ، لذاته الباطنية « هو الشعار الحقيقي الوحيد للفنان .ولم يقل بروتون ، في السنوات الأخيرة سوى ذلك . وسحر بوحدة وجهات النظر هذه ، وتشاور مع كثير من فناني العالمين ليؤسس« اتحاد الفن الثوري المستقل » (F . I . A . R . I .) وأصدر بياناً بالاتفاق مع ريفيرا : لأجل فن **ثوري مستقل** (١) يدعو فيه الفنانين الثائرين في جميع البلدان إلى الاتحاد حسب المبادىء التي سبق أن أشرنا إليها .

(١) — حرر القسم الأكبر منه تروتسكي ، ولم يقم ريفيرا إلا بمنح اسمه في هذه العملية .

وعند عودته إلى باريس ، نشر أخبار رحلته في المينوتو ، وهاجم « النزعة القومية في الفن (١) » . واكبّ على إنشاء فرع فرنسي لاتحاد الفن الثوري المستقل . وبسرعة شكلت لجنة وطنية (٢) ، تمثل في نوع من الجبهة الموحدة ، الاتجاهات المختلفة في الفن الثوري في فرنسا . فتوافد المشتركون وأسست نشرة شهرية : **كلي** .

صدر العدد الأول من كلي بعد ميونيخ ، يحمل صدى الاحداث التي تعاقبت بسرعة وفي افتتاحية وقعتها اللجنة الوطنية تحت عنوان « لا وجود للوطن » دافعت **كلي** « عن الفنانين الاجانب المقيمين في فرنسا والذين أصبحوا فجأة غير مرغوب فيهم :

« ليس للفن وطن اكثر مما للعمال . فالدعوة اليوم إلى عودة إلى « فن فرنسي » أسوة ليس فقط بالفاشيين بل بأتباع ستالين ، هي عقبة أمام المحافظة على هذا الرباط الوثيق الضروري للفن ، انها العمل على انشقاق الشعوب وعدم تفهمها لبعضها البعض ، وهي القيام بعمل انحطاط تاريخي مهد له . »

وفي العدد الثاني ، الذي زينه ماسون ، يؤكد تروتسكي في رسالة إلى بروتون : « ان خلق انتفاضة انفعالية وعودة إلى الهمجية خلقاً مستقلاً حقاً عن عصرنا هو بالفعل ثوري بروحه لأنه لم يعد يقوى على البحث عن مخرج من جو اجتماعي خانق لايطاق . ولكن الفن ، في مجمله ،

---

(١) — مقال في مينو تور ، عدد ١٢ — ١٣ .

(٢) — تتألف من ايف أكليري ، أندريه بروتون ، ميشيل كولينه ، جان جيونو ، موريس هين ، بيير نافيل ، مارسيل مارتينه ، أندريه ماسون ، هنري بولاي جيرار روزنتال ، موريس دولا نس .

وكل فنان بنوع خاص يبحثان عن هذا المخرج بوسائلهما الخاصة دون أن ينتظرا أمراً من الخارج ودون أن يتحملاه ، بل يرفضه وبالهزء من جميع الذين يخضعون له . . . » .

كان هذا العدد الأخير من « كلي » ولم يكن الوقت مناسباً للفن وبخاصة للفن المستقل . زد على ذلك ان الخلافات الداخلية في المجموعة السريالية (ابعاد جورج هونييه بسبب صداقته مع ايلوار الذي قاطع المجموعة ليقترب من الشيوعيين) قد انتقلت ، لسوء الحظ ، إلى داخل الـ F · I · A · R · I · ومن جهة أخرى ، اكتشف « البروليتاريون » كمرسيل مارتينه وهنري بولاي ، نفوذاً بالغاً للسرياليين على التنظيم . فتصلبوا في مواقفهم بدلاً من أن يسعوا إلى موازنة هذا النفوذ بعطاء معادل. لكن « اتحاد الفن الثوري المستقل » الذي أظهر محاولة مثيرة لتجمع الفنانين المستقلين على الصعيد الثوري ، أخذ بالانهيار حتى قبل أن يبدأ مهمته .

ثم حصلت التعبئة .

ماذا سيفعل السرياليون ؟ « لن نرتدي أبداً المعطف العسكري اللعين ذي اللون الأزرق السماوي هذا ما سبق أن قالوا عام ١٩٢٥ . إلا أنهم كانوا قد تخطوا هذا الموقف الفوضوي منذ زمن . وعاد المستنفرون بروتون وايلوار وبيريه الخ . . . إلى حمل السلاح مرة أخرى غير ان موقفهم لا يوحي بأي التباس .

غير أن هناك آخرين لم يريدوا المشاركة في المذبحة، فانسلوا إلى الخارج قبل الثالث من ايلول عام ١٩٣٩ مثل دالي ، كالاس وتانغي ، أما بيريه

الذي كان مراقباً منذ عودته من اسبانيا فقذ زج في السجن بسبب نشاطه الثوري بعد بضعة أشهر من الاستنفار، لكنه هرب من السجن بمناسبة النزوح، وأصبح السريالي الوحيد المرموق في باريس عام ١٩٤٠ — ١٩٤١، قبل أن يغادر فرنسا إلى المكسيك. وفي غضون ذلك غادر ماسون وبروتون فرنسا إلى نيويورك لينضما إلى أصدقائهما ومعهما هاجرت الحركة إلى العالم الجديد حيث اتسع انتشارها بدرجة لم تعرفها في أوروبا. وجذب بروتون منتمين جدداً إلى الحركة، واتخذ لسان حاله مجلة VVV ثم نشر **تمهيداً مطولاً لبيان ثالث للسريالية أم لا**. بينما حاول في فرنسا، بعض الشعراء الشباب الذين تجمعوا حول ج. ف شابرون ونويل ارتو أن يعيدوا الحياة إلى المجموعة ولكن دون جدوى. لم يستطيعوا سوى السير على خطوات الأوائل بكل دقة. ان تجربة من هذا النوع لاتتكرر.

لقد أعطت ثماراً استطاع الجميع أن يتذوقها فيما بعد، فقد أنشأت رجالاً يحتلون مكاناً مرموقاً بين كبار فناني هذا العصر، كما كان لها تأثيرها على فنانين آخرين لم يحققوا ذواتهم لولاها. واوجدت السريالية لنفسها رغماً عنها، مكانة في حركة العصر الفنية. فهي تمثل العصر على الصعيد الفني أكثر من أية حركة فكرية أخرى. ولن نشك بأنها وبهذه الصفة بالذات، تكون حلقة في سلسلة الحركات الفنية الفرنسية.

بروتون في الولايات المتحدة

في مرسيليا ، حيث كان بروتون ينتظر الاقلاع إلى الولايات المتحدة ، ضـم إليه عـدداً من الشخصيات المختلفة الآراء. واستمر النشاط السريالي خلال بضعة شهور رغم الظروف الغير المؤاتية بتاتاً . ثم غادر بروتون فرنسا بحراً ووصل إلى فورد وفرانس، حيث اكتشف ايميه سيزار، الشاعر السريالي الأصيل ، أو بالأحرى التقى به ثانية إذ سبق أن التقاه في باريس ، وفي الولايات المتحدة، أنهى علاقته بسلفادور دالي (الذي كان يلقبه بطرافة أفيدا دولار) والذي أصبح من أنصار فرانكو والحقيقة أن دالي كان ، منذ زمن بعيد، يميل إلى الفاشية وكانت المجموعة قد ، طلبت إليه في عام ١٩٣٤ بعض التفسيرات لمحاولته الغريبة في جعل هتلر مجدداً سريالياً (١) وفي عام ١٩٣٩ ، أخذ يساند نظرية غامضة في تفوق العرق اللاتيني ، نظرية لم يكن من الصعب ان نرى فيها نقلاً اسبانياً لأفكار تنتمي إلى الشمال (شمالي أوروبا) . وقد تعاون دالي في الولايات المتحدة ، مع ماكس اخوان ، وأخذ يجود بنصائحه على الخياطين المشهورين في نيويورك وبأسلوب تهكمي ، ويتاجر بفنه بوقاحة ، لصالح مشاريع دعائية . وبعد أن عانق فرانكو لم يبق له إلا أن يقع بين ذراعي البابا .

---

(١) – وثيقة أعطاها جورج هونييه .

أما بروتون فكان يتأقلم بصعوبة . ويتكلم لصالح « فرنسا الحرة » عبر الاذاعة التي لم يلبث أن أصبح أحد المذيعين فيها . وفي محاضرة لطلاب جامعة يال (١) الفرنسيين « عرض موقف السريالية في حقبة ما بين الحربين » وبعد أن وصم بالعار بيتان وهتلر وموسوليني الذين يمثلون الخاتمة المنطقية لموقف مرضي كان يتطلب أنواع علاج تختلف عن حرب عالمية تنشب كل عشرين عاماً ، طلب إلى الشباب الذين يصغون إليه ، بأن لا يؤخذوا بما تلتزم به الصحافة ، وان يحافظوا على فكر لا يكون « ضحية العدوى » . وفيما يتعلق بالسريالية . اشار إلى انها « الحركة الوحيدة المنظمة التي استطاعت أن تغطي المسافة التي تفصل« بين الحربين » . وجعلها تزدهر في « **قصر أرغول** » لجوليان غراك ، حيث « تراجع السريالية نفسها بكل حرية ، وللمرة الأولى دون شك ، لتجابه تجارب الماضي العظيمة الحساسة ، وتقدّر من منطلق الانفعال كما من منطلق الروية إلى أي مدى اتسع فوزها ، » ثم ينكر بروتون ان تكون السريالية قد ماتت . ولن تموت السريالية ، في نظره ، إلا إذا ولدت « حركة تدعو إلى تحرر أكثر » قد ينتمي هو نفسه إليها دون شك . وفي حال عدم وجود هذه الحركة ، يضطر إلى أن يلاحظ أن السريالية لانزال في « الطليعة » وعبر عن تأثير الحرب الاولى في« الحياة السيكولوجية والاخلاقية » وعن التخوف السريع من الثانية » إنه يقف في صف الشبيبة قبل كل شيء ، يقف مع آمالها وحماسها ، واستهزائها الرائع بالنتائج « : إنها تتمتع بفضيلة جوهرية صفتها أن تغطي بعض حالات ضمير غير كافية التي سببت عودة (أفواج من الشباب) إلى جنون الحديد والنار » . « لقد ولدت السريالية من ايمان راسخ بعبقرية الشباب » .

---

(١) — العاشر من كانون الاول ١٩٤٢ .

ويسرد بروتون تاريخ السريالية ونرى أنه يكن لابولينير اعجاباً متزايداً ، لأنه . « كان اقرب بكثير من أي شخص آخر . إلى الاعتقاد بأن اصلاح العالم لايكتفي باقامة ركائزه على أسس اجتماعية أكثر عدالة بل ينبغي الوصول إلى جوهر الكلمة «وأن ينسى جاك فاشيه . ويحيي أيضاً فرويد ويقدر تعليمه الذي سيبقى صالحاً لأنه بدلاً من أن يضيف قيداً على قيود اخرى ، يتيح للإنسان أن ينعم بالحرية . ملكيته الجوهرية . فعلى الحرية شيدت السريالية ولأجل تمجيدها عملت . ويلقي بروتون الأضواء على الانشقاقات والاختلافات التي نسجت تاريخ الحركة فيرى أن السبب يعود إلى أن الذين هاجمتهم أو الذين غادروها : « لم يستحقوا الحرية » : بينهم من عاد إلى الاشكال الثابتة في الشعر ، ومن تخلى عن التعبير (عن آرائه) بطريقة شخصية ، أعني خارج أطر أحد الاحزاب أو الذي تعرض لاحدى الشبهات مع « أي كان » . « ان الحرية مبتغاة بجنون وفي الوقت ذاته واهية جداً وهذا ما يمنحها الحق في أن تكون غيورة » . ثم يعلن بروتون أنه ينبغي ، حال انتهاء الحرب ، أن نعيد النظر في الاقتراحات السريالية إذا ما أردنا أن نقدم حلاً« لنموقف البائس للانسان المتخبط في قلب القرن العشرين » . ولكنه لايريد لهذه الاقتراحات أن تربك هؤلاء الشباب الذين « يستعدون للانطلاق » . « اني أعرف أنه باقتراب سن العشرين ، مهما يكن طموح المعرفة ورغبة العمل، فمن الممكن أن تستسلم جميعها لنظرة امرأة تستقطب وحدها جاذبية العالم بأكمله » .

بعد هذه التأملات في ماضي الحركة واستذكار مبادئها ، يصور حالة تفكيره في اللحظة الحاضرة خلال **التمهيد المطول لبيان سريالي ثالث أم لا** . انه لعنوان متواضع : وما يحمله بروتون بين سطوره يبتعد

عن الاكتشافات المحدثة في البيان الاول بمقدار ما يبتعد عن التصلب الجميل في الثاني .

وهاجم أولاً الانظمة مهما تكن ، والتي لم يفهمها إلا عبر بعض الرجال . ويأسف لتدهور هؤلاء وأولئك في العادي والابتزال . فكم من « دجال » و « مزيف» لم ينتموا بثقة إلى روبيسبيير وماركس ورامبو وفرويد ! حتى أنهم « يترصدون للسريالية ذاتها بعد مضي عشرين عاماً على وجودها ويكنون لها الاذى ثمناً لجميلها وشهرتها . والاحتياطات التي اتخذت للمحافظة على سلامة الحركة من الداخل — والتي اعتبرت بشكل عام صارمة جداً — لم تقف حاجزاً منيعاً أمام شهادة الزور الخانقة التي قدمها أراغون ، ولا أمام التشردي الكتائبي الاسباني الحديث طاولة — لوازم — النوم ، افيدا دولار » .

ليس على الناس أن يعوا وضعهم الاجتماعي فحسب بل وضعهم البشري و « عرضية هذا الوضع » وسترتفع أدمغة فتية لا تفكر مثل تفكيرنا ولن تفهم شيئاً من أنظمتنا بعد وقت قليل . انها هي التي ستصنع المستقبل « وهي التي ستحل المشاكل التي عجزنا عن حلها . ويوجه إليهم بروتون هذه التعليمات : « لايجب أن يتوقف استغلال الانسان للانسان فحسب ، بل استغلال الانسان من قبل « الاله » المزعوم ، إله العبث والذاكرة المثيرة . عليكم إعادة النظر جذرياً دون أي اثر للنفاق ، وبطريقة لاتتحمل شيئاً من التأجيل ، مشكلة العلاقات بين الرجل والمرأة . على الانسان أن يواجه أخاه الانسان كما هو : بأسلحته وأمتعته . كفى ضعفاً ، كفى تصرفات صبيانية ، كفى أفكاراً تحط بالكرامة ، كفى فتوراً ، كفى تسكعاً ، كفى وضع أزهار فوق المدافن ، كفى تربية

مدنية تعطى في فترة تفصل بين حصتي تربية بدنية ، كفى تسامحاً ، كفى تصديقاً لكل شيء » .

كل يبدع « نظام احداثيات لاستعماله الخاص » ويكشف بروتون عن احداثياته : « هيراكليت ، ابيلار ، ايكهارت ، ريتز ، روسو ، سويفت ، ساد ، ليويس ، ارنيم ، لوتريامون ، آنجيلز ، وجاري وآخرين سواهم » . « وما قيمة خضوع لامر لم يعلنه الانسان نفسه ؟ » وينتقد بروتون الاحزاب السياسية الخاضعة تماماً للعامل الاجتماعي . ويلاحظ عجزها عند اندلاع الحرب وغيابها عند اشتداد وطيسها . وفي حال استمرار هذا العجز ، سيجد نفسه مضطراً إلى حجب ثقته عنهم ليبذل جهده في اتمام مهمة تبدو له الآن حاسمة : ابداع وهم اجتماعي « يتناسب والمجتمع الذي نراه مرغوماً فيه » وبهدف ايجاد هذا الوهم يستعد بكل طيبة خاطر ، ليعرض نفسه لتهم التصوف (١) مع أغرب المجاملات » . مثلاً : بما « أن عقلاً واسع الشمول وذات نشاط خارق (١) كان يبدو مؤمناً بصداقة كلبه (٢) . يجعل فكره يتلاءم مع مجاملات تزيد غرابة عندما يكتشف فجأة بأن « الانسان قد لا يكون مركز الكون أو هدفه .

يضيف : « قد يذهب الظن بأحدنا إلى أنه توجد ، على السلم الحيواني ، كائنات أعلى منه ، لها سلوك يبدو له غريباً بمقدار ما يبدو سلوكه غريباً عليه كغرابته على الذبابة أو الحوت » قد تظهر لنا هذه

---

(١) — يلمح بروتون إلى ليون تروتسكي .

(٢) — أصر على القول بأن هذه النظرة الانتروبومورفيه للعالم الحيواني تنم عن سهولا ت يؤسف لها في طريقة التفكير » .

الكائنات « في الخوف أو في شعور بالصدفة » . ويضيف ، « ليس من شك ، بأن أكبر مجال نظري يعطى لهذه الفكرة» ويستشهد لذلك بنوفاليس ، ووليم جيمس ، واميل دولكو « مدير سابق لمعهد باستور ١٨٤٠ — ١٩٠٤ » . وبما أنه لم يجرؤ على سبر عمق فكرته حتى النهاية ، لأنه يريد أن يحجب عن نظره المهاوي التي تخفيها ، يختم بروتون بيانه باشارة استفهام : « وهم جديد ؟ هل يجب أن نقنع هذه الكائنات بأنها تنعث من سراب أم يجب علينا أن نتيح لها فرصة اكتشاف ذاتها ؟ » .

* * *

خاتمة

« بالسأم يعرف الرجل ، السأم هو الذي يميز بين الانسان البالغ والطفل : فطابع السأم الشرعي هو الذي يميزه عن سائر الحالات العاطفية » .

جاك ريغو

« ان الحقائق التي تظهر في عمل الشعراء الحقيقيين كثيبة : ولكنها حقائق وكل ما سواها تقريباً يعد كذباً » .

بول ايلوار

في نهاية تاريخ الحركة السريالية هذا ، لانستر الثغرات التي فيه ، فكان بوسعنا أن نسرد عدداً أكبر من الحكايات « لنجعله ينبض بحياة أقوى » وأن نتمرس في فن الوصف الدقيق للاشخاص أو أن نكتفي من السريالية بمظهرها الشعري فقط أو التشكيلي (١) . لكننا آثرنا رسم خطوط تطور السريالية بصفتها حركة فكرية في عصر وفي مجموعة ونحن متأكدون من أن شباب عصرنا يجابهون نفس المعضلات التي حاول السرياليون أن يجدوا لها حلاً. ونتمنى طبعاً أن يحرقوا أجنحتهم في النار السريالية، ونفضل أن يستخدموا هذه النار لشيء آخر سوى اتلاف أنفسهم .

---

(١) — المرجع . مارسيل ريمون . من بودلير إلى السريالية ، فرانسوا كو زن . موقف السريالية (كونفلويانس ، العدد ٢٠ ، حزيران ١٩٤٣) .

وانطلاقاً من بحث تجريدي عن امكانيات اللغة بصفتها آلة شعرية ، فان السريالية تقود في البدء إلى ذاتانية شاملة إذ تظهر اللغة وكأنها ملكية شخصية في الأساس ، يستطيع كل واحد أن يستخدمها كما يروق له . والعالم الخارجي مرفوض لمصلحة عالم يجده الفرد في داخله ويريد أن يكتشفه بطريقة منظمة : ومن هنا أتت الأهمية التي أعطيت للعقل الباطن وتجلياته التي يعبر عنها بلغة جديدة ومتحررة . ان السريالي إذ يكوّن فكرة أوضح عن كيانه يقارن بينه وبين العالم ويطالب بأن يخضع العالم إلى رغبات كيانه . ومن هنا ، تأتي فردانية الفكر الثورية ذات القوة الفائقة التي يجب أن تغير فكر سائر الناس ثم حياتهم بواسطة العدوى .

وبدلاً من أن تنغلق السريالية على أسرار مذهب معين ، منحت كل فرد وسيلة الوصول إلى هذه « الحالة من الهيجان » هذا الشرط الاول لتغيير حقيقي للحياة ، والذي يجب أن يؤدي إلى ايجاد حل للمتناقضات في قلب « سريالية » تحتوي وتتجاوز الوعي واللاوعي ، الانسان والعالم ، الطبيعي وما فوق الطبيعي . والبحث عن هذه الحالة يتم جماعياً وبجميع ميزات التجربة العلمية .

وباء هذا البحث بالفشل : واستمر العالم في الحياة وكأن السرياليين لم يوجدوا : ولم يحدث عملهم أي تغيير في أسلوب التفكير والسلوك التي اتخذوها حقلاً لنشاطهم . وهذا يعود بالفعل إلى أن هذه الأساليب لاتتغير إلا بطريقة غير مباشرة عبر أشكال من العالم المادي التي رفضوا طوعاً « ممارسة نفوذهم عليها . والمرحلة الثانية في المحاولة السريالية كانت عندئذ أن تحول هذا العالم موضوعياً ، وأن تتجاوز الذاتانية إلى

مادية بوسعها أن تؤثر مباشرة في الأشياء . وهكذا وجد السرياليون أنفسهم في وضع اصطفاء ثوريين سياسيين فسعوا إلى التعاون معهم . وكانت طموحاتهم غير ذلك : فاذا ما كانت الثورة الاقتصادية والاجتماعية تبدو لهم شرطاً ضرورياً لتحويل شامل للحياة ، فانها غير كافية ، في نظرهم ، لأنها تنحصر بالانسان الاقتصادي. ان ما يصبون إليه ليس فقط حق الانسان في الاستمرار في الوجود ، بل أيضاً حق الحلم ، والحب والتمتع ، ويفضلون التخصص فوراً في البحث عن الظروف المؤاتية لاشباع هذه الرغبات بدلاً من الاكتفاء بكلام السياسيين الذين قد يسمحون لهم بها علاوة على ذلك. وقد توفرت لهم هذه الشروط في التمرس الشعري الذي انصرفوا إليه . وهذا يعني ، أنهم عادوا ، وبطريقة منحرفة ، إلى « **الموضوع** » الذي لم يستطيعوا قط في الحقيقة أن ينفصلوا عنه . ومنذ اللحظة التي لاحظوا فيها أن الانسان الجديد ، الذي أثبتوا لهم ، انه يتكون في الاتحاد السوفياتي لايختلف أساساً عن الانسان الذي يعرفون ، قطعوا علاقتهم بالشيوعيين الذين كانوا يحسبون كممثلين حقيقيين للثورة السياسية والاجتماعية .

ولّد هذا الانقطاع نظرة أكثر وضوحاً عن دورهم وامكاناتهم : فقد شعروا ، باحتكاكهم مع الأحداث ، بأنهم غير قادرين على القيام بالثورة الشاملة التي ينادون بها استناداً إلى قواهم الخاصة . وفهموا أنه يجب على السياسيين أن يقوموا بالعمل الاساسي ولا يبقى لهم سوى دور لاحق . فتحدد طموحهم منذ هذه الفترة ، في أن ينيروا الطريق وأن يصوبوا الأنظار ، دون انقطاع ، نحو الهدف المطلوب بلوغه : حل التناقضات في قلب « السريالية » إذ ان هذا الحل يثير بدوره مشاكل جديدة تتطلب أجوبة جديدة .

انه لمن السهل أن نتكلم عن الفشل السريالي إذا ما أردنا تجاهل الطموحات الدافعة للحركة وأردنا أن نستبدل بها رغبة ما في تأسيس أدب جديد وفن تشكيلي جديد ، ولم لانقول نزعة انسانية جديدة ؟) .

ويحرك السرياليين يأس عميق شأنهم شأن الرومنسيين. لكنه يأس لايشبه « كآبة » لامرتين العذبة ولا « حنين » ليوباردي ، ولا « سويداء » بودلير ، التي غالباً ما تذوب جميعها في حب الله الذي يهتدى إليه ، بل يأس على طريقة رامبو الذي يتخلى عن كل شيء ليصنع لنفسه حياة حيوانية ، وتشاؤم تهجمي على طريقة لوترياموں الذي يهاجم الله ، والعالم ، و « القيم الصالحة والطاهرة » . لنتذكر ما كتب نافيل في **الأفضل والأقل جودة** وأراغون في **محاولة دراسة للاساوب** . فعلى صعيد هذا التشاؤم ، فكم يبدو بخساً كل من الانسان والعالم والله والحياة والحلول العديدة التي يجدها الانسان ليخرج من هذا الكابوس .

وقبلهم ، حاولوا جعل المسخ أليفاً . فعند فيني ، لم يظهر هذا المسخ سوى قرنيه ، وكان كافياً ليدب الذعر في قلب المشاهد، وكان بودلير قد صحبه إلى الكنيسة والجنان المصطنعة، ورمى به رامبو في البحر الاحمر بمجرد لكمة من كتفه ، ثم أطلقه لوترياموں على العالم بعد أن استولى عليه ، وكان جارّي ضحيته ، أما السرياليون ، فانهم يعيشون مع الوحش في مواجهة لاتنقطع ، وأعينهم مشدودة إلى عينيه مخافة أن يقوم بمجزرته إذا ما بدرت منهم غفلة ، فلا يحتاج عندئذ إلا إلى احكام غرز مخالبه ، وتقريب أنيابه . وينتهي الامر : أليس جاك فاشيه ، ألم يقل لريغو ، ونادجا ؟ وآرتو ، وكرافيل ؟ ريغو : « أنتم جميعكم شعراء ، وأنا في جانب الموت (١) كرافيل : « الانتحار

(١) — جاك ريغو ، أوراق مطبوعة في سان باري (دون مثيل) .

هو ، الحل الصحيح والنهائي الأكثر حقيقة من جميع الحلول (١) » وهذه التساؤلات المضايقة التي يطرحها الاحياء : « لماذا تكتبون ؟ . . . . .أيكون الانتحار حلاً ؟ . . . أي نوع من الأمل تعلقون على الحب ؟ « وكأن لاعمل لهؤلاء الاشخاص سوى تكرار « ما نفع الحياة والتعبير عن المشاعر ؟ » .

وبالرغم من ذلك ، عاشوا وعبروا عن مشاعرهم ، ولكن بطريقة غريبة ، كما ينبغي القول . ألم يعلنوا أنهم يرفضون الوصول والنجاح في عالم يحتقرونه ؟ ألم يتقيدوا بأقوالهم ، وبكل دقة . طالما كانوا منتمين إلى الحركة ، واعترفوا بأن القنوط هو أسمى قيمة ، وبحثوا عنه ، واهتموا به لذاته ، كما لو أن علة الحياة تستأصل كما يستأصل العشب السيء . سافر في عربة تسير باتجاه آسنيار ، خلال أربع وعشرين ساعة بالتمام ، وبعد ذلك ، عاد إلى نقطة انطلاقه ، وستكون أقل تبحجاً . لنقم بزيارة إلى سان جوليان لوبوفر ، ليس هناك شيء للمشاهدة. ولم يحمل ايلوار معه طوطماً من هيبريد — الجديدة .

والثقافة ؟ ألا يجد فيها ألأشخاص المحرورن من الأوهام ، ولكنهم أذكياء ، ملجأ مرحّبا ؟ احتقر هذه الكمية من المعلومات المتكدسة منذ أقدم القدم والتي تقول للانسان : « آمن وارج » ! ويرى السرياليون ان غنى الانسانية الشهير هذا ، لم يجعل الانسان عظيماً عبر العصور ، ولكنه ضمن نتائج تأثيره الأقل ضرراً ،ستر الانسان بدرع كثيف وقاسي عزله عن العلاقات مع العالم . ويهدف السرياليرن ، بنقضهم للثقافة ، إلى كسر هذا الدرع ، بحيث ينتظرون العصر الذهبي ، ويبشرون بمجيئه ، رغم كل شيء .

---

(١) — جواب على الاستقصاء . « أيكون الانتحار حلا (الثورة السريالية ، العدد ٢) .

هل ينبغي أن نرى في ذلك مخرجاً للتشاؤم السريالي الأساسي؟ دون شك ، ونرى فيه أيضاً احدى تجلياته . فجميع القيم التي نادوا بها هي من نوع هذا الطابع المزدوج . فها هو الحلم الذي استسلموا له . انه مخرج بالفعل ، ولكنه لايفتح الا ممراً وهمياً : بابا مزدوجاً لم يفتح منه إلا مصراع واحد. انهم يعلمون أنهم سيجدون خلف المصراع الآخر العدو المختبيء في وضح الشمس والذي سينقض على فريسته . وباءت بالفشل محاولات بروتون إذ أراد أن يمزجه بالواقع .فليس الحلم إلا أخذ ثأر موقف يتجدد دون انقطاع . لقد اعتقدوا بالنصر مع دالي: إذ نراهم يخلقون عالماً على قياسهم . ولكن يا للأسف ! لقد انتهت أجمل الهلوسات بالتشرد تاركة خلفها على الشاطيء ، انساناً اشتد يأسه إذ تراءى أمام عينيه فردوس لم يقو على الوصول إليه .

ففي الحياة ذاتها اذن ، وعلى أرض الواقع ، يجب أن نجابه مصيرنا : وهنا أيضاً يفكر السرياليون باللجوء إلى وسائل مختلفة ، كانت الدعابة احدى هذه الوسائل التي سمحت للوترياموني وجاري وفاشيه بأن ينتصروا على العالم ويتفوقوا عليه ولو لبرهة وجيزة . الدعابة التي كرمها بروتون وأصدقاؤه كأنها الاله الاول الذي لم يضنوا عليه بالتضحيات المتتالية . فبالأسلوب المجازي الذي تجريه على العالم تنتقم من الحياة والموت ، ولو جزئياً ، غير أن الانسان يمر وحيداً عبر هذا الباب ، وتطمح السريالية لا إلى تزويد كل فرد بكلمة سر فردية بل إلى تقديم مفتاح سحري يصلح للجميع .

وفي الطريق ، نلتقي بالحب ، المخرج الذي يمر به اثنان . هو و « الآخر » ، وهنا تبدأ الجماعية ، انه السجن الفردي وقد هيمن على الناس

شرط أن لا نجعل منه سجناً لاثنين كما يحدث غالباً . ومن هنا يأتي انتقادهم للحب كما يفهمه المعاصرون ولا يعيشونه ويرون فيه نمواً للأنانية الفردية لا تفوقاً عليها . ومن هذا المنطلق نادوا **بالحب المجنون** ، **والحب الفريد** حب مجنون لأنه يحطم جميع الحواجز التي يريد المجتمع أن يسجنه بينها ، ولأنه يعطي نفسه جميع الاباحات التي تتماشى مع طبيعته . حب فريد ، لأنه يجعل من الكائن المحبوب ، من « **الآخر** » عالماً مصغراً وحياً يتاح له امتلاكه ، من الآن وصاعداً ، ويمكن التلاشي فيه . فبعد بروتون وايلوار ، لم يبق الحب كما كان قبلهما : فالمرأة التي مجداها أكثر من كل شاعر ، أصبحت الخبز اليومي الحي ، وسماء الأقطار السومرية ، والبداية والنهاية لجميع الأبحاث إنها عالم المأكولات في متناول الفم : «وإلى آكل غالا » يكتب دالي . أرادوا أن يجعلوا من المحبة قوة ثورية ، تحطم في طريقها ، هازئة بكل ما قد ينتج من ذلك ، جميع العقبات التي تمنعها من التحليق وتفجير طاقتها ، ومرة اخرى نقول : لئن ظهر ذلك في ما كتبوا أو رسموا فانه أظهر للعيان بكثير في حياة كل فرد منهم . وتتسارع الأمثلة عديدة ولا نستطيع ذكرها ، لتظهر أن حلولهم كانت قبل كل شيء حية ، اختبروها في لحمهم ، وان الاسرار التي سمحوا بتسربها عبر أقلامهم ، لم تكن سوى تنازلات أمام عذر فني قد لا نأسف لعدم مقدرتهم على التخلي عنه بما تقدم لنا هذه الاسرار من أضواء فريدة .

لا يزال الحب أيضاً « بابا ضيقا » نكتشف من خلاله آفاقاً فلسفية ، أعني وهمية في نظر المسخ الذي يمزقها . الثورة . ها هو أخيراً المخرج الحقيقي . الذي نعبره مع سائر الناس ، وهذا صحيح إلى درجة اقتنع بها

بروتون ، انه بالثورة فقط ، يقهر وإلى الأبد ، هذا اليأس المشهور الذي يعذبهم . وبذلك فقط ، كان بوسعهم أن يقدموا نشاطهم الجماعي بصفتهم مجموعة وهذا ما كان سبب توطيد وحدتهم . ولم يكن نشاطهم الجماعي بضئيل .

انهم أول من تجرأ على كتابة قصائد مشتركة ، محطمين بدفعة واحدة دور الشاعر الذي يملي على العالم شرائعه من أعلى قمة سيناء ، ودور الأديب الذي يظن نفسه ، أكثر الأحيان ، المؤلف الوحيد لما يكتب . فبالنسبة لهم ، ان الشاعر انسان بين الناس ، يسير معهم في « وضح الشمس » وعلى عكس ذلك ، ان كل انسان شاعر . كانوا ينصرفون ، كل يوم ، لألعاب جماعية ، لاتهدف فقط إلى قتل الوقت : لعبة الأوراق الصغيرة ، لعبة الأسئلة والأجوبة ، « جثث لذيذة » لعبة الحقيقة ، يتوصلون بواسطتها ، ليس فقط إلى ابداع أشياء قد يعجز عنها الواحد بمفرده ، بل إلى التعمق في معرفة بعضهم البعض .

وقد ساعدت التظاهرات ، بجميع أنواعها ، على تدعيم هذا الجو الجماعي ، وأسست أعمالاً قادرة على قهر العدو . قد سبق لنا أن حاولنا احياءها . لذا لانصفها مرة أخرى ونلاحظ أنها كانت أقل عفوية مما نعتقد ، ولم يحركها قصد الاثارة إلا قليلاً على خلاف ما نفكر .

منذ الخطوات الأولى ، انتقل السرياليون من صعيد التظاهر العرضي إلى صعيد التظاهر العام ضد المجتمع وقيمه فالى صعيد الثورة ، رفع القيم الجماعية ، واقدرها على تحويل تشاؤمهم الأساسي إلى تفاؤل معقول . وقد ظنوا لفترة ما أنهم اجتازوا الخطوة الأولى ، فملأتهم

سعادة الخلاص هذه واستطاعوا أن يحتفلوا به على أعين الملا ، غير أنهم خدعوا : فمن الضفة الثانية ، حاول نافيل مساعدتهم باقناعهم بأن الثوريين كانوا هم أيضاً ، متشائمين جذريين ، ومن هذا المنطلق ، لايجب أن ييأسوا إذا لم يجدوا التفاؤل في الثورة التي يجعلونها بكل سذاجة ، مصدراً للتفاؤل . لم يتأثروا به ، فتوالت خيبات الأمل ، وعادوا إلى براثن المسوخ . وبعد أن تحولوا إلى دور الثوار الكادحين والمخلصين ، نستبعد أن يكونوا قد اكتفوا بنجاح الثورة .

انه لمن الخطأ أن نظن بأن العبرة السريالية تنحصر بملاحظة مريرة . وما من مصير اكثر طوعية من مصير بروتون والمجموعة الذين رأينا طريقهم مرصوفاً في كل لحظة بقرارات ارادوها . وفي مسيرتهم اكتشفوا قيمة كانت بوسعها أن تتغلب بفاعلية على التشاؤم الذي لازمهم دوماً . وهنا أيضاً ، نقول انهم لم يخلقوا هذه القيمة بل اكتشفوها راقدة في قلب الانسان ، تحت الأنقاض ويشترك فيها جميع الناس : ونعني بها الرغبة . ولم يكن عملهم المستمر سوى ايصالها إلى الضوء ، والاعتراف بها ثم اطلاقها في العالم مزودة بجميع الصلاحيات أفليست في جوهرها متغيرة الشكل ، ثورية ، وتعرف عند الحاجة ، ان تتنكر لكي تنتصر ؟ أو ليست هي التعبير الأساسي عن الانسان وقوته الأكثر أصالة ؟ فاذا ما قيدت أو هوجمت بعنف أو تهيبت فيعود الذنب ، إلى المجتمع الذي يمكن أن تحطم الواحة الخشبية وبالتالي إلى الانسان المقتنع بسهولة بأنه لا يجب أن يترك لها الحبل على الغارب .

ومن هنا تولد الهدف المزدوج للثورة السريالية : « تغيير العالم » و « تغيير الحياة » باضفاء طابع الموضوعية على الرغبة ، هذه القوة الفائقة القدرة التي تستطيع أن تحدث جميع المعجزات .

تموز ١٩٤٤

بعد فترة طويلة

هذا التاريخ الذي كتبته في الأشهر الأخيرة من الاحتلال وبسرعة كلية وبالوسائل التي كانت عندئذ بحوزتي ، أرى فيه اليوم أكثر مما مضى ، نواحي التقصير والضعف . وقد عوض عن النقص واستدرك الضعف كتّاب عديدون اهتموا بالموضوع بعدي ، ومن بعدهم أندريه بروتون بنفسه ، في « الأحاديث » التي قدمها عبر الاذاعة عام ١٩٥٢ . أما عذري فهو أني أول من تطرق لهذا الموضوع وهنا ، وأظن دون ، تواضع زائف ان هذا هو فضلي الوحيد .

إني لاأنقص شيئاً من الصفحات التي أنتهيتم من قراءتها ، فالآمال التي عبرت عنها فيها ، والحماس الذي تسلل بسذاجة عبر سطورها ، لاتزال هي آمالي وحماسي . ومع ذلك ، مرت سنوات كثيرة ، جعلتني أكون نظرة عن الحركة السريالية أكثر دقة وكانت بالنسبة لي اكتشافات وتجارب وإلى حد ما ، تأملاً : إذ لم أعد أنظر إلى الأشياء تماماً كما كنت أراها سابقاً .

لقد تأسست السريالية على مفهوم ثوري للانسان وللعالم في عصر تهدمت المفاهيم التقليدية لعلاقاتهما تدريجياً في الحرب . فخضوع الانسان للعالم لم يبدُ قط امراً لا يطاق بقدر ماهو اليوم . فالشعور الحاد والتوق لوضع حد لهذا الخضوع أوجدا الفنان بطريقة واضحة : فبما أن كلا من الشاعر ،

والرسام والكاتب يفكر بوضع حد لاستلابه نراه يبحث عن علاقات جديدة وشخصية مع هذا العالم . ويتوصل إلى هدفه باجتهاده لكن دون أن يتغير شيء من حوله . ان ما يقوم به هو مغامرة شخصية غالباً ما تكون مأساوية وأحياناً فاجعة ، مغامرة تنطلق دائماً من الصفر بالنسبة لكل واحد على حدة . فلئن وجدت نهايتها في ذاتها أو انتهت بالصمت ، فانها تنتهي دائماً بهزيمة بالنسبة للنقطة الأساسية : فالكتب تضاف إلى الكتب واللوحات إلى السمفونيات دون أي تأثير سوى ادخال البهجة إلى سجن لايهرب الفنان منه إلا بطريقة مثالية . فما من كاتب عظيم إلا ويموت يأساً بالرغم من اتكاله على الخلف .

كانت السريالية تطمع إلى أن تتخطى حدود الشخصية وتنوي ألا تكتفي بالكلام . فبعد أن تأثر مؤسسوها بالدادية ، لم يكن الأمر بالنسبة لهم في أن يعود كل شيء إلى ما كان عليه ، فالانسان لم يكن ، هذا الكائن الذي كوّنه عصر من الوضعية ، والترابطية ، والعلمية ، بل كائن رغبات وغرائز وأحلام . على ما اكتشفه التحليل النفساني . وفي روسيا ، كان مجتمع يبني نفسه على أسس جديدة . وكان ماركس وفرويد يجسمان أنبياء العصر الجديد أكثر من رامبو ولوترپامون ، ، وأصبح السرياليون وفق طرقهم الخاصة ماركسيين وفروديين بتشديدهم على ثورة مزدوجة يجب تحقيقها : « هي تغيير العالم » و « تغيير الحياة » . كانوا يفكرون بأن يتوصلوا إلى هدفهم بواسطة نشاط ابداع شمولي ، انطلاقاً من انسان يعتبر بحد ذاته كأنه كل لايتجزأ ، وبواسطة آلة هي الشعر الذي كان يختلط بنشاط الفكر بالذات . وهذا الابداع المستمر يجب أن يمارس دون قيد لحرية الشعور والعمل ، خارجاً عن التجزئة في الحياة والفن

ومع رغبة احتواء الانسان بأكمله . ومن هنا ، يأتي التشديد على النواحي الليلية من الكائن ، على الخيال ، والغريزة والرغبة ، والحلم ، وعلى الاشكال اللامعقولة وبكل بساطة على اشكال اللعب في كل ما يتعلق بالسلوك ، بهدف التخلص من الانسان المشوه ، والمنكمش على ذاته ، والمسلوب والذي تقلص إلى فئات « العمل و « التملك » . وتحت السريالية حقل تجدد شامل أمام الانسان.بالنسبة لحياته الخاصة وحياة الناس في المجموعات ، ولتطور أشكال الفكر والأخلاق والفن والأدب .

بقيت متطلبات السريالية على حالها ، بعد الحرب الثانية . وانه لدليل على قصر النظر ، ان توجه الملامة إليها لأنها لم تستطع أن تدمج تيارات الحساسية الجديدة واشكال الفكر الجديدة وقد مارسوا منذ زمن بعيد فلسفة العبث ونوعاً من رومنسية اليأس وحتى الالتزام الوجودي ، ممارسة تامة حتى النهاية ، أعني حتى الانتحار (ريغو ، كرافيل (وحتى الجنون (ارتو) ، وحتى النضال الثوري (أراغون ، وايلوار وبيريه) وبالنسبة لبعضهم ، حتى الالتزام بالصمت « الفني » النهائي . وإذا ما بدا لنا السرياليون فجأة معدمي « الحضور » فهذا يعود إلى أنهم تجاوزوا بالفعل الحالة التي كانت حالتنا ولأن الحركة قد قامت بدورها التاريخي إلى حد ما . فتاريخ المجتمعات لايخلو من هذه المواقف ، حيث يعلن سقوط حركات عظيمة ورجال عظام في وقت نلتمسهم لحاجتنا الملحة إليهم : فقد عاشت البابوفية خاملة أكثر من قرن ، بعد وفاة بابوف ، دون أن تحدث تأثيراً في الحركة العمالية ، وحكم على أحد أهم صانعي الثورة الروسية بالنفي ثم أعدم في وقت كان فكره ونشاطه مدعوين ليلعبا دوراً حاسماً في مصير المجتمع السوفياتي . والواقع ،

ان الوضع الحساس، والاخلاقي والثقافي في فترة ما بعد الحرب الثانية هو الذي لم يبد على « مستوى السريالية » .

لم يتشبث بروتون برأيه، بعد أن حاول الاتصال دون جدوى فمال عندئذ بالحركة إلى واحد من اتجاهاتها الذي كان احد الاغراءات الدائمة للحركة ، الا وهي ينابيع النشاط الشعري ، وجرد مسالكه ووسائله، والبحث عن المقومات الميتافيزيائية لهذا الشكل الخاص للمعرفة. فأعاد إلى الذاكرة وجود « تقليد مسارّي » أفاد منه، بدرجات متفاوتة، كبار الفنانين عبر التاريخ: ألخيماويين والاخفائيين والمجوس وبعض الشعراء من المثقلين بالأسرار. وبدا له ذا أهمية كبرى الامساك من جديد بالمفتاح السري للعالم ، المتقدم بوجوده– والذي نحس به بدرجات متفاوتة — على كل شعر رفيع، والسير على طرق هذه الثورة الداخلية التي إذا ما حصلت تماماً امكن أن تختلط حتماً في **العمل الكبير** كما فهمه ألخيماويون». واستعاد نيكولا فلاميل، ألبير الأكبر ، فابر اوليفيه ، شويد انبورغ ومن الشعراء : هوغو ، نرفال ، بودلير ، جارّي ، وروسّيل مكانتهم كباحثين مرذولين، ورواد ليالي ومسارّين فأتت رسالة الشعر الحديث استمراراً للبحث الذي باشروا به،ومتابعة التقدم على الطريق التي شقوها ، نحو هذه النقطة المشهورة حيث تحلّ جميع التناقضات. ولكن هل تتم الثورات الداخلية في الساحة العامة في مجموعة ما وبمجرد اصدار مرسوم ؟ وتندر في السريالية اليوم الأعمال التي يمكن أن نعود إليها .

كيف لانعتبر اعترافاً بالهزيمة ، انطواء السريالية على حدودها الشعرية الدنيا ، وتحولها إلى مذهب باطني ؟ ألا يوجد عيب مكتوم في منطلق تأكيدها: « التسليم بأن الفكر يصبح نافذا مباشرة وداثماً بمجرد

وجوده» فاذا كان الشعر الذي كانوا يعتقدون أن بوسعهم تحطيم أغلاله الفنية ، ويودون ممارسته بعيداً عن كل مصطلح وكل مراقبة، وان يجعلوا منه حسب قول لوتريامون متاعاً مشتركاً انكان هذا الشعر يعادل النشاط الفكري ذاته ، فبأي شكل، يستطيع هذا الشعر أن يجد نقطة تأثيره بالأشياء وأن يغير شكل عالم بالعلاقات الاجتماعية المتشيىء؟ كانت السريالية تطرح كمسلمة وجود نظام انساني كانت تنوي ايجاده، دون شك ، فاصطدمت ، قبل كل شيء، بنظام هو قبل كل شيء اقتصادي واجتماعي وسياسي، وفي لايقوى الفكر وحده أن يحدث فيه تغييراً . فإذا كان هذا النظام ابداعاً انسانياً ، فهو ايضاً ، ابداع انسان يقيده تاريخ وزمن ، يتغلب عليه نفس الهدف الذي يستوعبه ويسجنه. فبين الفكر والعمل توجد وساطة حتمية هي تاريخ البشرية بالذات .، ولم تكن السريالية تملك وسائل للتدخل سوى بعض محاولات في التدخل السياسي (بمعناه الواسع) العرضية وغير المنظمة اجمالاً. فظنت أنه بوسعها الاستعاضة عنذلك بالدعوة إلى ثورة أكثر شمولاً وجذرية : فيصبح الفكر ذاته الفاعل والهدف لثورته الخاصة . ومما لاشك فيه كان هذا المجال هو الوحيد الذييستطيع فيه الفكر أن يصبح نافذاً مباشرة .

هناك مجتمعات تعيش بالفعل خارج الزمن والتاريخ ، ويصبح الفكر فيها نافذاً مباشرة : ان عابد قوى الطبيعة الخفية ينزل المطر، ويشفي الساحر مريضه بالتفوه ببعض الصيغ.ولا تقتل الطريدة إذا أصيبت بسهم بل تقضي عليها ممارسة بعض الطقوس ، والطفل الذي يولد لاينشأ دائماً من امه حسب الجسد .. . ومع ذلك فان العالم العقلي لهذه المجتمعات ليس متكفكاً وغير منطقي، انه عالم تحل فيه الفكرة التي تحملها الكلمة ، مكان الواقع وتحدد الحادث . ولاتهمنا ، إلا

قليلاً، الايضاحات العقلانية التي نريد أن يوافق أعضاء هذه المجتمعات على أنها وحدها مقبولة . فكل خبرة حياتهم اليومية تطلب إليهم أن يرفضوها لكونها ناقصة وغير ملائمة وثانوية إلى درجة لامتناهية . انهم يعيشون في عالم سحري .

وقد نتساءل إن كانت محاولة السريالية الحالية هي أن تؤسس في عالمنا المغالي في العقلانية والساعي إلى تدمير ذاتي بواسطة تقدم المعرفة « الذي تحقق فقط لأجل » منفعته « أن تؤسس ، عالماً سحرياً يلائم معاصرينا ،عالماً مبنياً على وسائل الانسان التي لم تستثمر غالباً وعلى شرائع غامضة لواقع تتوقف عند عتبته ايضاحات العلم التخمينية ، وعلى رغبة ايجاد بعض « الصلات المشتركة » الاساسية بين العالم الصغير (الانسان) والعالم الأكبر (الكون) إذا ما نسقت بشكل قوانين ، تتوصل إلى خلق علم وسلطة . ولكن ينبغي عندئذ ، أسوة بالبدع الغنوصية، والمذاهب الفيثاغورية أو حتى بالسان سيمونية ، على متشيعي السريالية ، أن يهدفوا بشتى الوسائل، (من المجتمع إلى الحزب السياسي) إلى ممارسة ضغط مباشر على حكم الافراد والأشياء، وان نستطيع أن نصدق بأن لديهم المقدرة على اعداد وتثقيف علماء وفلاسفةورجال أعمال وحتى مناضلين .

وحتى اشعار آخر، نكتفي باعتبار السريالية بعد الرومنسية مدرسة أدبية تختلف تماماً عن جميع المدارس التي سبقتها وأكثرها شهرةمنذ الرومانسية، ولابد لها طوعاً أو كرهاً من أن تمر عبر جميع المراحل وأن تجسد جميع الوساطات التي تمر بها كلحركة فكرية، تتوصل إلى توجيه ضمير الانسانية شرط أن يمدها التاريخ بالحياة .

تشرين الثاني ١٩٥٧

الفهرس

الموضوع	الصفحة

★ ★ ★

٢٥٠٠ ط١ ١/٧/١٩٩٢

يعرف أندريه بروتون حركته في الأول (١٩٢٤) من البيانات السريالية : « سريالية : اسم مذكر . آلية نفسية بها نستهدف التعبير شفويا أو كتابيا أو بأية وسيلة أخرى عن حركة عمل الفكر في واقعيتها . ما يمليه الفكر في غياب كل رقابة يمارسها العقل وبمعزل عن كل اهتمام أخلاقي أو جمالي » .

فالحلم حركة الفكر المجانية والتداعي في بعض أشكاله العليا هي الوسائل التي تمكننا من فهم مشكلات الانسان .

السريالية بكلمة ، منهج للبحث وقاعدة للسلوك .

اعتراض : السريالية في تصورنا اليوم مدرسة أدبية كالرومانسية مثلا ، والسرياليون شعراء وكتاب ، مصورون ومفكرون ؟ ولكن أليس الأدب هو أيضا بحثا وسلوكا ؟

كانت وزارة الثقافة قد نشرت لأندريه بروتون بيانات السوريالية وغيرها من كتبه كما نشرت أكثر من دراسة عن السوريالية ، وستنشر ... فالحركة غنية بمنشوراتها وتصوراتها ووقائع تاريخها . والكتاب الذي تقدمه الوزارة اليوم ـ هو بدون خلاف أكمل وأعمق تاريخ للحركة السريالية ـ يبين للقارىء أن الحركة التي بدأت عام ١٩٢٤ وظن بعضهم أنها انتهت مع بداية الحرب العالمية الثانية ما تزال مستمرة لأنها صارت بعدا من أبعاد الفكر الأدبي وطريقة من طرق تصور العالم ، وأداء هذا التصور شعرا وسردا وتصويرا فنيا .

الطبع وفرز الألوان في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٩٢

سعر النسخة داخل القطر
٧٥ ل.س

في الأقطار العربية ما يعادل
١٥٠ ل.س